
كتاب
التوحيد
لله عزّ وجلّ
تأليف
النعمان بن محمد بن حيون المغربي
٣٦٣هـ
قاضي قضاة الدعوة الإسماعيلية
من أعلام القرن الرابع الهجري
تصحيح وتحقيق
الشيخ محمد مهدي غفوري



كتاب التوحيد

لله (عزّوجلّ)

تأليف: النعمان بن محمّد بن حيّون المغربي

قاضي قضاة الدعوة الإسماعيليّة

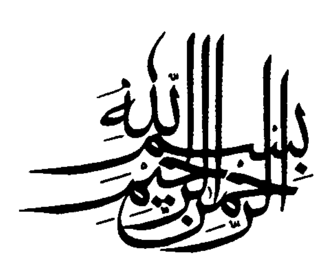
من أعلام القرن الرابع الهجري (م ٣٦٣هـ)

تصحيح وتحقيق

الشيخ محمّدمهدي غفوري (شم آبادي)







سرشناسه: ابن حیون، نعمان بن محمد، - ۳۶۳ق.
عنوان و نام پدیدآور: کتاب‌التوحید لله (عز و جل)/ تالیف النعمان بن‌محمد بن حیون‌المغربی؛
تصحیح و تحقیق: محمدمهدی غفوری (شم‌آبادی).
مشخصات نشر: قم: حکمت فراز، ۱۴۰۰.	مشخصات ظاهری: ۳۹۷ ص.
شابک: ۹-۷٦-۷٤۷۲-٦۲۲-۹۷۸	وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی.
یادداشت: کتابنامه: ص. [۳۶۳] - ۳۹۰؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع: توحید	Tawhid (Unity of God)*
شناسه افزوده: غفوری، محمدمهدی، ۱۳۷۰-، مصحح
رده بندی کنگره: BP۲۱۷/۴	رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۲
شماره کتابشناسی ملی: ۸۶۸۶۹۶۳	اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

كتاب التوحيد لله (عزّ و جلّ)

تأليف: النعمان بن محمّد بن حيّون المغربي، قاضي قضاة الدعوة الإسماعيليّة (م٣٦٣هـ)
تصحيح وتحقيق: محمّد مهدي غفوري (شم آبادي)
الناشر: حكمت فراز، مطبعة: مبين
الطبعة: الأولى / ١٣ رجب، ١٤٤٣ق = ١٤٠٠ش، المطبوع: ١١٠ نسخة

طرق التواصل مع الباحث:	رقم الهاتف: ٠٠٩٨٩١٠٠٢٥٠٣٠٩
البريد الإلكتروني: gafori١٤١٢@gmail.com	الفضاء السيبراني: @sham_abadi١٤١٢

مقدّمة التحقيق

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدّي حقّه المجتهدون.

ثمّ الصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، الذي جعله حجّة على كافّة بريّته، وشريعته ناسخة لما كان من قبله، ومنطقه خالياً من أهواء خلقه، وإسمه محموداً في أرضه وسماءه، محمّد صلّى الله عليه وعلى آله.

وعلى الحجّة من بعده، وصيّه وخليفته، وأمينه على أمّته، ومبيّن شريعته من بعده، إمام الخلق أجمعين، من الأوّلين والآخرين، الذي هو الإمام المبين، والصراط المستقيم، والمؤتي للزكاة وهو مقيم، ولا يأخذه في الله لومة لئيم، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. الذي قال النبي في شأنه: محلّه منّي محلّ هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وهو وليّكم بعد الله ورسوله.

وعلى الأئمّة من أهل بيته، المصطفين الأمجاد، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وجعلهم ﴿**شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَفَرعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذنِ رَبِّهَا**﴾، فـ﴿**اعتَصِمُوا بِحَبلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾، و﴿**اسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَا تَعلَمُونَ**﴾. وهم أمان لأهل الأرض، والطريق الواضح، الذين

عيّنهم رسول الله ﷺ، وعدّهم في بيانه، كما نقل عنه عمر بن الخطاب وقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيّها الناس! إنّي فرط لكم وإنّكم واردون عليّ الحوض، حوضاً عرضه ما بين صنعا إلى بصرى، فيه قدحان عدد النجوم من فضة، وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، السبب الأكبر كتاب الله طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تبدّلوا وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. فقلت: يا رسول الله! من عترتك؟ قال: أهل بيتي من ولد علي وفاطمة[عليهما السلام] وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، هم عترتي من لحمي ودمي»(١).

أمّا بعد، إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام قد انتشرت في كتب الموافقين والمخالفين، وربّ كلام صدر منهم عليهم السلام يوجد في كتب المخالفين فقط وربما حديث يستشهد به أو يؤيّد ما في كتبنا. فقمنا بتحقيق كتاب جاء فيه كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وهو كتاب التوحيد للقاضي النعمان المغربي، وقد شرح المؤلّف شرحا مختصراً من الخطب. ولتحقيق الحال نذكر ما يهمّ بيانه في ثلاثة فصول.

الفصل الأوّل: نبذة من حياة المؤلّف.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

الفصل الثالث: عملنا في التحقيق.

---

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي: ٩١.

الفصل الأوّل: نبذة من حياة المؤلّف

أبوحنيفة النعمان بن محمّد، المعروف بـ«القاضي النعمان»، يعدّ أكبر فقيه إسماعيلي والذي أسّس الفقه الإسماعيلي.

ولد في العشرين الأخير من القرن الثالث الهجري ولم يحدَّد تاريخ ولادته. وكان له مناصب في حكومة الفاطميّين ومن جملتها منصب قاضي القضات، وكان ملازملاً للحكومة من ابتداء أمره وقد أدرك أربعة من خلفاء الفاطميّين وخدم جميعهم في مختلف المناصب.

بقي من القاضي النعمان آثار في مختلف العلوم يُنبئ عن تبحّره وجمعه للعلوم، ومن جملة العلوم التي صنّف المؤلّف فيها: الكلام، الفقه، الحديث، التفسير، التاريخ، والأدب. ومن جملة آثاره: دعائم الإسلام، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، المجالس والمسايرات.

وأمّا مذهبه فقد عدّه بعض علماء الإمامية من جملة علماء هذا المذهب وفي رأسهم العلّامة المجلسي، وأمّا الشواهد التاريخي والآثار التي بقيت من النعمان يرشدنا إلى كونه إسماعيليا منذ نعومة أضفاره.

توفّي النعمان سنة ٣٦٣ هجريّة في القاهرة وصلّى عليه المعزّ الفاطمي رابع الخلفاء الإسماعيليّة ودُفن في داره.

وأمّا تفصيل حياته فقد نذكرها في مقامات.

المقام الأوّل: مولده ومنشأه

أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون[١] التميمي.

لا يوجد في المصادر التاريخي معلومات عن مولده ومنشأه، وما ذكر في هذا المجال كلّه ظنّ وتخمين. لكن لا ينبغي الغفلة من أنّه كان الأساس في المذهب الإسماعيلي على الستر فلذا لا نطّلع على أحوال زعماء هذه الفرقة إلّا على شيء قليل. وهذا الستر في الأحوال رسخ في الإسماعيليّة حتّى جهل تاريخ خلفاءهم. وفي هذا المجال قال عارف تامر ـ وهو من محقّقيهم المعاصر ـ عن المنصور وهو أحد خلفاء الفاطميّة في زمن القاضي النعمان: «لم يذكر التاريخ إلّا القليل جدّاً عن طفولته وشبابه. وكلّ ما عرف عنه أنّه عاش في كنف والده القائم بأمر الله وعاصر الأحداث»[٢].

أمّا المصادر التي يوجد شيء من أحوال النعمان فيها فالمصادر المتأخرة منها خالٍ عن تحقيق أو اكتشاف جديد وكلّ ما ذكر فيها مأخوذ من المتقدّمين. والمصادر المتقدّمة التي ذكرت أحوال النعمان، منها: كتاب «أخبار قضاة مصر»

---

(١) ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٥: ٤١٥.

(٢) تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر ٢: ٣٢.

لابن زولاق (م٣٨٦هـ) وهو أكثرهم تفصيلا وأدقّهم تحقيقاً، لكن هذا الكتاب لم ينته إلينا نفسه إلّا ما نقل عنه في المصادر. ومنها: كتاب «التاريخ الكبير» لعزّ الملك المسبّحي (م٤٢٠هـ)، وهو من المصادر المهمّة للتعرّف على شخصيّة النعمان، لكن لا يوجد من هذا الكتب أيضا إلّا جزء يسير منه والباقي لا أثر منه. والمصدر الثالث هو كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (م٦٨١هـ) التي نقل إلينا من المصدرين المتقدّمين مطالب لا يوجد في غيره.

ومع هذا كلّه نرى ابن خلّكان لم يذكر شيئاً عن مولد المؤلّف ومكان ولادته وَينقل وفات المؤلّف وموضع دفنه فقط.

وأمّا تخمينات مولده:

منها: أنّه ولد سنة ٢٥٩هـ[1].

منها: أنّه ولد سنة ٢٩٣هـ[2].

منها: أنّه ولد سنة ٣٠٢هـ[3].

منها: أنّه ولد بين سنة ٢٨٣ ـ ٢٩٠هـ[4].

---

(١) نقله المحقّق محمّد كامل حسين في مقدّمة كتاب الهمّة في آداب اتباع الأئمّة عن الأستاذ جونيل.
لكن هذا القول لا يمكن الخضوع له؛ لأنّ النعمان على هذا يصير من المعمّرين والحال أنّ المصادر لم ينقل شيئا في هذا مع أنّ كون أباه من المعمّرين صار موضعاً لتوجّه المؤرّخين ونقلوا مدّة حياته ١٠٤ سنة.

(٢) نقله المحقّق محمّد كامل حسين في مقدّمة كتاب الهمّة في آداب اتباع الأئمّة عن المحقّق آصف فيضي الإسماعيلي.

(٣) قاله المحقّق الإسماعيلي مصطفى غالب في تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٩٨.

(٤) مقدّمة المجالس والمسايرات: ٦.

ويمكن أن يقال إنّ النعمان ولد في العشرين الأخير من القرن الثالث الهجري؛ لأنه بناء على ما نقل النعمان عن نفسه أخذ أوّل منصبه في الحكومة الفاطمي سنة ٣١٣ وهو منصب «إنهاء الأخبار» إلى عبيد الله والقائم الذي طال إلى سنة ٣٢٢.

وبالتوجّه إلى هذا نقول: من الواجب أنّه وصل إلى حدّ من الرشد والبلوغ حتّى يمكن تعيينه في هذا المنصب، يعني أقلّ ما يمكن قبول هذا المقام وهو كونه بالغاً حدّ العشرين من السنّ.

واستمرّ القاضي النعمان في هذا المنصب مدّة خلافة القائم بأمر الله الخليفة الثاني من الفاطميين من سنة ٣٢٢ـ٣٣٤، ومع هذا اشتغل في مكتبة الحكومة بجمع الكتب واستنساخها لولده إسماعيل. ومن سنة ٣٣٤ ـ مصادفاً لابتداء خلافة إسماعيل الذي لقّب بالمنصور بالله ـ ارتقى منصبه إلى مرتبة القاضي[1].

---

(١) قال القاضي النعمان في المجالس والمسايرات: ٥١:

«أول لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص.ع) يوم قدمت من مدينة طرابلس، وكان المنصور بالله استقضاني عليها ثم نفذ إليّ أمره بالقدوم فقدمت»

وقال في صفحة ٥٧:

«لمّا استقضاني المنصور بالله (ص.ع) بالمنصورية»، وقال محقّق الكتاب توضيحا لهذا الكلام: «سمّي النعمان قاضياً على المنصورية سنة ٣٣٧ عند فراغ المنصور من بناءها مباشرة ولم يكن مسجدها الجامع قد بني بعد»

وقال القاضي النعمان في المجالس والمسايرات: ٧٩:

«وخدمت المهدي بالله (صلع) من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأيّاماً. والإمام القائم بأمر الله من بعده (صلع) أيّام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كلّ يوم طول تلك المدّة إلّا أقلّ الأيّام... وكنت أخدم المنصور بالله (صلع) بعض أيّام المهدي بالله (صلع) وأيّام القائم (صلع) كلّها، وكانت

وأمّا تخمينات مكان ولادته:

بالنظر إلى القرائن الموجودة ذُكر احتمال واحد عن منشأه وهو احتمال ذكره الزركلي في الأعلام قائلاً: «من أهل القيروان مولدا ومنشأ»[1].

ولعلّه نشأ من أنّه ذُكر في المصادر أنّ النعمان دفن والده بعد وفاته بالقيروان. قال ابن خلّكان عن والد النعمان: «وتوفّي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وصلّى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ودفن في باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان عمره مائة وأربع سنين»[2].

والقاضي نفسه بعد خدمته في مختلف الجهات في حكومة الفاطميين توفّي سنة ٣٦٣ وصلّى عليه المعزّ الفاطمي ودفن في داره بالقاهرة.

← له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصي عددها. وكانت خدمتي إيّاه في جمع الكتب له وانتساخها فلمّا قبض القائم (صلع) استقضاني قبل أن يظهر أمره وكنت أوّل من استقضاه من قضاته»

وقال محقّق الكتاب توضيحا لهذا الكلام: «نستنتج من هذه الإشارة ومن سابقتها ثلاثة أمور في حياة النعمان: أ) أنّه لم يتولّ القضاء إلّا للمنصور، وذلك منذ وفاة القائم في شوّال ٣٣٤ وَقبل أن يعلن أمره، أي قبل أن يرتقي إلى الخلافة علانية في سنة ٣٣٦. ومعلوم أنّ المنصوريّة أسّست سنة ٣٣٦. فالنعمان كان قاضي إقليم ثم صار قاضي القضاة على كامل إفريقيّة. ب) غير أنّه خدم المهدي في التسع الأواخر من خلافته، ثمّ القائم بخطّة «صاحب الخبر» المعروفة في الدولة العبّاسية مثلا. ذاك ما نفهمه من عبارة النعمان «إنهاء أخبار الحضرة إليهما». ج) كما كان في نفس الوقت يخدم المنصور بالسهر على مكتبته».

(١) الأعلام ٨: ٤١.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٤١٦.

المقام الثاني: أثرته

لم يذكر في صفحات التاريخ عن الرجال الإسماعيلي إلّا شيء قليل، وما ذكر عنهم فقد زال في حرب صلاح الدين الأيوبي الذي جهل أمر العلم.

وأمّا أثرة النعمان فقد تكلّم التاريخ عن ثلاث شخصيات متّصلة به، وهم: أبوه محمّد بن منصور وإبناه علي بن النعمان ومحمّد بن النعمان.

وأمّا أبوه أبو عبد الله محمّد بن منصور التميمي:

كلّ ما ذكر عنه في التاريخ توصيف وجيز ذكره ابن خلّكان، فإنّه قال: «كان والده أبو عبد الله محمّد قد عمّر ويحكي أخباراً كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين. وتوفّي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وصلّى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ودفن في باب سلم وهو أحد أبواب القيروان، وكان عمره مائة وأربع سنين»[1].

ونقل ابن خلّكان عن ابن زولاق كلاماً تدلّ على أنّ الوالد كان من دعاة الإسماعيلية. فإنّه قال في ترجمة القاضي النعمان: «ذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعزّ وذكر أولاده وقضاة المعزّ، فقال: قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمّد الداعي»[2].

فقد ذكر ابن زولاق أنّ النعمان كان قاضيا واصلا مع المعزّ إلى المغرب فعلى هذا التوصيفُ بـ«الداعي» في كلامه يرجع إلى الوالد قطعا.

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ٤١٦.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٤١٦.

وذكر محمّد بن حارث الخُشَني في كتابه «طبقات علماء افريقية» عند الكلام عن باب سمّاه «باب ذكر من شرّق ممّن كان ينسب إلى علم من أهل القيروان» شخصاً سمّاه «محمّد بن حيّان» احتمل أن يكون هو والد قاضي النعمان. ووصفه هكذا: «محمّد بن حيّان الذي كان شيخنا عالي السنّ وكان صاحب الصلاة بسوسة، وكان مدنيا صحب ابن سحنون فتشرّق فكان لذلك مستترا»[1].

وعلى هذا فقد ذكر الخشني والد النعمان مقارناً مع اسم جدّه.

وأمّا إبناه علي بن النعمان وأبو عبد الله محمّد بن النعمان.

نكتفي هنا بكلام ذكره ابن خلكان:

قال: «كان لأبي حنيفة أولاد نجباء سروات.

فمنهم أبو الحسن علي بن النعمان أشرك المعزّ المذكور بينه وبين أبي طاهر محمّد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بحير بن صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في الحكم ولم يزالا مشتركين فيه إلى أن توفّي المعزّ وقام بالأمر ولده العزيز نزار وقد تقدّم ذكره أيضا. فردّ إلى القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين

---

(١) طبقات علماء إفريقية: ٢٢٣.

قال القاضي النعمان في افتتاح الدعوة: ٧٩ توضيحاً لكلمة «تشرّق»:

«اشتهر أمر أبي عبد الله ببلد كتامة وسمّي المشرقيّ، لقدومه من المشرق. ثمّ نسب إليه كلّ من بايعه ودخل في دعوته، وسمّوا المشارقة. وإذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل: تشرّق».

والتعبير من الخشني بكونه مستترا لذلك يناسب أيضا مع كلمة «شرّق» لأنّ هذه الكلمة في الواقع كناية عن صيرورته شيعيا، وَكان أبو عبد الله نفسه شيعياً وقد عرف في التاريخ بأبي عبد الله الشيعي، وقد اجتهد في دعوة الناس إلى مذهبه حتّى دخل كثير من الناس فيه قبل قدوم أوّل خليفة من الفاطميين، واستعدّ الناسَ لقدومه.

ودار الضرب، وهما على الاشتراك في الحكم. واستمرّا على ذلك إلى أن لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقّه ومنعته من الحركة والسعي إلّا محمولاً، فركب العزيز المذكور إلى الجزيرة التي بين مصر والجيزة في مستهلّ صفر سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، فحمل أبو طاهر إليه فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة، فرآه نحيلا وسأله استخلاف ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف، فحكي عن العزيز أنّه قال ما بقي إلّا أن تقدّدوه.

ثم قلّد العزيز ثالث هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان المذكور القضاء مستقلّا فركب إلى جامع القاهرة وقرئ سجلّه ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر وقرئ سجلّه وكان القارئ أخاه أبا عبد الله محمّد بن النعمان. وكان في سجلّه القضاء بالديار المصريّة والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز، والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة والموازين والمكاييل. ثمّ انصرف إلى داره في جمع عظيم ولم يتأخّر عنه أحد...ثمّ إنّ القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمّداً، وفوّض إليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار فخرج إليها واستخلف بها ثمّ عاد ثم سافر العزيز إلى الشام في سنة سبع وستّين وسافر معه القاضي أبو الحسن المذكور. وجلس أخوه محمّد مكانه للحكم بين الناس وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفنّناً في عدّة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر وأيّام الناس وكان شاعراً مجيداً في الطبقة العليا...ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرّاً على أحكامه وافر الحرمة عند العزيز حتّى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر في الأحكام، فقام من وقته ومضى

إلى داره وأقام عليلا أربعة عشر يوما، وتوفّي في يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وأخرج تابوته من الغد إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجبّ عند الموضع المعروف الآن بالبركة، فوضع التابوت بالمسجد المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز إليه من مخيمه حتّى صلّى عليه في المسجد وردت الجنازة إلى داره بالحمراء فدفن فيها. والحمراء محلّة بمصر وهي ثلاث حمراوات و إنّما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها.

وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمّد المذكور في هذه الترجمة وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا، فقال له: إنّ القضاء لك من بعد أخيك ولاتُخرجه عن هذا البيت.

وكانت مدّة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام. وكانت ولادته بالمغرب في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلاثمائة»[1].

وقال ابن زولاق في فضائل مصر:

«أمّا قضاتها [أي قضاة مصر] منذ فتحها إلى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فهم واحد وستّون قاضيا، أوّلهم قيس بن أبي العاص، وآخرهم علي بن النعمان»[2].

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ٤١٧.

(٢) فضائل مصر لابن زولاق: ٢٧.

المقام الثالث: كلام العلماء فيه

كلّ من ذكره فقد عرّفه بالعلم والفضل ولافرق في ذلك بين مخالفيه في المذهب وموافقيه.

ومن جملتها:

المعزّ الفاطمي الذي ذكر فيه ـ على ما نقل عنه ـ: «من أتى بعشر عشير ما أتى به النعمان ضمنت له عند الله الجنّة»[١].

وقال ابن زولاق ـ على ما نقله ابن خلكان ـ: «النعمان بن محمّد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيّام الناس مع عقل و إنصاف»[٢].

وقال المسبّحي ـ على ما نقله ابن خلّكان ـ: «كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه»[٣].

وقال ابن خلكان: «أحد الأئمة الفضلاء»[٤].

وقال الإدريس عماد الدين الداعي الإسماعيلي (م٨٧٢هـ): «كان للقاضي النعمان بن محمّد (قس) مع الأئمة (ع.م) الذين عاصرهم المكان المكين، والمنزلة التي يقلّ فيها المماثل والقرين»[٥].

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٤٩.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٤١٦.

(٣) وفيات الأعيان ٥: ٤١٥.

(٤) وفيات الأعيان ٥: ٤١٥.

(٥) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٣٨.

وقال أيضا بعد صفحات: «فضائل القاضي النعمان بن محمّد (قس) مشهورة، ومناقبه مأثورة مذكورة، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ع.م): من أتى بعشر عشير ما أتى به النعمان ضمنت له عند الله الجنة»[1].

وقال الزركلي: «من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ»[2].

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٤٩.

(٢) الأعلام ٨: ٤١.

المقام الرابع: ألقابه

لُقِّب ابن حيّون بعدّة ألقاب دلّت على مكانته الكبيرة ومنزلته السامية في العلم وتسنّم مناصب عليا في الدولة الفاطميّة. ومن الألقاب التي أُطلقت عليه هو «أبو حنيفة الشيعي[1]، وسيّدنا القاضي[2]، وابن الفيّاض[3]، وأبو حنيفة[4]، والمشرّع الإسماعيلي[5]، وقاضي القضاة[6]، وداعي الدعاة[7]، وصاحب الخبر[8]».

---

(١) العبر في خبر من غبر للذهبي ٢: ٣٣٧.

(٢) أعلام الإسماعيلية: ٥٨٩.

(٣) معالم العلماء ١٦١.

(٤) وفيات الأعيان ٥: ٤١٥، مرآة الجنان لليافعي ٢: ٢٨٥.

(٥) الأعلام الإسماعيلية: ٥٩٠.

(٦) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٣٨.

(٧) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٣٨. على ما يفهم من كلامه.

(٨) المجالس والمسايرات: ٧٩، عن محقّق الكتاب في الهامش.

المقام الخامس: مذهبه وعقيدته

قد بُحث عن عقيدة النعمان في جهتين: الأولى: قبل وروده في حكومة الفاطميين. الثانية: بعد وروده في الحكومة.

أمّا الجهة الأولى: فقد ذكرت ثلاث احتمالات لا يسند شيء منها إلى وثائق تاريخيّة، بل كلّها ظنّ من المحقّقين.

الاحتمال الأوّل: كونه مالكيّا. والباعث على هذا الاحتمال كون المذهب الغالب في المغرب في زمن النعمان هو المذهب المالكي والمذاهب الأخر كانت قليلة بالنسبة إليه. وهذه القلّة وصلت إلى حدّ أنّ بعض المؤرّخين عدّوا قبائل الشيعة وهو ينبئ عن قلّتهم. وعلى هذا قال ابن خلّكان: «كان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإماميّة»[١]. وقد أتبعه في هذا القول أكثر من جاء بعده على ما لا مزيد عليه. وهذا هو القول المشهور بين المحقّقين.

الاحتمال الثاني: كونه حنفيًا. ذكره ابن تغرى بردي (م٨٧٤هـ)، وقال: «كان حنفي المذهب لأنّ الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفيّة»[٢].

وهذا الاحتمال باطل؛ لأنه استند في قوله إلى دليل باطل؛ لأنّ جميع من تكلّم عن تاريخ المغرب في القرن الثالث فقد ذكر أنّ المذهب الغالب هو المذهب المالكي.

الاحتمال الثالث: كونه إسماعيلياً. ذكره جمع من محقّقي الإسماعيليّة

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ٤١٥.

(٢) النجوم الزاهرة ٤: ١٠٧.

مثل آصف فيضي، وعارف تامر، ومصطفى غالب[1].

ونقول: على الرغم من أنّ المصادر لم يذكر إلّا القليل من حياة النعمان لكنّ الآثار والشواهد التاريخيّة يشهد بأنّ النعمان كان إسماعيليّاً منذ نعومة أضفاره. لا سيّما أنّا استفدنا من عبارة ابن خلّكان أنّ والد النعمان كان من دعاة الإسماعيليّة، كما أنّ مصطفى غالب صرّح بهذا. والشواهد على هذا متعدّدة، ومن جملتها المناصب المتعدّدة التي جُعل على عهدة النعمان.

فإنّه كان في ابتداء الأمر مأموراً لإنهاء الأخبار إلى الخليفة، وبعد زمن صار أميناً على المكتبة الإسماعيلية، وفي هذا الوقت نفسه كان معلّما لابن الخليفة إسماعيل، وفي النهاية جُعل قاضياً لقضاة الدولة.

ومن عرف السترفي الإسماعيليّة فقد كفاه كون شخص مأموراً لإنهاء الأخبار، أو كونه أميناً على المكتبة الإسماعيلي في المذهب الذي جُعل قراءة الكتب على قدر مرتبة الشخص في المذهب، وحُرِّم على من تجاوز حدّه وَقرأ الكتب العليا. فمن جُعل أميناً على المكتبة وجمع الكتب واستنساخها فما هي مرتبته في المذهب الإسماعيلي؟! ونضيف إلى هذا أنّ الخليفة الإسماعيلي يصرّعلى استقرار منصب القضاء في بيت النعمان بعد وفاته.

هذا كلّه ينبئ عن كون هذه الأثرة في المرتبة العليا من المذهب التي بعثت الخلفاء لتكريمهم.

الجهة الثانية: بعد وروده في الحكومة. فقد ذكر احتمالان.

---

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيليّة: ١٩٨.

الاحتمال الأوّل: كونه إسماعيلياً. ذكر هذا أكثر من كتب عن حياة النعمان، أو ذكره في أثناء مباحثه.

الاحتمال الثاني: كونه إماميّاً إثنى عشريّاً.

ذكر هذا الاحتمال بعضُ علماء الإماميّة قائلاً: إنّ النعمان كان في ستر التقيّة وقد جعل الحكومة وسيلة لانتشار عقائده. ومن جملة من ذكر هذا الاحتمال هو: العلّامة المجلسي، الآغا بزرك الطهراني، السيّد بحر العلوم، المحدّث النوري، الكاظمي صاحب مقابس الأنوار، المامقاني، محمّد تقي التستري (رحمهم الله وأسكنهم جنّته).

وعندي أنّ من نظر إلى تأليفات النعمان يذعن أنّه لا أثر من كونه إثنى عشريّاً في آثاره. وأمّا من قال بأنّه كان إماميّاً نشأ كلامه من دراسة كتاب الدعائم فقط، وجعله عمدة لتحقيق قوله، وتوصّل به للوصول إلى المقصود، وإن كان كلّ ما ذكر عن الاحتمالات حول التقيّة يمكن الجواب عنه وقد أجيب أكثرها، لكن دراسة كتاب واحد عن المؤلّف لا يوصلنا إلى المطلوب ولايكشف الغطاء عن الحقّ.

وبالتالي نقول: إنّ النعمان كان إسماعيلياً منذ نعومة أضفاره لكنّه لا يوجد في كلامه خلاف شديد مع الإماميّة.

وبالختام نذكر كلاماً لأحد مراجع التقليد المحقّقين البارزين في التحقيق، قال المرجع الديني السيّد علي الحسيني السيستاني (أدام الله ظله) ـ على ما نقل عنه في تقريرات درسه ـ: «كان من علماء الإسماعيلية، .. وربما توهّم بعضهم أنّ القاضي نعمان من رجال الشيعة الإماميّة استناداً إلى شبهات ضعيفة أجبنا عنها في محلّه... أمّا مراجع الكتاب ـ يعنى دعائم الاسلام ـ

ومصادره: فالذي يظهر بمراجعة ما ورد فيه من الأحاديث، ومقايسته مع مصادر الحديث عند الشيعة الإماميّة، إنة كان يرجع إلى كتبهم ويعتمدها في نقل الروايات، فإنّ جملة ممّا تضمّنه من الأخبار ممّا لا إشكال في أنّه أخذها من مصادرهم، حتّى أنّه اشتبه في بعض المواضع فنقل رواية عن أبي جعفر عليه السلام ظنّاً منه أنّه الباقر عليه السلام بينما هو الجواد عليه السلام، فظنّ المحدث النوري وآخرون أنّه تعمّد الإبهام وجعلوا ذلك من أمارات كونه إماميّاً.

والظاهر أنّ الذي دعاه إلى الاعتماد على مصادر الإماميّة في تأليف كتابه هو أنّ الإسماعيليّة منذ تكوّنهم في زمن الصادق والكاظم عليهما السلام، لم يكن من مسلكهم نقل الأحاديث والاهتمام بضبطها وإنّما كانت غاية اهتمامهم بالجوانب السياسيّة والاجتماعيّة للإمامة. ولمّا وُفّقوا لتشكيل دولتهم في المغرب واستولوا على مصر وبنوا القاهرة وأسّسوا الجامع الأزهر، احتاجوا إلى الفقه والحضارة والقانون فاضطرّ عالمهم المبرز آنذاك القاضي نعمان إلى تأليف كتاب الدعائم، والاعتماد فيه على مصادر الآخرين، لما لم يكن لسلفهم كتب في هذا المضمار»[1].

---

(١) قاعدة لا ضرر ولاضرار ـ تقرير بحث السيّد السيستاني: ٦٣.

المقام السادس: آثاره

لقد اجتهد القاضي النعمان في عرصة التأليف ولم يمنعه الاشتغال في الحكومة، بل وصّى بقراءة كتبه أكثر من جاء بعده من علماء الإسماعيليّة، بل عدّوا قراءة بعض تأليفاته واجباً لمن يريد تعلّم المذهب الإسماعيلي.

ومؤلّفات النعمان يعدّ من أنفع الكتب في المذهب الإسماعيلي حتّى جُعل كتابه دعائم الإسلام قانوناً رسميّاً في الحكومة وَاستفادوا منها مدّة طويلة حتّى أذعن منهم أنّ بعض أحكامه معتبر إلى الآن بين الإسماعيلية ويعدّ قانوناً رسمياً عندهم.

ومن المهمّ الذي لا يمكن الغفلة عنه أنّ النعمان كان يعرض مؤلّفاته على الخلفاء الفاطمي خصوصاً المعزّ الفاطمي، وبالتالي يغيّر المطالب أو يصحّحها مطابقاً لنظرهم.

ونورد هنا كلام جماعة من العلماء عن مؤلّفاته.

قال القاضي النعمان في المجالس والمسايرات:

«قد سمعت بعضهم يحرّض بعضاً في الاجتماع لقراءة كتاب دعائم الاسلام الذي بسطه المعزّ لدين الله لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبّوا استماعه وقراءته وانتساخه والتعلّم منه والتّفقّه فيه»[1].

وقال ابن زولاق: «ألّف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع»[2].

---

(١) المجالس والمسايرات: ٣٠٦.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٤١٥.

وأحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمّد الكرماني (م٤١٢هـ) الداعي الكبير الإسماعيلي ذكر في مقدّمة كتابه «راحة العقل» الكتبَ التي يجب أن تقرأ قبل قراءة راحة العقل، ومن هذه الكتب كتاب «الطهارة» و«دعائم الإسلام» و«الاقتصار» و«المغازي» و«شرح الأخبار» و«المناقب والمثالب»[١]، وهذه كلّها من تأليفات القاضي النعمان.

وقال إدريس عماد الدين الداعي الإسماعيلي (م٨٧٢هـ):

«فضائل القاضي النعمان بن محمّد (قس) مشهورة ومناقبه مأثورة مذكورة، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين المعزّ لدين الله: من أتى بعشر عشير ما أتى به النعمان ضمنت له عند الله الجنة»[٢].

وقال حسن الأمين:

«قد أتبعه [يعنى دعائمَ الاسلام] القاضي النعمان بكتاب تأويل دعائم الإسلام وإسمه الكامل:

كتاب تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الإسلام، وهو في ذكر التأويل الباطني للأحكام والفرائض التي وردت في كتاب دعائم الإسلام، وهو من أهمّ كتب التأويل عند الإسماعيلية، وعليه اعتمد الدعاة بعد النعمان»[٣].

---

(١) راحة العقل: ١٠٩.

(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار ٦: ٤٩.

(٣) مستدركات أعيان الشيعة ٢: ٣٤٠.

وقال أيضاً:

«مهما يكن من شيء فالقاضي عبد العزيز بن محمّد هو أوّل من ولي النظر على دار العلم وكان يجلس في الجامع ويقرأ على الناس كتاب جدّه النعمان «اختلاف أصول المذاهب»»[1].

والمجدوع الذي هو من علمائهم عدّ كثيراً من مؤلّفات النعمان في كتابه «الفهرست» وجعل قراءتها لازما في المراتب المختلفة.

والكتب التي عدّها المجدوع في كتابه وجعل قراءتها لازماً هي ما تلي:

في باب المواعظ والنصائح والآداب:

١ـ الهمّة في آداب إتباع الأئمة. هو أحسن كلّ كتاب جمع وصنّف فيما هو عليه ممّا يجب على المؤمن لإمام زمانه (ع.م). ولا أعلم أنّ أحداً من كتب خزانة الدعوة اشتمل في باب الأئمّة وآدابهم من المؤمنين بأبلغ من العبارة وأجمعها بمثل ما اشتمل عليه منه هذا الكتاب. وكثيرامّا سمعنا ورأينا استادنا المولى الفاضل والعالم العاقل لقمان بن حبيب الله (قس) وجعل مملوكه من كلّ سوء فداءه ما يذكر من وصفه ويطالع فيه. ٢ـ المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات.

وفي باب سيرة أهل البيت وتاريخهم ومناقبهم وَفضائلهم وذكر الخطب والكلمات عنهم عليهم السلام:

١ـ المناقب لأهل بيت رسول الله النجباء والمثالب لبني أميّة اللعناء.

---

(١) مستدركات أعيان الشيعة ٢: ٣٤٢.

٢ـ افتتاح الدعوة وابتداء الدولة. ٣ـ شرح الأخبار في فضل الأئمّة الأطهار.
٤ـ اختلاف أصول المذهب. ٥ـ كتاب التوحيد.

وفي باب علم التأويل والباطن:

١ـ أساس التأويل في الباطن. ٢ـ تأويل الدعائم. ٣ـ رسالة مفاتيح النعمة[1].

ويقول محمّد كامل حسين:

«لا أغالي إذا قلت: إنّ النعمان هو أوّل من دوّن فقه المذهب الفاطمي، فلا أكاد أعرف فقيها من فقهاء المذهب قبله كتب في هذا الفنّ، وبين يديّ الآن كتاب المرشد إلى أدب الإسماعيليّة وهو ثبت لأسماء المؤلّفين والكتب الإسماعيلية، وأمامي فهرست ابن النديم، ومجموعة خطيّة قديمة لمؤلّف مجهول جمع فيها أسماء الكتب التي ألّفت منذ أوائل الدعوة الإسماعيلية، فلم أعثر في هذه الكتب كلّها على كتاب واحد في الفقه الإسماعيلي قبل القاضي النعمان بن محمّد.

فلا غرو أن يعرف المعزّ فضلَ هذا العالم وأن يرفعه إلى أعلى الدرجات، ولا سيّما أنّ النعمان ذكر في كتبه أنّه اقتبس هذه العلوم عن الإمام. ويحدّثنا المؤيّد في الدين في سيرته أنّ الوزير اليازوري قال له: إنّ النعمان بنى هذا الأمر وإنّ أحقّ الناس بمكانه أبناؤه.

فالنعمان إذن قد أدّى للدعوة الفاطميّة هذا الفضل الذي عرفوه له، إذ لا

---

(١) الفهرست للمجدوع. وهذه الكتب مبثوثة في فهرسته وفي مختلف الأبواب التي ذكرناها.

يزال علماء الدعوة يعيشون على الفقه الذي وضعه لهم النعمان، وربما على التأويل الذي ذكره في كتبه»[1].

ويقول أيضاً مصطفى غالب عن أهمّية كتب القاضي النعمان: «تعتبر مؤلّفاته من الدعائم القويّة التي ركّز عليها المذاهب الإسماعيلي ولاتزال كتبه حتّى يومنا هذا من أقوم الكتب لدى الإسماعيلية»[2].

وأمّا فهرست تأليفات القاضي النعمان على ما نقله مصطفى غالب عن المستشرق الروسي ايوانوف هي:

«في الفقه:

١ـ كتاب الايضاح ٢ـ مختصر الإيضاح ٣ـ الأخبار في الفقه ٤ـ مختصر الآثار فيما روي عن الأئمّة الأطهار ٥ـ الاقتصار ٦ـ المنتخبة ٧ـ دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام ٨ـ منهاج الفرائض ٩ـ الاتّفاق والافتراق ١٠ـ المقتصر ١١ـ الينبوع.

في الأخبار:

١٢ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار في ستّة عشر جزءاً ١٣ـ قصيدة ذات المحن ١٤ـ قصيدة ذات المنن.

في الحقائق:

١٥ـ تأويل دعائم الإسلام ١٦ـ تأويل الشريعة ١٧ـ أساس التأويل ١٨ـ شرح

---

(١) أدب مصر الفاطميّة: ٧١.

(٢) الأعلام الإسماعيليّة: ٥٩٠.

الخطب التي لأمير المؤمنين ١٩ـكتاب التوحيد والإمامة ٢٠ـإثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق ٢١ـحدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل ٢٢ـنهج السبيل إلى معرفة علم التأويل ٢٣ـالراحة والتسلّي.

في الردّ على المخالفين:

٢٤ـاختلاف أصول المذاهب ٢٥ـالرسالة المصرية في الردّ على الشافعي ٢٦ـالردّ على أحمد بن سريج البغدادي ٢٧ـذات البيان في الردّ على ابن قتيبة ٢٨ـدامع الموجز في الردّ على العتقى.

في العقائد:

٢٩ـقصيدة المختارة ٣٠ـكتاب الهمّة في آداب اتباع الأئمّة ٣١ـكتاب الطهارة ٣٢ـالأرجوزة ٣٣ـالدعاء ٣٤ـعبادة يوم وليلة ٣٥ـمفاتيح النعمة ٣٦ـكيفيّة الصلاة على النبي ٣٧ـالتعقيب والانتقاد ٣٨ـالتقريع والتأنيف ٣٩ـكتاب الحلى والثياب ٤٠ـالشروط ٤١ـمنامات الأئمّة ٤٢ـتأويل الرؤية.

في التاريخ والوعظ:

٤٣ـرسالة إلى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين ٤٤ـالمجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات ٤٥ـمعالم الهدى ٤٦ـالمتاعب لأهل بيت رسول الله ٤٧ـافتتاح الدعوة.

وهنالك عدد آخر من الكتب التي تنسب للقاضي النعمان موجودة لدى الاسماعيليّة السوريين منها:

١ـالرسالة المذهبة في فنون الحكمة وغرائب التأويل ٢ـرسالة الرشد والهداية

٣ـ أجوبة الإمام المعزّ على القاضي النعمان ٤ـ البيان في معرفة إمام الزمان»[1].

من اللازم التوجّه إلى أنّ أسماء كتب النعمان تواجه الخلاف أحياناً، وقد يُذكر كتاب واحد بأسماء مختلفة في المصادر.

---

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيليّة: ١٩٩ ـ ٢٠٢.



الفصل الثاني: كتاب التوحيد

وأمّا البحث حول كتاب التوحيد يقتضي الكلام عنه في مقامات.

المقام الأوّل: انتساب الكتاب إلى القاضي النعمان

لإثبات انتساب كتاب إلى شخص طريقان:

الطريق الأوّل: نسخ الكتاب

هذا الطريق من أهمّ الطرق لإثبات انتساب الكتاب ويمكن الاستناد إليه وهو على درجات، والدرجة الأعلى منها هي تأييد نسخة الكتاب يداً بيد في طول الزمان مع العلم بالأشخاص الذين أيّدوها في الأزمنة المتعدّدة.

هذا الطريق له أهمّية كبيرة في النسخ ولا يمكن الإغماض عنه وتجعل النسخة نفسها من النسخ النفيسة. وأمّا في التراث الإسماعيلي مع الأسف لا يوجد هذا الطريق لأنهم كانوا قائلين بالستر والمراتب في العلوم، فالكتب التي بقي في الأيّام ووصل إلينا لا يعلم كيف وصل ولا يعلم كيف بقي.

ومن جهة أخرى إنّ في المكتب الإسماعيلي عيّن مراتب لقراءة الكتب ولا يجوز قراءة كتب المراتب الأعلى لمن هو دون هذه المرتبة وهذا الأمر مسلّم عند

الإسماعيليّة. ومن جملة شواهدها كلام ناسخ كتابنا هذا في آخر النسخة حيث يقول: «قد تمّ الموجود من كتاب التوحيد وهو يشتمل على جزئين، ومن وجده فليتمّمه، ولا يقرأ هذا الكتاب إلّا بإذن صاحب الأمر والدعوة الهادية، وإلّا حرامٌ غير جائز النظر».

وهذه القاعدة توجب أن تكون بعض الكتب مخصوصة بأفراد خاصّ حتّى بين الإسماعيليّة. فبقاء الكتب يواجه مع مشكلة؛ لأنّ الكتب ليست متوفّرة لدى جميع الناس، وبالتالي لا يهتمّ أكثر الناس لمحافظة الكتب واستنساخها. وكتاب التوحيد للقاضي النعمان المغربي لا يستثنى من هذه القاعدة المضادّة للعلم، وطريقنا إلى هذا الكتاب هو الوجادة.

الطريق الثاني: الشواهد الداخلية والخارجية

أمّا الشواهد الخارجية يمكن أن يكون تأييد أشخاص في أزمنة مختلفة الذين رأوا هذا الكتاب أو نقلوا عنه.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى الشيخ إسماعيل المجدوع الأجيني بن عبد الرسول (م١١٨٣هـ) الذي صنّف كتابه المشهور بـ«الفهرست» وعدّ فيها كتباً من الإسماعيلية. ولا يكون هذا الكتاب مجرّد إخبار عن وجود الكتب، بل من عادة المؤلّف أن يذكر محتوى الكتاب ويشرحه مختصراً وأحيانا ينقل أبعاض متن الكتاب.

قال المجدوع عن كتاب التوحيد:

«ومنها كتاب التوحيد لسيّدنا القاضي النعمان بن محمّد (قس). قال [في]

ابتداء الكتاب: «فبسطت هذا الكتاب ـ على ما قدّمت ذكره ـ في إثبات حقيقة توحيد الله ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له، بما جاء في ذلك[١] من اللفظ وغامض المعاني بمبلغ علمي. وعرضت ذلك بعد أن جمعته على إمام الزمان الذي أمر بجمعه، فنَقّحه وصحّحه، وأمرني بنشره.

وابتدأت فيه بذكر خطبة لأمير المومنين عليّ بن أبي طالب (عم) تعرف بالوحيدة، وهي قوله: الحمد لله القديم الدائم، الحيّ الأحد، الواحد الصمد، الذي لم يزل أوّلاً بلا توهّم غاية..» وأورد بعد الخطبة المذكورة وشرحها خطبته المعروفة وهي قوله: «الحمد لله الذي خلق الأرواح والأجسام..» ثمّ خطبته أعني عليّ عليه السلام التي مطلعها: «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد..» ثم توحيداً له مطلعه: «الحمد لله الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير..» ثم تحميداً له (عم) وتوحيداً مطلعه: «الحمد لله ذي الألوهيّة والوحدانيّة الذي خلق الخلق..» ثم توحيداً مطلعه: «الحمد لله الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال إلى غير نهاية ولا انتهاء له..» ثم توحيداً له أيضا، «وقد أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! هل تصف لنا خلق السماوات والأرض والجبال والبحار، وكيف كان بدؤ ذلك؟ فقبض عليه السلام بيده على لحيته وهي بيضاء وهملتا عيناه، ثمّ قام فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي توحّد بالربوبيّة، وتفرّد بالألوهيّة..» ثمّ ما

---

(١) سقط هنا شيء من الألفاظ ثابت في نسخ كتاب التوحيد وهو قوله: «عن الأئمة من أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله أجمعين ـ ممّا أثروه وانتقل فيهم عنه، وبما ذكرته ممّا أقامني عليه ولخّصه لي منه وأمرني ببسطه وليّ الزمان مولاي الإمام المعزّ لدين الله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ. وشرحت غريب ما جاء في ذلك».

روي عنه (عم) «أنّ رجلاً أتاه، فقال له: يا أميرالمؤمنين! هل تصف لنا ربّاً؟ فتغيّر وجهه، ثمّ قام فرقى المنبر، وقال: الحمد لله الذي لا يعوزه المنع..» وإلى هاهنا ـ أعني الشيء اليسيرمن شرح هذه الخطبة المذكورة ـ هذا الكتاب موجود. والله أعلم كم يكن باقيه»[1].

ويوجد أشخاص متقدّم زماناً عن المجدوع ذكروا مؤلّفات النعمان لكنّهم لم يذكروا وصف الكتب ومحتواه ولهذا لا يمكن جعلهم مؤيّداً للكتاب هذا.

وأمّا الشواهد الداخلية فيمكن الإشارة إلى موارد.

منها: أنّه في ثلاثة موارد من هذا الكتاب بحث القاضي النعمان عن مسألة وَأحال التفصيل إلى كتبه الأخرى، ويمكن دراسة هذه المباحث في كتبه الأخرى للوصول إلى حقيقة الحال وانتساب الكتاب إلى النعمان. أحال في موردين إلى كتابه «اختلاف أصول المذاهب» وأحال في مورد منها إلى كتابه «أساس التأويل».

أمّا الأوّل الذي هو من الإرجاع إلى كتاب اختلاف أصول المذاهب، هو مسألة الشريعة وحدودها التي تكلّم حولها مختصراً وأحال تفصيلها إلى كتبه الأخرى ويقول:

«وفي هذا كلام يطول ذكره ويخرج عن مثل معنى هذا الافتتاح، وقد أثبتُّ في هذا الكتاب بعضه وفي غيره ممّا صنّفته، وأوعبت من ذلك في كتاب اختلاف أصول المذاهب الذي ألّفته».

---

(١) الفهرست للمجدوع: ١١٢.

إنّ كتاب اختلاف أصول المذاهب يبحث عن اختلاف الأمّة بعد رسول الله ﷺ، وأنّ بعضهم يعمل بالقياس، وبعضهم بالاستحسان، وبعضهم بالأهواء والآراء الشخصيّة، فألّف النعمان كتابه لتبيين المنهج الصحيح للبحث في الشريعة. وقد استعان بالآيات والروايات لاثبات أنّ المنهج الصحيح هو الأخذ بالكتاب وعترة رسول الله صلّى الله عليهم أجمعين.

ويمكن أن يقال أنّ القطعة الملحوظة لدى المؤلّف الّتي أحال إليها هو البحث الذي أورده في الجزء الأوّل من كتابه، وعنوانه هكذا: «الباب الثالث: ذكر الردّ على المختلفين في أحكام الدين، القائلين فيما اختلفوا فيه بآراءهم وأهواءهم». وقد أورد النعمان في هذا الباب كلّ ما أورده في كتاب التوحيد وأضاف إليها ضعفاً من الآيات لإثبات أنّ المنهج الصحيح هو التمسّك بكتاب الله وعترة نبيه.

أمّا الثاني الذي أحال إلى كتابه اختلاف أصول المذاهب هو البحث عن كلمة «صمد» ومعناها التي بحث عنها، حيث يقول:

«فعلى مثل هذا من آراءهم السيّئة ورواياتهم الفاسدة تأوّلوا كتاب الله ـ جلّ وعزّ ـ وصفاته وأسمائه من غير أخذ لذلك عن الرسول الذي أمر بالبيان، ولا عن من أثر ذلك عنه، وكذلك أخذوا عامّة دينهم. والكلام في الردّ في ذلك عليهم يطول ويخرج عن حدّ هذا الكتاب، وقد أثبتناه في كتاب أصول المذاهب».

يبحث المؤلّف في هذا الموضع عن كلمة الصمد ويوضّح معناه. وأمّا في كتابه اختلاف أصول المذاهب كما قلنا فيما سبق ردّ على من تمسّك

بالقياس والاستحسان والعقل والآراء. فالبحث عن كلمة الصمد و إن لم يكن مذكورا في كتاب اختلاف أصول المذاهب، لكن من الواضح أنّ الإحالة إلى كتابه هو الإحالة للبحث عن ردّ من تمسك بالقياس والاستحسان وغيرهما الّتي ألّف النعمان كتاب اختلاف أصول المذاهب لهذه، وبحث في كلّ الكتاب عن هذه المباحث.

والثالث الذي هو الإحالة إلى كتابه أساس التأويل هو البحث عن الظاهر والباطن والتفاسير المختلفة في هذا المجال، حيث يقول:

«وفي هذا كلام يخرج لطوله عن حدّ هذا الكتاب، وهو مثبت في كتاب إنهاج السبيل إلى علم التأويل، و إنّما ذكرنا من ذلك ما ذكرناه لما جاء من ذكر الظاهر والباطن».

إنّ السبب في تأليف كتاب أساس التأويل هو البحث عن تأويل ظواهر الشريعة. وقد بحث في هذا الكتاب بعد المقدّمة وجعل عنوانه: «جوامع من القول في تثبيت التأويل وباطن ما جاء في الحديث والتنزيل». وفي هذا الباب بحث عن رواية رسول الله التي أجملها في كتاب التوحيد في هذا الموضع، وبحث عن تأويله على وجه التفصيل[1].

ومنها: العادة المشتركة في هذا الكتاب وفي كتبه الأخرى، حيث يقول عندما يطول بحثه عبارة مشابهة في جميع المباحث، مثلاً يقول عند بحث: «والكلام في الردّ في ذلك عليهم يطول ويخرج عن حدّ هذا الكتاب» ويُتمّ

---

(١) أساس التأويل: ٣٠.

البحث. وهذه العبارة وما يشابهها تكرّر سبع مرّات في هذا الكتاب، وَيوجد هذه العبارة في كتبه الأخرى، ومن جملتها: اختلاف أصول المذاهب، أساس التأويل وكتبه الأخرى.

ومنها: أنّ بعض الآيات والروايات وردت في كتاب التوحيد وذكر المؤلّف تفسيراً لها، ونرى أنّ هذه الآيات والروايات وردت في كتبه الأخرى بما يشابه هذا الكتاب. وقلنا إنّ النعمان أورد في مسألة الشريعة ومسألة التاويل بعض الآيات والروايات وأحال التفصيل إلى كتبه الأخرى. ونرى أنّ تفسير الآيات وَالروايات في هذه الكتب متّفقة مع ما جاء في كتاب التوحيد ووحدة السيرة تنبئ عن وحدة المؤلّف.

ومنها: المنقولات في هذا الكتاب. الأقوال التي ذكرها المؤلّف في هذا الكتاب كلّها مقدّمة على النعمان. في هذا الكتاب يصرّح المؤلّف في النقل عن شخصين وهما الخليل بن أحمد الفراهيدي الإماميّ اللغوي الأديب (م١٧٥هـ) صاحب كتاب العين، وابن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ) صاحب غريب القرآن.

وغير هذين الشخصين الذين صرّح المؤلّف بإسمهما فقد نقل في أثناء مباحثه قول أبي حاتم الرازي (م٣٢٢هـ) الداعي الكبير الإسماعيلي وانتقده.

وبالتوجّه إلى هذه الموارد لايبقى مجال للشكّ في كون كتاب التوحيد هذا هوكتاب النعمان ويمكن انتساب مطالبه إليه.

وأمّا في الختام نقول: يحتمل أن يكون كتاب التوحيد ناقصاً من انتهاءه وَلم

يصل إلينا تمامه، حتّى أنّ هذا الاحتمال قد طرحت من الذين وُجدت عندهم نسخة من الكتاب من الإسماعيليّة، ومن جملتهم ناسخ الكتاب حيث يقول بعد تمامه: «قد تمّ الموجود من كتاب التوحيد وهو يشتمل على جزئين، ومن وجده فليتمّمه».

ومنهم المجدوع حيث قال: «وإلى هاهنا أعني الشيء اليسير من شرح هذه الخطبة المذكورة هذا الكتاب موجود. والله أعلم كم يكن باقيه».

والظاهر أنّ الشكّ هذا نشأ من جانبين:

الأوّل: إنّ النسخة ينتهي إلى نهايته بلا ختام والحال أنّ هذا غير متعارف بين المؤلّفين، بل لا يوجد في كتب النعمان أيضا.

الثاني: قلّة الشرح للخطبة الثامنة التي ذكرها المؤلّف، والحال أنّ المؤلّف يشرح الخطب الأخر أكثر من هذا، وما شرح النعمان إلّا ثُلثين من الخطبة الثامنة ولم يشرح باقيه بلا إشارة إلى كونه مشروحاً فيما قبل.

فهذه شواهد على كون نسخ كتاب التوحيد ناقصة.

المقام الثاني: إسم الكتاب

يمكن عدّ ثلاثة أشخاص من الذين درسوا كتب النعمان وفهرسوا كتبه. وهم إسماعيل قربان بوناوالا (ولد١٩٣٧م) محقّق اسماعيلي هندي، وولاديمير الكزويج ايوانوف المستشرق الروسي (١٨٨٦ ـ ١٩٦٩م)، الشيخ إسماعيل المجدوع الأجيني بن عبد الرسول (م١١٨٣هـ).

وبين هذه الثلاثة يكون للمجدوع مزيّة هو تقدّمه زماناً عليهما من جهة، ومن جهة أخرى إنّه يُعدّ من جملة علماء الإسماعيليّة ويكون تلميذاً لكبار من علماء هذا المذهب. وعلى هذا فمن الطبيعي أنّ المجدوع له معلومات أدقّ بالكتب. ومن جهة أخرى أيضا أنّ المجدوع حيث يُثبت في فهرسته كتاباً ويسمّيه من كتاب التوحيد للقاضي النعمان أوغيره، يسعى في توصيف محتواه وتوصيف نسخته الّتي ينبئ عن مطالعته لهذه الكتب مضافاً على إطّلاعه على نسخها، لكنّ المحقّقين الآخرين فهرسوا كتبه فقط ولم يذكروا شيئاً عن محتواها. فالمجدوع وقوله مقدّم على قول الآخرين.

وبعد هذا نقول: إنّ المجدوع يسمّي هذا الكتاب بـ«كتاب التوحيد».

هذا، والقاضي النعمان وإن لم يصرّح بإسم الكتاب في أيّ موضع لكنّه يكرّر في عدّة مواضع أنّ هذا الكتاب يبحث عن التوحيد لله عزّوجلّ.

منها: «وهذا كتاب بسطته في ذكر ما جاء عن أولياء الله أئمّة دينه، ممّا أثروه عن رسوله محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى الأئمّة من آله ـ من توحيد الله جلّ ذكره، الذي هو أصل دينه ـ الذي تعبّد العباد به ـ وأوّل معرفته».

ومنها: «فبسطت هذا الكتاب ـ على ما قدّمت ذكره ـ في إثبات حقيقة التوحيد لله سبحانه ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له، بما جاء في ذلك عن الأئمّة من أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله أجمعين ـ ممّا أثّروه وانتقل فيهم عنه».

وبالتوجه إلى هذه التعابير يتجلّى لنا إسم الكتاب، فنقول إنّ في تعابيره جهتين:

١ ـ توحيد الله.

٢ ـ ما جاء عن الأئمّة من أهل بيت رسول الله.

فالكتاب يسمّى بجهة من هذين الجهتين. أمّا الجهة الثانية فلا يمكن أن يكون إسم الكتاب لأنّ من الواضح أنّ النعمان سعى في جميع كتبه أن يكون مطالبه مأخوذة من أئمّة آل البيت عليهم السلام وهذا لا يختصّ بكتاب دون كتاب فلا يكون هذا تسمية من المؤلّف، بل هو سبيل بحثه في كتابه. والشاهد على هذا يوجد في مقدمة هذا الكتاب حيث يقول النعمان عن كتاب آخر له ـ والظاهر أنّه دعائم الإسلام ـ:

«وكلّما أخذته عنه وعن الأئمّة من قبله ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ ممّا ألّفته وبسطته فهو ممّا أثروه عن جدّهم محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ ممّا نقله عنه واحد بعد واحد منهم، حسب ما استخدموا فيه وتعبّدوا بنقله، حتّى انتهى ذلك إلى من أخذته منه، وأثرته عنه منهم، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته أجمعين.

وبسطت من ذلك على ما ذكرته كثيراً من المصنّفات في وجوه الفتيا والأحكام، والحلال والحرام، والعلم والحكمة، وما فيه نجاة من عمل به من الأمّة».

فنرى أنّه يؤكّد أنّ مباحث هذا الكتاب أيضاً مأخوذ من أئمة آل البيت عليهم السلام.

مضافاً إلى أنّ النعمان يقول في جميع كتبه كلاماً وهو:

«كلّما ألّفت وصنّفت، وأُؤلّف وأصنّف، ممّا أثرته وآثره، وأخذته وآخذه عن موالي أئمّة دين الله من أهل بيت نبيّه ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ».

فعلى هذا التسمية بالجهة الثانية لا وجه له. فالتسمية المناسبة لما جاء عن النعمان أيضا هي «التوحيد». وهذا ما أردنا إثباته.

المقام الثالث: سابقة البحث عن التوحيد

التوحيد هوأهمّ المسائل، والركن الركين في الإسلام، بل في جميع الأديان إلهي، حتّى عُدّ مسألة التوحيد من الأصول الخمسة، وقال رسول الله ﷺ في ابتداء دعوته: «قولوا لاإله إلّاالله تفلحوا» إشارة إلى أنّ هذا من أهمّ الأصول في الإسلام ويجب الإقراربه في بداية الأمر.

ومن هنا يُعلم أنّ المسألة له أهمّية كبيرة وقد توجّه الأنبياء والأوصياء إليها وتوجد الإشارة والتصريح إليها في كثيرمن كلماتهم. والمسلمين الّذين كانوا بصدد الحفظ والبحث عن مسائل الإسلام قد توجّهوا إلىها وسألوا في مختلف الحالات سؤالات عن الراسخين في العلم أئمّة آل البيت عليهم السلام.

فعلى هذا، البحث عن التوحيد يكون أوّل كلام النبيّ، بل كلّ نبيّ جاء من عند الله ـ على نبيّنا وعلى آله وعليهم السلام ـ. فالتوحيد قد بحث من بداية الأمرعلى يد النبيّ ﷺ، خلافاً لبعض العلوم والمسائل التي يبحث أحياناً بعد مئات من السنة، ويوضّح جوانبه على مرورالزمن.

وعمل المؤلّف أيضاً ينبئ عن هذا، لأنّ المؤلّف سعى في جميع مباحث التوحيد وجميع المسائل التي يسئل حول ذات الباري تعالى وصفاته عزّوجلّ أن يبيّنها ويجيب عنها بما في كلام أهل البيت خصوصاً ما جاء في خطب أميرالمؤمنين عليه السلام. فعلى هذاكتابه كتاب حديثي من جهة، وكتاب اعتقادي من جهة أخرى.

وعلى هذا صارالبحث عن التوحيد من المباحث الرائجة بين المسلمين

حتّى أنّ الفحص الإجمالي في كتب الفهرست يكشف لنا أنّ كتب الشيعة إلى زمن القاضي التي سمّيت بإسم كتاب التوحيد فقط ـ لا ما جاء بأسماء أخر ـ نحو أربعين كتاباً من مختلف فرق الشيعة، وصنّف كثير من المسلمين في هذا المجال.

ومن جملتهم:

١ـ الحسن بن صالح (م١٦٨هـ). كان من كبار الشيعة الزيدية.

٢ـ اليمان بن رباب (كان معاصراً للإمام الصادق عليه السلام). من جملة الخوارج ومن رؤساءهم.

٣ـ مفضّل بن عمر الكوفي (توفّي زمن الإمام الكاظم عليه السلام). من أجلّاء الإماميّة.

٤ـ هشام بن الحكم (م١٩٩هـ). شيخ متكلّمي الإماميّة.

٥ـ حفص الفرد (كان حيّاً سنة ٢٠٣). من أكابر المجبّرة.

٦ـ عبد الله بن يزيد (توفّي في القرن الثاني). من أكابر الخوارج ومتكلّميهم.

٧ـ أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري القمي (مات قبل ٢٣٢هـ). شيخ القميّين.

٨ـ الفضل بن شاذان (م٢٦٠هـ). من أجلّاء الإماميّة.

٩ـ علي بن الحسن الطاطاري (من أصحاب الكاظم عليه السلام). كان واقفيّاً متعصّباً في مذهبه.

١٠ـ محمّد بن إسماعيل البرمكي (توفّي في القرن الثالث). كان من مشايخ الصدوق.

١١ـ صالح الناجي (توفّي في القرن الثالث). من كبار الإباضيّة.

١٢ـ الحسن بن موسى النوبختي (توفّي في القرن الثالث). من كبار الإماميّة.

١٣ـ محمّد بن أحمد الكوفي الصابوني (توفّي في القرن الثالث). من علماء الإماميّة.

١٤ـ عبد الله بن جعفر الحميري (دخل الكوفة في ٢٩٧هـ). من علماء الإماميّة.

١٥ـ حمزة بن القاسم العلوي العباسي (توفّي أوائل القرن الرابع). من مشايخ الإماميّة.

١٦ـ علي بن إبراهيم القمي (كان حيّاً سنة ٣٠٧هـ). من مشايخ الإماميّة.

١٧ـ محمّد بن مسعود العياشي (م٣٢٠هـ). من علماء الإماميّة.

١٨ـ علي بن الحسين ابن بابويه القمي (م٣٢٩هـ). من علماء الإماميّة.

هذا جملة ممّن كتب في التوحيد كتاباً باسم التوحيد، والموجود أكثر من هذا بمراتب كثيرة.

والعلّة في توسيع هذا البحث أنّ كلّ فرقة ممّن كان يقصد عرض آراءه على الناس يلزمه البحث عن أصول المسائل أوّلاً وبيان رأيه فيها، ومن أهمّ هذه المباحث هو البحث عن التوحيد. فعلى هذا كلّ فرقة يسعى في بيان رأيه فيه وبالتالي يبحث كلّ فرقة وفقاً لمنهجه ويبحث ويدرس، فمنهم من نهج منهج القياس والاستحسان، ومنهم من نهج منهج الرأي، ومنهم من نهج منهج الفلاسفة ومنهم من أخذ العلم من معدنه وهم أهل البيت عليهم السلام.

فتأسيس حكومة بإسم الحكومة الفاطمي أوجب أن يكون عند علماء هذه الفرقة بحث عن التوحيد وبيان آراءهم فيه ومنهج بحثهم ودراستهم، فعلى هذا ألّف النعمان كتابه هذا وبيّن أنّ منهجه هو الأخذ عن معالم دين الله أهل بيت رسول الله صلّى الله عليهم أجمعين.

المقام الرابع: كتاب التوحيد هذا كتاب حديثي أم كلامي؟

قد بيّنا قبل هذا أنّ مسألة التوحيد من المسائل المهمّة التي شرحها النبيّ والأئمّة عليهم السلام في مختلف المجالات وتكلّموا حولها أكثر من غيرها من المسائل. ولأهميّة هذه المسألة بحث علماء الدين في علمين مستقلّين عنها ودرسوها، وهما علم الحديث وعلم الكلام.

أمّا علم الحديث فإنّ الهدف الأصلي فيه هو جمع كلمات المعصومين عليهم السلام، لكن لأجل أنّ كلماتهم صدرت في مختلف المسائل عمد المحدّثين إلى تبويبها وترتيبها، ولأجل أهمّية مسألة التوحيد جعلوا لها باباً مستقلاًّ وجمعوا الأحاديث المرتبطة بها في باب واحد. هذا هو البحث عن التوحيد في علم الحديث.

وأمّا علم الكلام فإنّ الغرض فيه البحث عن مسائل اعتقاديّة لازمة للمسلمين علمه واعتقاده، ومن جملة هذه المسائل وأهمّها هي مسألة التوحيد التي يجب فهمها من جانب كلّ أحد واعتقادها. ويُبحث كلّ مسألة في هذا العلم ويطرح الآراء المخالفة ويُردّ أحياناً ويستدلّ على القول المختار والصحيح من مناهج مختلفة. ومن مناهج البحث والاستدلال في هذا العلم هو الاستناد إلى الأحاديث الصادرة من المعصومين عليهم السلام.

فعلى هذا كلّ كتاب كان الغرض فيه جمع الأحاديث وتبويبهم على نحو خاصّ فهو مؤلَّف في علم الحديث ـ وإن كان جمعه في موضوع اعتقادي ـ، وكلّ كتاب كان الغرض فيه البحث عن المسائل الاعتقاديّة ودراستها ـ وإن كان منهجه الاستفادة من نقل الأحاديث فقط ـ فهو كتاب كلامي.

فعلى هذا يمكن النظر في كتاب النعمان أهو كتاب حديثي أو كلامي؟

وفي هذا المجال نرجع إلى كلام القاضي النعمان الذي أورده في مقدّمة كتاب التوحيد. يبيّن النعمان غرضه من تأليف هذا الكتاب ويقول:

«ولمّا اختلف من قدّمت ذكره من العوامّ فيما ذكرته من الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وقالوا في ذلك بما وصفته عنهم من آرائهم، اختلفوا كذلك في أصل دين الله ـ جلّ ذكره ـ الذي هو توحيده ومعرفته حقّ المعرفة لا شريك له، وقالوا كذلك في ذلك بآرائهم وقياسهم وأهوائهم واستحسانهم، بلا أثر في ذلك من كتاب الله، ولا بيان جاء عن رسول الله، واتّبعوا في ذلك كبراءهم الذين شرّعوا في دين الله سبحانه ما شرّعوا لهم.

فوصفه بعضهم بصفات خلقه، وشبّهوه بعباده، ومثّلوا أفعاله بأفعالهم، وأسمائه بأسمائهم، وصفاته بصفاتهم. وزعموا أنّهم يرونه ويكلّمهم ويكلّمونه كما يشاهدون من رؤية بعضهم البعض، ويعرفون من مخاطبة بعضهم بعضاً ـ تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً ـ، ويحدّونه ويجزؤونه ويصفونه بصفات البشر. فبعضهم يقول: إنّه شيخ أنفاً وافر الجمّة واللحية. وبعضهم يزعم أنّه أمرد لا شَعر في وجهه، تبارك الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

ويصفونه ـ جلّ عن صفة الواصفين ـ بما في أنفسهم يشاهدون من الجوارح والأدوات. فيزعمون أنّ له يدين، يقبض ويبسط، ويتناول ويعطي، ويبطش ويعمل بهما، كالذي يشاهدون من أيديهم وأعمالهم بها، ورجلين يمشي عليهما، وعينين ينظر بهما كما يعرفون من نظرهم بأعينهم، وأنّه جسم كأجسامهم إلّا أنّه مصمت، تعالى الله وتقدّس عن قولهم.

وهم على ذلك وغيرهم من جميع الأمّة وأكثر من مضى من الأمم قبلهم يدّعون توحيده ـ جلّ وعزّ ـ بقولهم أنّه إله واحد، وهم على ذلك يشركون غيره معه في عبادته وحكمه وصفاته وأفعاله وأمره وقضائه وغير ذلك ممّا سنذكره من قولهم ممّا هو ضدّ التوحيد ومخالفه ومزايله ومنافره.

فبسطت هذا الكتاب ـ على ما قدّمت ذكره ـ في إثبات حقيقة التوحيد لله سبحانه ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له، بما جاء في ذلك عن الأئمّة من أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله أجمعين ـ ممّا أثروه وانتقل فيهم عنه، وبما ذكرته ممّا أقامني عليه ولخّصه لي منه وأمرني ببسطه وليّ الزمان مولاي الإمام المعزّ لدين الله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ. وشرحت غريب ما جاء في ذلك من اللفظ وغامض المعاني بمبلغ علمي».

فإنّ كلام المؤلّف كما ترى صريح في أنّ الكتاب كلامي وإن كان منهجه هو الاستناد إلى النقل؛ لأنه الأخذ عن معالم دين الله وهم حججه على الناس أجمعين.

المقام الخامس: مكانة الكتاب

الأوّل: إنّ بناء القاضي النعمان في هذا الكتاب هو بيان المطالب مختصراً والاجتناب عن الإطالة، وفي كلّ مورد يطول البحث أحال المؤلّف إلى كتبه الأخرى وبيّن اعتقاده فيه وختم البحث، ومن شواهده كلامه حيث يقول:

«وقد اختلف المنسوبون إلى العلم في هذا الحديث اختلافاً كثيراً، واحتجّ كلّ قائل فيما ذهب إليه بحجج يطول ذكر ذلك، وليس إليه قصدنا فنستقصي القول فيه. وجاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ أنّه قال في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: «التوحيد»، وقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ «يعني: خالقهنّ».

وفي غالب الموارد التي اختلف القائلون يُتمّ بحثه بعبارة مثل «يطول شرحه» أو «يطول ذكره».

الثاني: قد ألّف النعمان قبل كتاب التوحيد بعض كتبه، ومن جملتها: كتاب دعائم الإسلام (يشير في المقدّمة إليه)، كتاب اختلاف أصول المذاهب (أحال المؤلّف تفصيل البحث إليه في مجالين)، كتاب أساس التأويل (أحال المؤلّف تفصيل البحث إليه في مجال واحد)، كتاب حدود المعرفة (الذي ألّفه قبل كتابه أساس التأويل).

الثالث: أخذ المؤلّف في كتابه منهجاً طريفاً وهو استناد كلام أمير المؤمنين في أكثر المسائل إلى الآيات القرآنية؛ ليتبيّن أوّلاً: أنّ كلامه عليه السلام مطابق لما في القرآن. وثانياً: الآراء الّتي يُذكر غيرَ هذا كلامٌ عن قياس واستحسان وقول بلا علم، وكلّهم باطل.

الرابع: ينبغي التوجّه إلى أنّ غرض المؤلّف وإن كان هو البحث عن توحيد الله تعالى إلّاأنّ في مطاوي كلماته فوائد ومسائل من العلوم التي انتشر في أثناء مباحثه، فلكتابه هذا جهات لا ينبغي الغفلة عنه، منها: الجهة الحديثي، الجهة التفسيري، الجهة الكلامي، الجهة الأدبي.

وأمّا تفصيل هذه الجهات.

أمّا الجهة الحديثي:

الأوّل: قد استفاد المؤلّف في هذا الكتاب من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ومجموعه ثمان خطب التي بيّن ذيلها الاعتقادات التوحيديّة. هذه الخطب مفصّلة على وجه يظهر أنّ المؤلّف لم ينقلها على وجه التقطيع، كما فعله السيّد الشريف الرضي في كتابه نهج البلاغة وأورد ما كان بليغاً بالغاً نهايتها. فعلى هذا يمكن جعل هذه الخطب قرينة لفهم الخطب المقطّعة في المصادر الأخر.

الثاني: نقل المؤلّف أحاديث في مطاوي كلماته مضافاً على الخطب الثمان.

وأسماء المعصومين الذين استفاد من أحاديثهم هكذا:

أحايث رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمانية عشر حديث.

أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام (غير الخطب): ستّة حديث.

أحاديث الإمام السجّاد عليه السلام: حديث واحد.

أحاديث الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة حديث.

الأحاديث المضمرة: ثلاثة حديث.

ولم ينقل القاضي بعد الإمام الصادق عليه السلام من الأئمّة حديثاً، ولم ينقل كلاماً في هذا المجال عن الخلفاء الفاطمي ولا من كان قبلهم.

وأمّا الجهة التفسيري:

الأوّل: مجموع الآيات المذكورة في الكتاب (المكرّرة وغير المكرّرة) بلغ ١٤٩ آية، والآيات التي ذكرت في كلام النعمان بلغ ١٣٩ آية.

الثاني: إنّ المؤلّف يفسّر بعض الآيات في مطاوي كلماته ويذكر معاني متعدّدة لآية واحدة أحياناً، منها:

«وقوله: «لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ولا يلحقه فند ولا لوم»

السنة النعاس من غير نوم، والوسن مثل ذلك، والوسنان الناعس. والفند إنكار فعل الشيوخ، يقال شيخ مفنّد، قال أبو داود:

وَشُيُوخٌ هُم مَصَابِيحُ الدُّجَى ظَاهَرُوا النِّعمَةَ فِي غَيرِ فَنَدٍ

ويقال: الفند الكذب، قال رؤبة: أَيُّهَا القَائِلُ قَولاً فَنَدَاً

وجاء عن أهل التفسير في قول الله ـ جلّ وعزّ ـ حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولاَ أَن تُفَنِّدُونِ**﴾ قال بعضهم: يعني تسفّهون، وقال آخرون: تجهّلون، وقال آخرون: تكذّبون. وهذه الأحوال كلّها لا يجري منها شيء على الله ـ جلّ وعزّ ـ ولا يوصف بها».

ولا ينبغي الغفلة من أنّ النعمان قد وقع في بعض الاشتباهات الفاحشة في تفسير بعض الآيات، منها:

«قوله: «بشهادة العقول الصافية بأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق»

فشهادة العقول علمها، والشاهد في اللغة العالم، وشهد بكذا أي علمه، وكذلك الشاهد في الشيء إنّما يقول فيه بعلمه وبما شاهد وعلم، ومنه قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَا شَهِدنَا إِلَّا بِمَا عَلِمنَا﴾».

ومن الواضح أنّ الاستثناء في الآية على ما فسّره النعمان لامعنى له ولا يفهم معنى الآية على هذا.

الثالث: إنّ النعمان بعد إتيانه بالآيات يذكر أحياناً اختلاف القراءات فيها، وهذا تكرّر في موارد متعدّدة، منها:

«وقوله: «ومن أغياه فقد ألحد»

أي: مال به عن الحقّ، قال الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَن يُرِد فِيهِ بِإِلحَادٍ بِظُلمٍ﴾، وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ﴾ أي: يميلون إليه، يقرأ بفتح الياء والحاء من «لحَد يَلحَد»، ويقرأ «يُلحِدون» ـ بضمّ الياء وكسر الحاء ـ من «أَلحَد يُلحِد»، وكلّ ذلك من الميل».

وبالتوجّه إلى حجم الآيات الواردة في الكتاب ودراسته من مختلف الجهات الّتي يشمل بيان المعنى اللغوي، واختلاف القراءات، وأقوال المفسّرين، وتفسير الآيات على الوجه الصحيح عند المؤلّف، وأحياناً توضيح كلمات الآيات بالنظر إلى الأشعار يجب عدّ الكتاب من الكتب التي ورد التفسير في ضمنها.

ويُسأل أحياناً: إن كان غرض القاضي النعمان هو البحث عن التوحيد فما الوجه في إتيان هذا المقدار من الآيات ودراستها من مختلف الجهات؟

وفي الجواب نقول: إنّ المؤلّف أشار في مواضع متعدّدة من كتابه أنّ المسلمين اختلفوا في مسألة التوحيد كما اختلفوا في أحكامهم، ويبيّن الغرض

من تأليف الكتاب بأنّه لبيان القول الصحيح في توحيد الله عزوجلّ لجميع المسلمين. فمن الواجب على المؤلّف أن يكتب كتابه على وجه مقنع لجميع الطوائف ويجعل اليد على المطالب المشتركة. والمصدر المهمّ في هذا المجال هو القرآن الذي لا اختلاف فيه. فعلى هذا يسعى المؤلّف في بيان تطابق كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع الآيات القرآنيّة، ويشرح قطعات الخطب بالآيات، ومن جهة أخرى يوضّح أنّ كلمات المعصومين عليهم السلام كان مطابقاً لما جاء عن الله تعالى ولم يخلفوا عن شيء منه وهذا يظهر مع تطابق كلماتهم عليهم السلام بالآيات.

فهذا منهج طريف لاستحكام المطالب و إقناع المخالفين في المذهب.

وأمّا الجهة الكلامي:

الأوّل: كما بيّنا قبل هذا أنّ غرض المؤلّف في هذا الكتاب هو المباحث الاعتقادي، فعلى هذا في كلّ مورد يرى مخالفاً للقول الصحيح يبيّن مخالفته ويكشف الغطاء عن خطأهم بالآيات والروايات.

منها: البحث عن رؤية الله عزّوجلّ، والذين قالوا برؤيته في الدنيا أو في الآخرة، حيث قال:

«وقوله: «ولا له تذلّل من بعّضه»

يقول: من زعم أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ يتبعّض فقد تكبّر عليه ولم يتذلّل له. وبعض الشيء طائفة منه، وتبعيضه تفريقه، يقول بعّضه تبعيضاً إذا فرّقه أجزاء. والإنسان مبعّض، يقال لكلّ شيء منه هو بعضه، كيده ورجله وكلّ جارحة منه

فهي بعضه، ويقال من ذلك: هذه جارية حسناء يشبه بعضها بعضاً أي كلّ عضو منها حسن يشبه الآخر.

فمن زعم أنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ جسم كأجسام البشر، وجعل له أعضاء كأعضاء الإنسان كما قال المشبّهون ووصفوه بذلك ـ تعالى الله عن قولهم وتشبيههم علوّاً كبيراً ـ فقد بعّضه ـ جلّ ذكره ـ واستكبر عليه ولم يتذلّل له.

ومن ذلك قوله ـ لا شريك له ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرجُونَ لِقَاءَنَا لَولاَ أُنزِلَ عَلَينَا المَلاَئِكَةُ أَو نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ استَكبَرُوا فِي أَنفُسِهِم وَعَتَوا عُتُوّاً كَبِيراً﴾، وأخبر أنّهم ﴿يَومَ يَرَونَ المَلاَئِكَةَ لاَ بُشرَى يَومَئِذٍ لِلمُجرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجراً مَحجُوراً وَقَدِمنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلنَاهُ هَبَاءً مَنثُوراً﴾، فأخبر ـ جلّ وعزّ من مخبر ـ أنّ من رام أن يراه فقد استكبر وعتى عليه، ومن استكبر وعتى عليه لم يتذلّل له.

وقد وصف الله ـ جلّ وعزّ ـ بذلك من رام رؤيته وأخبر أنّهم يوم يرون الملائكة يحلّ عليهم عذابه يوم القيامة، ولم يقل إنّهم يرونه كما زعمت الحشويّة والمشبّهة أنّه يُرى ـ جلّ وعزّ ـ يوم القيامة، وهو يُخبر ـ جلّ وعزّ ـ في كتابه أنّه ﴿لاَ تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾ فلم يصدّقوا بذلك من قوله، بل كذّبوه وتمادّوا على ما نسبوه إليه، حتّى قال بعض الصوفيّة منهم: إنّه ـ عزّ وجلّ ـ يتجلّى في الدنيا لهم ويرونه، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً».

الثاني: إنّ المؤلّف مضافاً على بحثه عن المخالفين من المسلمين يبحث أحياناً عن المخالفين من غير الأديان ويردّ أقوالهم وآراءهم. منها:

«هذا قول تابعوا فيه قول اليهود؛ لأنّ اليهود فيما كذبوا على الله ـ عزّ وجلّ ـ

فيه زعموا أنّه من التورات عندهم زعموا أنّ في التورات أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أتى إبراهيم عليه السلام مع اثنين من الملائكة، فبشّروه بأنّ سارة امرأته تحبل وتلد إسحاق، فذبح لهم عجلاً فأكلوا عنده وأخبروه بما يحلّ بقوم لوط، وأرسل الله الملكين إليهم وانصرف. تعالى الله عن قولهم وتشبيههم علوّاً كبيراً».

وأمّا الجهة الأدبي:

قد استفاد المؤلّف في هذا الكتاب من مباحث الأدب العربي بكثير، واستفادته في جوانب مختلفة.

منها: مباحث اللغة. قد يشرح المؤلّف بحثاً لغوياً على وجه التفصيل، كما في تفسير الخطبة الأولى في الفرق بين كلمة «الواحد» و«الأحد» حيث يبسط القول فيهما ويردّ قول بعض كبار من دعاة الإسماعيلية يعني أبا حاتم الرازي ويثبت قول نفسه بالدليل.

منها: الاستشهاد بالأشعار وتفسيرها. إنّ الاستشهاد بالأشعار يُرى في مختلف المواضع من الكتاب وهو ينبئ عن تسلّط النعمان على الأدب العربي الّذي من أهمّ مسائله القدرة على الاستفادة من الأشعار. ومؤيّد هذا أنّ من تأليفات النعمان قصيدتين ذات المنن وذات المحن، ومن مؤيّديه إبناه علي ومحمّد الذين نقل عنهما أشعار وقصائد مختلفة.

حتّى أنّ النعمان في توضيح بعض الأقوال ومنشأه أيضا يسشتهد بمباحث من الأدب العربي ومن جملتها الأشعار.

ومن المواضع التي استشهد بالأشعار للأقوال هو البحث عن كلمة «صمد»، حيث يقول:

«وأمّا الصمد فإنّ الصمد في لغة العرب قد يتصرّف على وجهين، فيقال: الصمد المصمت، قال الشاعر:

إنَّــكَ لَاتَشــكُوإلــى مُصَــمَّتٍ   فَاصبِرعَلى الحَملِ الثَّقِيلِ أوَمِت

المصمت: الذي ليس بأجوف، ويسمّون الصخرة الراسية في الأرض المستوية مع وجه الأرض أوالمرتفعة قليلاً صمدة.

وقد ذهب قوم من المشبّهين القائلين بالجسم إلى أنّ الله ـ تعالى ذكره عن قولهم علوّاًكبيراً ـ جسم مصمت غيرأجوف؛ لأنه لا يأكل ولا يشرب.

والصمد أيضاً في لغة العرب السيّد المطاع في قومه من الناس الذي ليس فوقه من قومه أحد منهم، فهم يصمدون إليه في حوائجهم أي: يقصدون، فيقال من ذلك: «صمد الرجل نحو الرجل صموداً» إذا قصده لأمر يرجوه عنده، ويقال: «صمدتُ صمد هذا الأمر»، أي: قصدت قصده واعتمدته. فذهب إلى هذا المعنى في تسمية الله ـ عزّوجلّ ـ الصمد الموحّدون ـ بزعمهم ـ من العامّة، وأنشدوا لطرفة في الصمد ـ وأنّه كما قالوا فيه السيّد من الناس ـ قوله:

لَقَد بَكَّرَالنَّاعِي بِخَيرِبَنِي أَسَدٍ   بِعَمروِبنِ مَسعُودِ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

منها: الاستشهاد بالأمثال. من جملة ما اهتمّ به المؤلّف هو الاستفادة من الأمثال والاستشهاد بها، حيث يقول:

«وقوله: «أوّل الديانة له معرفته»

الديانة من الدين، والدين من العباد لله ـ جلّ وعزّ ـ الطاعة له، يقال: «قد دان الناس لفلان» إذا أطاعوه، وجمعه أديان، والديانة مصدر، يقال: «دان لله

العبد ديانة». والدين من الله ـ عزّ وجلّ ـ للعباد الجزاء، ولا يجمع؛ لأنه مصدر، يقول: «دان الله العباد بأعمالهم ديناً» أي: جازاهم. ويقال في المثل: «كما تُدين تُدان» أي كما تفعل تُجازى».

كان اهتمام القاضي بالأدب على حدّ أنّه جعل منشأ بعض الشبهات الجهل بالأدب العربي، حيث قال:

«فإن قال ملحد مشبّه: إنّما قال في القرآن: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾، ففي هذا القول إثبات المثل.

قيل له: جهلك بلغة العرب التي أنزل الله ـ جلّ وعزّ ـ القرآن بها وخاطبهم بما يعرفونه منها هو الذي أوقعك في هذه الورطة، والعرب يقولون: «ليس مثلي يفعل به هذا»، و«لا مثل فلان يقال له مثل هذا القول ولا يجوز عليه هذا الأمر»، لا يريدون بذلك من هو مثل المسمّى، وإنّما يريدون هو ذاته. وهذا كلام جار في الناس إلى اليوم، معروف ما يريدون به ويعنونه عند جميعهم».

المقام السادس: الكتب أو الأشخاص المستفادة في الكتاب

من المعلوم أنّ المؤلّف استفاد من كتب الآخرين، لكن تعيين أنّه من أيّ كتاب استفاد أو من أيّ شخص نقل أمر مشكل جدّاً، وإن كان اهتمامنا في هذا التحقيق هو تعيين منشأ الأقوال والإشارات على قدر الوسع، لكنّ الإطمئنان بأنّ المؤلّف استفاد منها شيء صعب، وهذا يرجع إلى أنّ المؤلّف كان في عنفوان شبابه منصوباً من قبل الخليفة على المكتبة الإسماعيلي الّتي عُدّت بين ثلاث مكتبات كبيرة في زمانها، ومن المأسف أنّه خرب وحرق لجهل صلاح الدين الأيوبي بمقام العلم.

ومع هذا عثرنا بعد الدقّة والمراجعة أنّ المؤلّف استفاد من بعض المؤلّفات على وجه اليقين، وهي ما تلي:

١ـ كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي. هذا الكتاب كأنّه كان مفتوحاً عند النعمان واستفاد منها في كثير من الموارد، والمباحث اللغوي في الكتاب أكثرها مستفادة من هذا الكتاب. بل المؤلّف صرّح بإسم الخليل وكتابه في بعض المواضع، فقال: «قال الخليل بن أحمد: البرهان بيان الحجّة وإيضاحها»، ويقول أيضا: «قال الخليل: منذ النون فيها أصليّة، وقد تحذف ويعقّب الذال سكون النون، يعني أنّها تصير مذ، قال: ولذلك ترفع إذا ألقيت ألف الوصل؛ لأنها تردّ إلى الأصل وكان أصلها الرفع في منذ، قال: «ويقال: إنّما منذ مأخوذ من قولك من إذ، منذ منا ماخوذٌ، وكذلك معناها مأخوذ من الزمان إذا قلت: «منذ كان ذلك» معناه «مِن إذ كان ذلك»، فلمّا كثرت في الكلام طرحت همزتها وجعلت كلمة واحدة ورفعت على توهّم الغاية».

٢ـ كتاب غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري. استفاد المؤلّف في مباحث التفسير من هذا الكتاب كما يلوح من مطالبه، وقد صرّح بإسمه في موضع، حيث قال: «قال ابن قتيبة ـ وهو أحدهم ـ في كتابه الذي ذكر فيه غريب القرآن: الصمد السيّد الذي انتهى سؤدده؛ لأنّ الناس يصمدونه في حوائجهم».

٣ـ كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي الداعي الكبير الإسماعيلي. ينقل المؤلّف صفحات من كتاب الزينة ويردّها، يقول: «وقال بعض من نفى التشبيه بزعمه: «إنّه إنّما قيل له ـ جلّ وعزّ ـ واحد؛ لأنه لم يزل قبل الخلائق متوحّداً بالأزل لا ثاني معه ولا خلق، ثمّ أبدع الخلق فكان الخلق ثانياً. وخلق الخلق محتاجاً بعضه إلى بعض، ممسكاً بعضه بعضاً، متعادياً ومتضاداً، ومتشاكلاً ومزدوجاً، ومتّصلا ومنفصلاً». وينقل كلام الرازي في صفحات ويردّه.

المقام السابع: غرضنا في التحقيق

كان لإحياء هذا الأثر جهات مختلفة:

١ـ قد احتوى هذا الكتاب أحاديث من أهل البيت عليهم السلام فيمكن جعله من جملة الأسناد المكتوبة في أحاديث المعصومين عليهم السلام.

٢ـ إنّ كتاب نهج البلاغة من الآثار النفيسة لما صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وجّه بشبهات لاأصل لها، ومنها أنه ممّا صدر عن السيّد الشريف الرضي. هذا الوهم و إن كان لاأصل لها ولايستند إلى تحقيق، لكن من الواجب علينا إسناد كلام أمير المؤمنين عليه السلام على نحو لا يشكّ فيه أحد من المعاندين. والمنهج علمي لحسم مادّة الإشكال هو إحياء الآثار التي نقلت كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ممّن تقدّم عن السيّد الرضي. فهذا الكتاب مصدر لحسم هذا الإشكال.

٣ـ إنّ النعمان قد ألّف في مختلف المجالات من علوم الإسلام وبعضها يكون مورداً لاستناد العلماء والمحقّقين والفقهاء مثل دعائم الإسلام الذي صار موضع توجّه الفقهاء. فإحياء مؤلّفات النعمان يشكل قرينة على مراده في مؤلّفاته الأخرى. وهذا الكتاب يهمّ في الجانب الاعتقادي.

٤ـ إنّ القرن الرابع الهجري الذي نشأ المؤلّف فيه واستقرّ الحكومة الإسماعيلي فيه يكون من الأزمنة المهمّة في تاريخ الحديث عند الإماميّة، لأنّ هذا الزمان قد حوى كباراً من المحدّثين الذين صار آثارهم باقية وأصلاً في حديث الإماميّة، ومنهم: الكليني، وابن قولويه، والشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والتلّعكبري، وغيرهم من كبار العلماء والمحدّثين. فعلى هذا يهمّ

العلم بأوضاع الفرق الأخرى خصوصاً من جهة الحديث والكلام، للكشف عمّا خفي من حديث الإماميّة وما خفي من القرائن.

ومن هذه الجهة أيضاً نرى أنّ هذا الزمان نشأ الكبار من متكلّمي الإماميّة مثل السيّد المرتضى والشيخ المفيد وغيرهما، فهذا الكتاب من جهة كونه كتاباً كلامياً يوجب العلم بزوايا كلام الإماميّة في هذا العصر.

٥ ـ وأمّا النكتة المهمّة التي أشرنا إليها إجمالاً في ابتداء الكلام، وهي أنّ علماء الإماميّة اهتمّوا بكلمات أهل البيت عليهم السلام وجدّوا لجمع مبثوثه واحتملوا في هذا المجال مشقّة كثيرة لأن يصل كلماتهم عليهم السلام على نحو صحيح إلى من يلي بعدهم من الناس، لكن مع هذا نرى بعض كلمات أهل البيت عليهم السلام التي يمكن البحث عنها وعن صحّتها بقي في كتب الآخرين ولا أثر منها في كتب علمائنا رضي الله عنهم أجمعين وجعلهم في أعلى علّيين. فبعض هذه الكلمات ورد في كتب أهل السنّة وبعضها ورد في كتب الزيدية وكتب الآخرين. والفرقة الإسماعيليّة أيضا لا تستثنى من هذه القاعدة وقد وردت بعض كلماتهم عليهم السلام في مطاوي مؤلّفاتهم. فعلى هذا إحياء الآثار التي احتوى كلمات المعصومين عليهم السلام له أهمّية لا يُغفل عنه. والقطع بصدور حديث من المعصوم يمكن أن يثبت من تعدّد النقل من مختلف المذاهب والفرق.

٦ ـ وهنا أغراض فرعي مترتّب على إحياء هذه الآثار، ومن جملتها: إيضاح تاريخ الحديث، إيضاح عقائد الإسماعيليّة، كشف تاريخ المدن في مذهبهم الإسلامي، وغيرها من الأغراض.



الفصل الثالث: عملنا في التحقيق

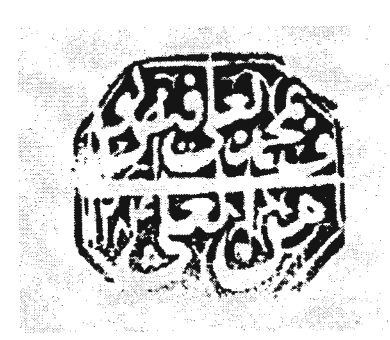
علمنا في الكتاب من جهات مختلفة، من تصحيح النسخ وتحقيق المحتوى.

وأمّا التصحيح

فقد اعتمدت فيه على نسختين:

النسخة الأولى:

النسخة المحفوظة في جامعة توبينكن آلمان، وناسخه: عبد الله بهائي بن الشيخ هبة الله بهائي بن غلامحسين، سنة ١٣١٠هـ، وفيها هوامش في آخرها أحيل إلى كتاب ضياء البصائر من تأليفات الداعي إدريس بن حسن عماد الدين (م٧٩٤ ـ ٨٧٢هـ). وفي مواضع من هذا الكتاب علامات بختم مثمّن ذي ثماني زوايا وأضلاع، فيها مكتوب: «فيض الوليّ



من العليّ بمحمّد وبعليّ ١٢٨٤». والظاهرمن هذا الختم أنّ صاحبه من مشايخ الفرقة الملقّب بالفيض، وكان إسمه محمّدعلي.

وهذه النسخة حسنة الضبط وقليلة السقط وعليها حواشٍ وتعليقات، وفي كلّ موضع عيّن عنوان للبحث الجاري في الكتاب. وحواشي كلّ صفحة منها خُطّ بالخطوط لتزيين الصفحات، والصفحة الأولى فيها زخرفة زُيّن بها.

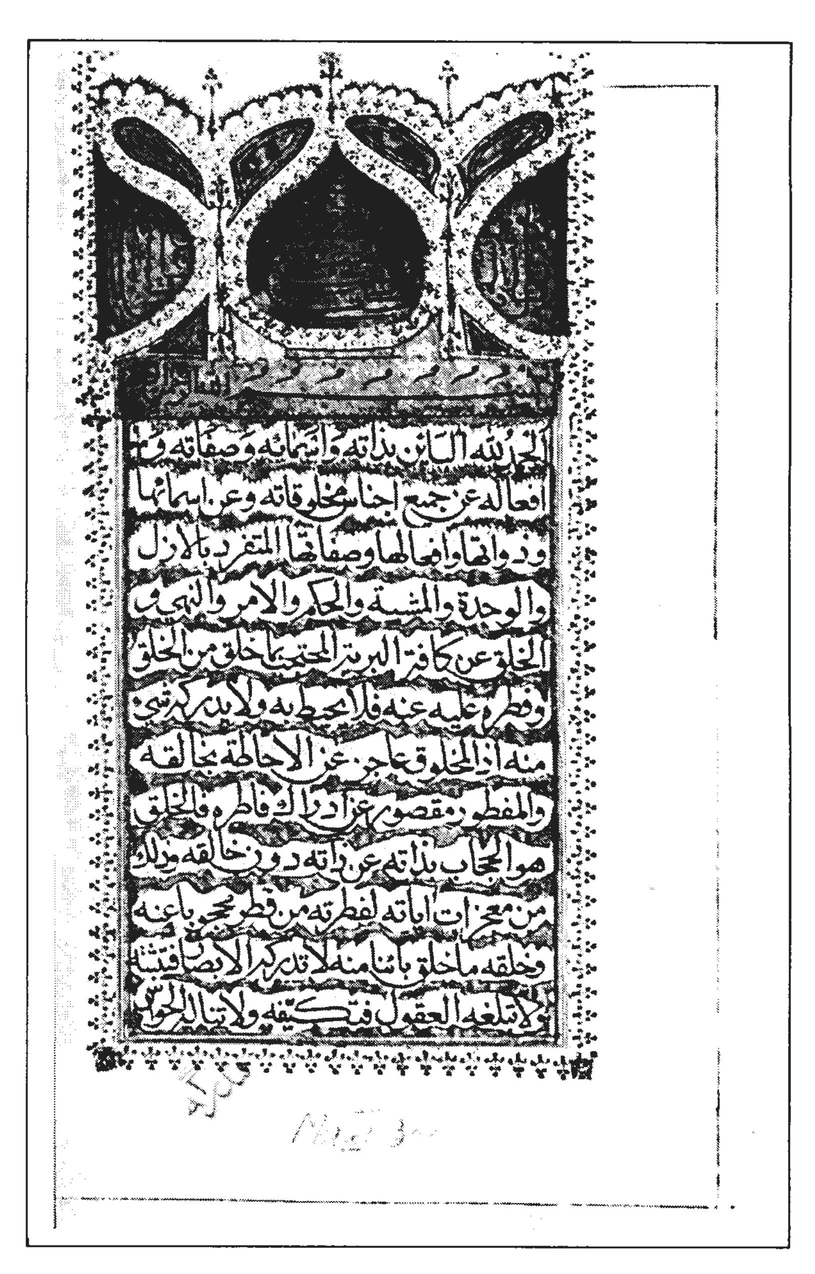
وهذه النسخة رمزناها بـ«أ»

النسخة الثانية:

النسخة المحفوظة في برلين الغربية، برقم ٢٩٥٨، وناسخه: محمّد ضياء العليّ ولد الحاج الشيخ إبراهيم الحيدرآبادي، تاريخ النسخ: الثامن من شهر الجمادي الآخرة يوم الجمعة سنة ١٢٨٥هـ

وفي كلّ الصفحات من هذه النسخة استفيد من القلم الأحمر كثيراً لتزيين النصّ.

وهذه النسخة فيها أغلاط كثيرة ولهذا جعلناها فرعاً ورمزناها بنسخة «ب».



الحمد لله البائن بذاته وأسمائه وصفاته و
افعاله عن جميع اجناس مخلوقاته وعن اسمائها
وذواتها وافعالها وصفاتها المتفرد بالازل
والوحدة والمشية والحكم والامر والنهي و
الخلق عن كافة البرية المحتجب بما خلق من الخلق
وفطر عليه عنه فلا يحيط به ولا يدرك شي
منه اذ المخلوق عاجز عن الاحاطة بخالقه
والمفطور مقصور عن ادراك فاطره فالخلق
هو الحجاب بذاته عن ذاته دون خالقه من ذلك
من معجزات اياته لفطرته من فطر محجوبا عنه
وخلقه ما خلق بائنا منه لا تدركه الابصار فتثبته
ولا تبلغه العقول فتكيفه ولا تناله الحواس

صورة الصفحة الأولى من نسخة «أ»

اللواتي انتشن الأعلام واحدها علم وقوله وخائنة
الأعين خائنة الأعين ما تخون به من مسارقة
النظر إلى ما لا يحل ومن ذلك قول الله جل وعز يعلم
خائنة الأعين وما تخفي الصدور والخون في النظر فترة
فيه ومن ذلك يقال للأسد خائن العين ومثل ذلك
يكون مسارقة النظر وقوله يعلم مستقرهم ومستودعهم
مستقرهم حيث يستقرون فيه من الأرض ومستودعهم
حيث يدفنون فيها إذا ما توا وقوله بل فات بعلوه على
الأشياء مواقع رجم المتوهمين الرجم بالظن القول بالوقيعة
به من غير علم وقوله قد ضلت في إدراك كنهه هواجس
الأنام قد تقدم تفسير الكنه والهواجس جمع هاجس
والهاجس ما وقع في القلب تقول هجس في قلبي هم وأمر
وجد الشرح إلى قوله هذا ولعل به تم الكتاب
بخط ... عبيد الله ... بن الشيخ ... الله
بن مسلم ... علي ... حسين ... ١٣١٥

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «أ»

كتاب التوحيد لله عز وجل تأليف سيدنا القاضي الأجل
النعمن بن محمد بن حيون التميمي أعلى الله شريف قدسه ونضر وجهه وأدام بركته
والسلام على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البائن بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله عن
جميع أجناس مخلوقاته وعن أسمائها وذواتها وأفعالها
وصفاتها المتفرد بالأزل والوحدة والمشيئة والحكم
والأمر والنهي والخلق عن كافة البرية المحتجب بما خلق
من الخلق وفطره عليه منه فلا يحيط به ولا يدركه شيء منه
إذ المخلوق عاجز عن الإحاطة بخالقه والمفطور مفصول
عن إدراك فاطره فالخالق هو المحتجب بذاته عن ذاته
دون خالقه وذلك من معجزات آياته لفطرته من فطر
محجوبا عنه وخلقه ما خلق بائنا منه لا تدركه
الأبصار فتشبهه ولا تبلغه العقول بكيفية فتكيفه
ولا تناله الحواس فيدرك ولا تصل الأوهام إليه

صورة الصفحة الأولى من نسخة «ب»

كنهه هواجس الأوهام قد تقدم تفسير الأنهر والهواجس جمع ها
والهاجس ما وقع في القلب يقول هجس في قلبي هم وأمر قد تم
الموجود من كتاب التوحيد وهو شرح على حرفين ومن وجد
فليتممه ولا يقرأ هذا الكتاب إلا بإذن صاحب الأمر والدعوة الهادية
والإحرام غير جائز لنظر قد تم نساخة هذا الكتاب الشريف
بأمر مولانا الملك المؤيد بالله لجنود الملائكة والغ أعداء في جميع الممالك
وهو سيدنا ومولانا داعينا وهادينا [illegible] نفوسنا داعي الدعوة
سفينة النجاة سيدنا ومولانا حسن بن إسماعيل متعنا الله ببقائه
ورفع في مقامه درجاته وجعلني فداء تربة قدمه [illegible]
ويزيد [illegible] مرضاته على يد أفقر عبيد مولانا [illegible]
الراجي الرحمة ربه الغفور القديم محمد [illegible] العلي
ولد الحاج الشيخ إبراهيم [illegible]
غفر الله ذنوبه [illegible]
من بلاد حراز اليمن

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

وأمّا التحقيق

قد عملنا في محتوى الكتاب بأعمال لسهولة المتن وتحقيق المطالب:

١ـ تخريج الآيات الشريفة بعد ضبطها، وجعلها بين الأقواس المزهّرة.

٢ـ تخريج الأحاديث، والآثار والحكايات من الكتب السابقة على المؤلّف في ابتداء الأمر، وبعد عدم العثور في الكتب المتقدّمة أخذنا بالكتب التي كانت قريبة من المؤلّف.

٣ـ تحقيق الأقوال والإشارات على قدر الوسع ممّا أشار إليها المؤلّف في مطاوي كلماته.

٤ـ شرح غريب اللغة من ألفاظ الخطبة ممّا لم يشرحها المؤلّف أو من كلماته الغامضة.

٥ـ إهمال ذكر ما كان خطأً واضحاً من النسّاخ.

٦ـ بيان كلّ ما جاء في النصّ ممّا يحتاج إلى توضيح، مثل أسماء الأشخاص، والأماكن، والوقايع التاريخية. وفيها شرح مختصر من الفرق التي جاء بها المؤلّف في مواضع من كلامه.

٧ـ أخذ الاختصار في التعليق والتوضيح.

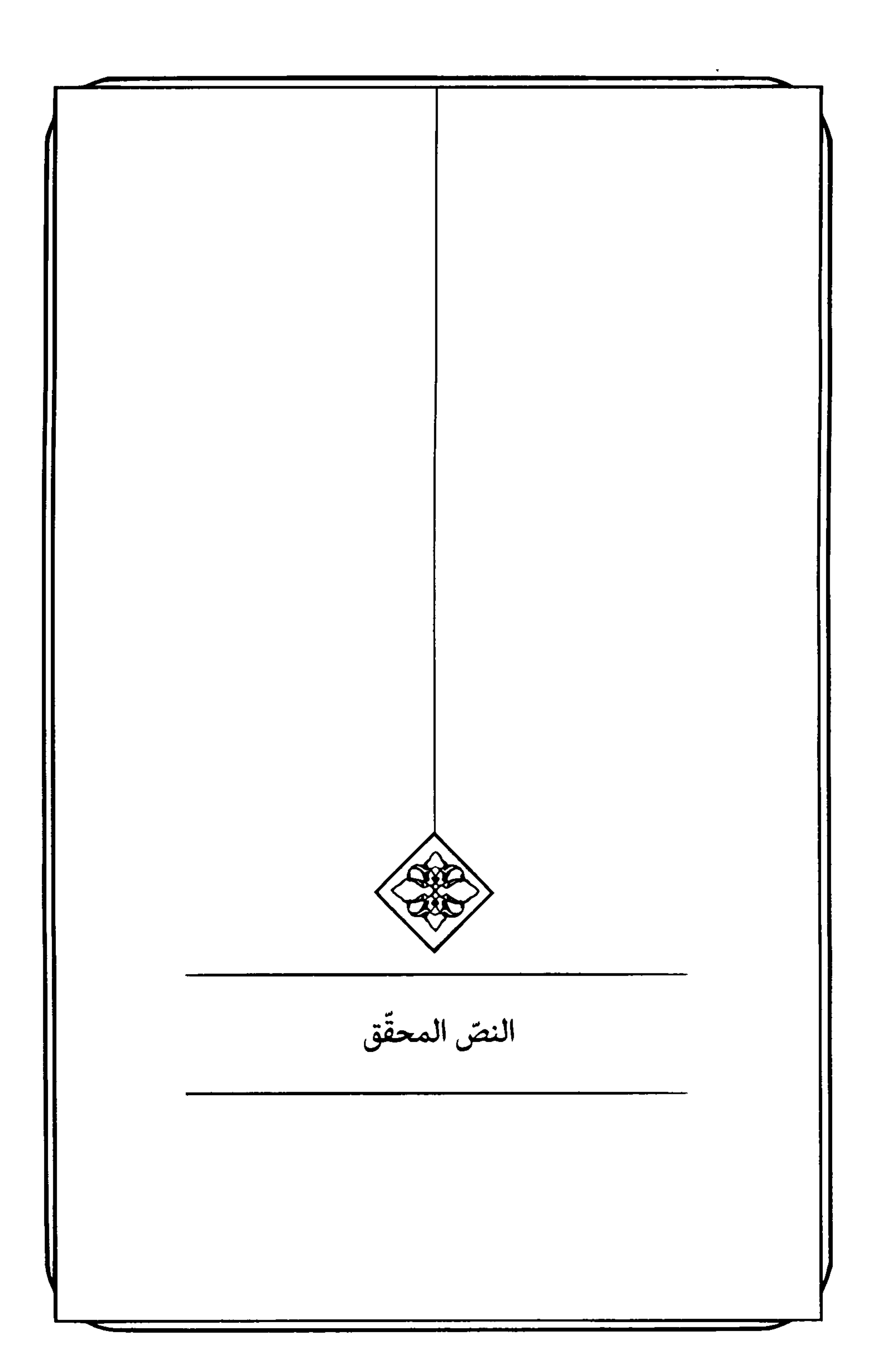
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمدمهدي غفوري (شم آبادي)

قم المقدّسة/ جوار مولاتنا فاطمة المعصومة عليها السلام

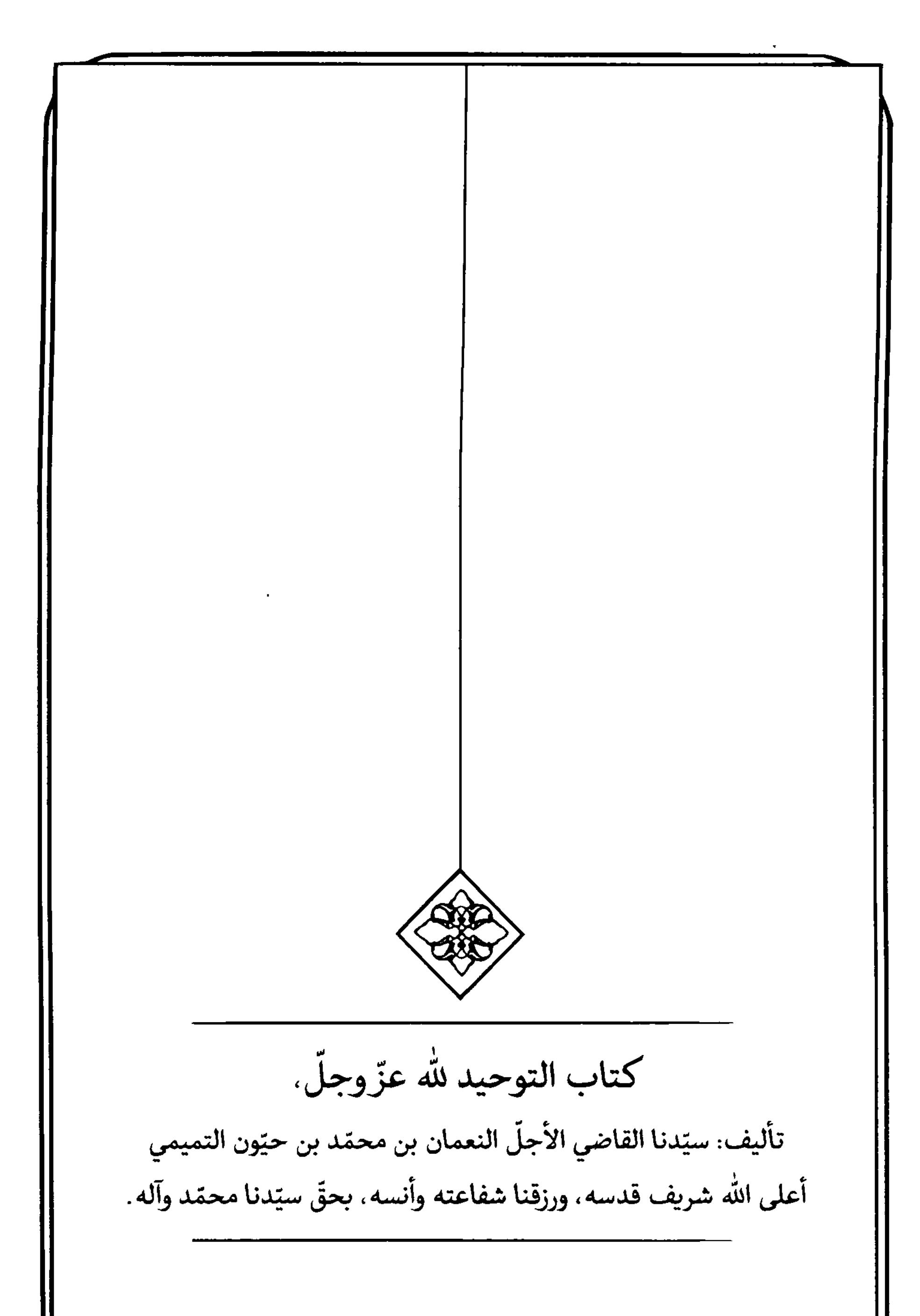
٢ صفر سنة ١٤٤٣هـ





النصّ المحقّق





كتاب التوحيد لله عزّ وجلّ،

تأليف: سيّدنا القاضي الأجلّ النعمان بن محمّد بن حيّون التميمي
أعلى الله شريف قدسه، ورزقنا شفاعته وأنسه، بحقّ سيّدنا محمّد وآله.



[مقدّمة المؤلّف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البائن بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، عن جميع أجناس مخلوقاته، وعن أسمائها وذواتها وأفعالها وصفاتها، المتفرّد بالأزل والوحدة والمشيّة والحكم والأمر والنهي والخلق عن كافّة البريّة، المحتجب بما خلق من الخلق وفطره عليه بمنّه، فلا يحيط به ولا يدركه شيء منه؛ إذ المخلوق عاجز عن الإحاطة بخالقه، والمفطور مقصور عن إدراك فاطره.

فالخلق هو الحجاب بذاته عن ذاته دون خالقه، وذلك من معجزات آياته؛ لفطرته من فطر محجوباً عنه، وخلقه ما خلق بايناً منه، لا تدركه الأبصار فتُشبهه[1]، ولا تبلغه العقول[2] فتكيّفه، ولا تناله الحواسّ فتدركه، ولا تصل إليه الأوهام فيوصف، إلّا بما وصف به نفسه في قرآنه، وبيّنه الرسول في بيانه. وصلّى الله على خاتم أنبيائه ورسله، محمّد نبيّه، وعلى الأئمّة من آله ونسله.

---

(١) في «أ»: (فتثبته) بدلاً من (فتشبهه).

(٢) في «ب» زيادة قوله: (بكيف).

أمّا بعدُ، فإنّ أوّل دين الله ـ عزّوجلّ ـ الذي تعبّد العباد بإقامته معرفتُه وتوحيده لاشريك له، بما جاءت به رسله عنه إلى من تعبّدهم بالإيمان به وتوحيده، وجميع ما تعبّد العباد به من دينه، وما نزله في كتبه، وما نقله عن الرسول إلى الأمم أئمّة دينه.

ولا يجوز أخذ ذلك إلّا كذلك عن الله ـ عزّوجلّ ـ الذي تعبّد العباد به، ولا القول فيه إلّا بما بيّنه الرسول عنه، كما قال سبحانه لمحمّد نبيّه ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾(١)، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾(٢).

ولم يجعل سبحانه للرسل ولالمن أُرسلوا إليه أن يتقوّلوا في شيء من ذلك عليه، ولاأن يشرّعوا في دينه إلّا ما شرّعه، ولاأن يحلّلوا ويحرّموا إلّا ما أحلّه وحرّمه، ولاأن يقولوا في دينه إلّا ما قاله ـ عزّوجلّ ـ.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾(٣)، وقال لنبيّه محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾(٤)، وقال: ﴿لاَ تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ﴾(٥)، وقال: ﴿قُل﴾ ﴿إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى

---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٤.

(٤) سورة النحل: ٤٤.

(٥) سورة القيامة: ١٦ ـ ١٩.

إِلَيَّ﴾[١]، ووصفه بذلك فقال: ﴿وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِن هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾[٢]، وأمر ـ جلّ وعزّ ـ العباد بذلك فقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾[٣]، وقال: ﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هٰذَا حَلَالٌ وَهٰذَا حَرَامٌ لِتَفتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفلِحُونَ﴾[٥]، وقال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾[٦]، وقال: ﴿وَمَا اختَلَفتُم فِيهِ مِن شَيءٍ فَحُكمُهُ إِلَى اللهِ﴾[٧]، وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٨].

وقال عامّة المنسوبين إلى العلم[٩]: معنى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾ أي: إلى

---

(١) ما ورد من الآيات التي يوجد فيها النصّ المذكور، ثلاث آيات، و في كلّها فُصل بين ﴿قل﴾ و﴿إن أتبع﴾.

الأولى: ﴿قُل لَا أَقُولُ لَكُم عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعلَمُ الغَيبَ وَلَا أَقُولُ لَكُم إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ سورة الأنعام: ٥٠. الثانية: ﴿قُل مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلقَاءِ نَفسِي إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ سورة يونس: ١٥. الثالثة: ﴿قُل مَا كُنتُ بِدعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدرِي مَا يُفعَلُ بِي وَلَا بِكُم إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ سورة الأحقاف: ٩.

(٢) سورة النجم: ١ ـ ٥.

(٣) سورة الأعراف: ٣.

(٤) سورة النحل: ٤٣، سورة الأنبياء: ٣٤.

(٥) سورة النحل: ١١٦.

(٦) سورة النساء: ٥٩.

(٧) سورة الشورى: ١٠.

(٨) سورة النساء: ٥٩.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١: ٣٨٣، تفسير سفيان الثوري ١: ٩٦، غريب القرآن لابن قتيبة ١: ١٣٠، تحف العقول: ١٣٥.

كتابه، و إلى الرسول أي: سنّة الرسول.

ورووا عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ أنّه قال: «اتّبعوا ولاتبتدعوا، فكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار»[1]، فلم يجعل الله ـ عزّ وجلّ ـ لأحد من خلقه أن يشرّع للخلق من الدين إلّا ما شرّعه سبحانه، ولاأن يحلّل ولاأن يحرّم ولاأن يقضي ولاأن يحكم، إلّا بما أحلّ وحرّم، وقضى وحكم.

وفي هذا كلام يطول ذكره ويخرج عن مثل معنى هذا الافتتاح، وقد أثبتُّ في هذا الكتاب بعضَه وفي غيره ممّا صنّفتُه، وأوعبت من ذلك في كتاب «**اختلاف أصول المذاهب**»[2] الذي ألّفته. وكلّ ما ألّفت وصنّفت، وأُؤلّف وأصنّف، ممّا أثرته وآثره، وأخذته وآخذه عن موالي أئمّة دين الله من أهل بيت نبيّه ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ، وممّا أمرني به وأثبته لي وجسّده ولخّصه وجسّمه[3] إمام كلّ زمان، ألّفت ذلك فيه.

وأكثر ذلك ممّا أمدّني به، وأمرني ببسطه عنه وليّ زماني هذا، الذي ألّفت هذا الكتاب في عصره، وتقدّم إليّ في تأليفه، ورسم لي ما ألّفته فيه، وهو عبد الله

---

(١) هذا الحديث بهذه الصورة إنّما ورد في دعائم الإسلام ١: ٨٩، وقد ورد مضمونها من العامّة كثيراً، انظر: «اتَّبِعُوا وَلَاتَبتَدِعُوا، فَقَد كُفِيتُم، كُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ» الزهد لوكيع ١: ٥٩٠ / ٣١٥، باب من قال البلاء موكّل بالقول، والعلم لزهيربن حرب ١: ١٦ / ٥٤، اتّبعوا ولاتبتدعوا، والزهد لأحمد بن حنبل ١: ١٣٤ / ٨٩٦، في فضل أبي هريرة، وسنن الدارمي ١: ٢٨٨ / ٢١١، باب في كراهة أخذ الرأي.

(٢) اختلاف أصول المذاهب لأبي حنيفة النعمان بن عبد الله الإماميّ ألّفه نصرة لمذهبه. كشف الظنون ١: ٣٢، الذريعة ١: ٣٦٠، معالم العلماء ١: ١٢٦.

(٣) في «أ»: (ولخصه وحده) بدلاً من (وجسّده ولخّصه وجسّمه).

ووليّه، «**معد أبو تميم الإمام المعزّ لدين الله**»[1] ـ صلوات الله عليه ـ، فممّا أخذته عنه أصنّف في أيّامه وأؤلّف، ومن بحور علمه أستمدّ وأغترف، وأكثر ما لي في ذلك جمع منثوره وتأليفه وبسطه وتصنيفه، وأنا أرجو ثواب ذلك من الله جلّ ذكره.

وكلّما أخذته عنه وعن الأئمّة من قبله ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ ممّا ألّفته وبسطته فهو ممّا أثروه[2] عن جدّهم محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ ممّا نقله عنه واحد بعد واحد منهم، حسب ما استخدموا فيه وتعبّدوا بنقله، حتّى انتهى ذلك إلى من أخذته منه، وأثرته عنه منهم، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته أجمعين.

وبسطت من ذلك على ما ذكرته كثيراً من المصنّفات في وجوه الفتيا والأحكام، والحلال والحرام، والعلم والحكمة، وما فيه نجاة من عمل به من الأمّة؛ إذ قد تفرّق الناس في ذلك، واختلفوا لما اختلف فيه رؤساءهم، الذين أخذوا عنهم ما أحدثوه وابتدعوه في دين الله ـ عزّ وجلّ ـ بآرائهم واستحسانهم وقياسهم وأهوائهم، لما استنكفوا عن الردّ ـ كما أمرهم الله جلّ ذكره ـ إلى ولات الأمر[3]، وسؤال من أمرهم سؤالهم من أهل الذكر[4]، وأعرضوا عن نهي الله ـ عزّ

---

(١) أبو تميم معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله، وهو من خلفاء الفاطميين وأوّل من تسلّط على مصر منهم، ولمّا نزل بها بنى القاهرة وبنى فيها مسجد الأزهر وأمر المؤذّن بـ«حيّ على خير العمل»، وجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» ثمّ غلب على دمشق. وتوفّى بمصر سنة ٣٦٢ هـ. انظر الكامل في التاريخ ٧: ٢٨٠، ووفيات الأعيان ٥: ٢٢٤.

(٢) في «ب»: (أوردوه).

(٣) ﴿فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ سورة النساء: ٥٩.

(٤) ﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَاتَعلَمُونَ﴾ سورة النحل: ٤٣، سورة الأنبياء: ٣٤.

وجلّ ـ عن ذلك[١] وارتكبوه، وتقوّلوا فيه بآرائهم ما ابتدعوه.

وقد أثبتُّ عليهم ببيان أولياء الله فساد ما ذهبوا إليه من ذلك وانتحلوه، وما استزلّهم الشيطان فيه، وأوضحت فيما أثبتّه ما فيه نجاة من عصمه الله وهداه إلى التمسّك به.

وهذا كتاب بسطته في ذكر ما جاء عن أولياء الله أئمّة دينه، ممّا أثروه عن رسوله محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى الأئمّة من آله ـ من توحيد الله جلّ ذكره، الذي هو أصل دينه ـ الذي تعبّد العباد به ـ وأوّل معرفته. إذ كان[٢] أئمّة دين الله سبحانه لم يقولوا في ذلك ولا في غيره من دين الله سبحانه إلّا بما أثروه عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ، ممّا استودعهم إيّاه وانتقل فيهم عنه؛ إذ كان الله ـ جلّ ذكره ـ قد أمره بتبيان ما أنزله للناس كافّة[٣]، فأبان من ذلك لمن سأله ممّن أدركه، وأودع للبيان[٤] من يقوم من بعده من أئمّة الدين ليبيّنوه كذلك لمن يأتي من بعده؛ لأنّ من أمر بشيء ففعل عن أمره كان هو الذي فعله.

ومثل ذلك ما قد أمره الله ـ جلّ وعزّ ذكره ـ به من جهاد المنافقين بقوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ﴾[٥]، فأمر وصيّه عليّ بن أبي طالب

---

(١) ﴿قُل أَرَأَيتُم مَا أَنزَلَ الله لَكُم مِن رِزقٍ فَجَعَلتُم مِنهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُل اللهُ أَذِنَ لَكُم أَم عَلَى اللهِ تَفتَرُونَ﴾ سورة يونس: ٥٩

(٢) في «ب»: (وكان) بدلاً من (إذ كان).

(٣) ﴿وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾ سورة النحل: ٤٤.

(٤) في «أ»: (البيان).

(٥) سورة التوبة: ٧٣، سورة التحريم: ٩.

ـ صلوات الله عليه ـ بأن يجاهد الناكثين والقاسطين والمارقين[1]، ففعل عليه السلام من ذلك ما أمره به[2]، وكان رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ هو الذي فعله؛ إذ لم يكن ليدع ما أمره الله ـ عزّ وجلّ ـ به.

والمتعارف من مثل ذلك عند الناس أنّ السلطان إذا أمر بقتل أحد أو بإقامة حدّ عليه ففعل ذلك من فَعله بأمره، كان السلطان هو الذي فعل ذلك، وإليه ينسب فعله، وهذا ما لا اختلاف بين الناس فيه.

ولمّا اختلف من قدّمت ذكره من العوامّ فيما ذكرته من الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وقالوا في ذلك بما وصفته عنهم من آرائهم، اختلفوا كذلك في أصل دين الله ـ جلّ ذكره ـ الذي هو توحيده ومعرفته حقّ المعرفة لا شريك له، وقالوا كذلك في ذلك بآرائهم وقياسهم وأهوائهم واستحسانهم، بلا أثر في ذلك من كتاب الله، ولا بيان جاء عن رسول الله، واتّبعوا في ذلك كبراءهم الذين شرّعوا في دين الله سبحانه ما شرّعوا لهم.

فوصفه بعضهم[3] بصفات خلقه، وشبّهوه بعباده، ومثّلوا أفعاله بأفعالهم، وأسمائه بأسمائهم، وصفاته بصفاتهم. وزعموا أنّهم يرونه ويكلّمهم ويكلّمونه كما يشاهدون من رؤية بعضهم البعض، ويعرفون من مخاطبة بعضهم بعضاً ـ تعالى

---

(١) فأمّا الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل وأمّا الطائفة الفاسقة فأصحاب صفّين وسمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين وأمّا الطائفة المارقة فأصحاب النهروان. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠١، الإفصاح في الإمامة ١: ١١٥.

(٢) انظر كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٧٠.

(٣) هم الحشويّة. انظر: الملل والمحل ١: ١٢٠، بحوث في الملل والمحل ١: ١٢٤، السنّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ٢: ٤٥٤، ٥٢٧.

الله عن قولهم علوّاً كبيراً ـ، ويحدّونه ويجزؤونه ويصفونه بصفات البشر. فبعضهم[1] يقول إنّه شيخ أنفاً وافر الجمّة واللحية. وبعضهم[2] يزعم أنّه أمرد لا شعر في وجهه، تبارك الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

ويصفونه ـ جلّ عن صفة الواصفين ـ بما في أنفسهم يشاهدون من الجوارح والأدوات. فيزعمون أنّ له يدين، يقبض ويبسط، ويتناول ويعطي، ويبطش ويعمل بهما، كالذي يشاهدون من أيديهم وأعمالهم بها، ورجلين يمشي عليهما، وعينين ينظر بهما كما يعرفون من نظرهم بأعينهم، وأنّه جسم كأجسامهم إلّا أنّه مصمت، تعالى الله وتقدّس عن قولهم.

وهم على ذلك وغيرهم من جميع الأمّة وأكثر من مضى من الأمم قبلهم يدّعون توحيده ـ جلّ وعزّ ـ بقولهم أنّه إله واحد، وهم على ذلك يشركون غيره معه في عبادته وحكمه وصفاته وأفعاله وأمره وقضائه وغير ذلك ممّا سنذكره من قولهم ممّا هو ضدّ التوحيد ومخالفه ومزايله ومنافره.

فبسطت هذا الكتاب ـ على ما قدّمت ذكره ـ في إثبات[3] حقيقة التوحيد لله سبحانه ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له، بما جاء في ذلك عن الأئمّة من أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله أجمعين ـ ممّا أثروه وانتقل فيهم عنه، وبما ذكرته ممّا أقامني عليه ولخّصه لي منه وأمرني ببسطه وليّ

---

(١) بهذا المضمون قول بعض المجسّمة. أبكار الأفكار ٢: ١٣، شرح المقاصد ٤: ٤٧.

(٢) هذا قول بعض المجسّمة. غاية المرام في علم الكلام ١: ١٦٠، شرح المواقف ٨: ٢٥، الإيضاح لابن شاذان ١: ٢١.

(٣) في «ب»: (إتيان).

الزمان مولاي الإمام المعزّ لدين الله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ. وشرحت غريب ما جاء في ذلك من اللفظ وغامض المعاني بمبلغ علمي.

وعرضت ذلك بعد أن جمعته على إمام الزمان الذي أمر بجمعه، فنَقّحه وصحّحه[1]، وأمر بنشره، أدام الله علوّ أمره.

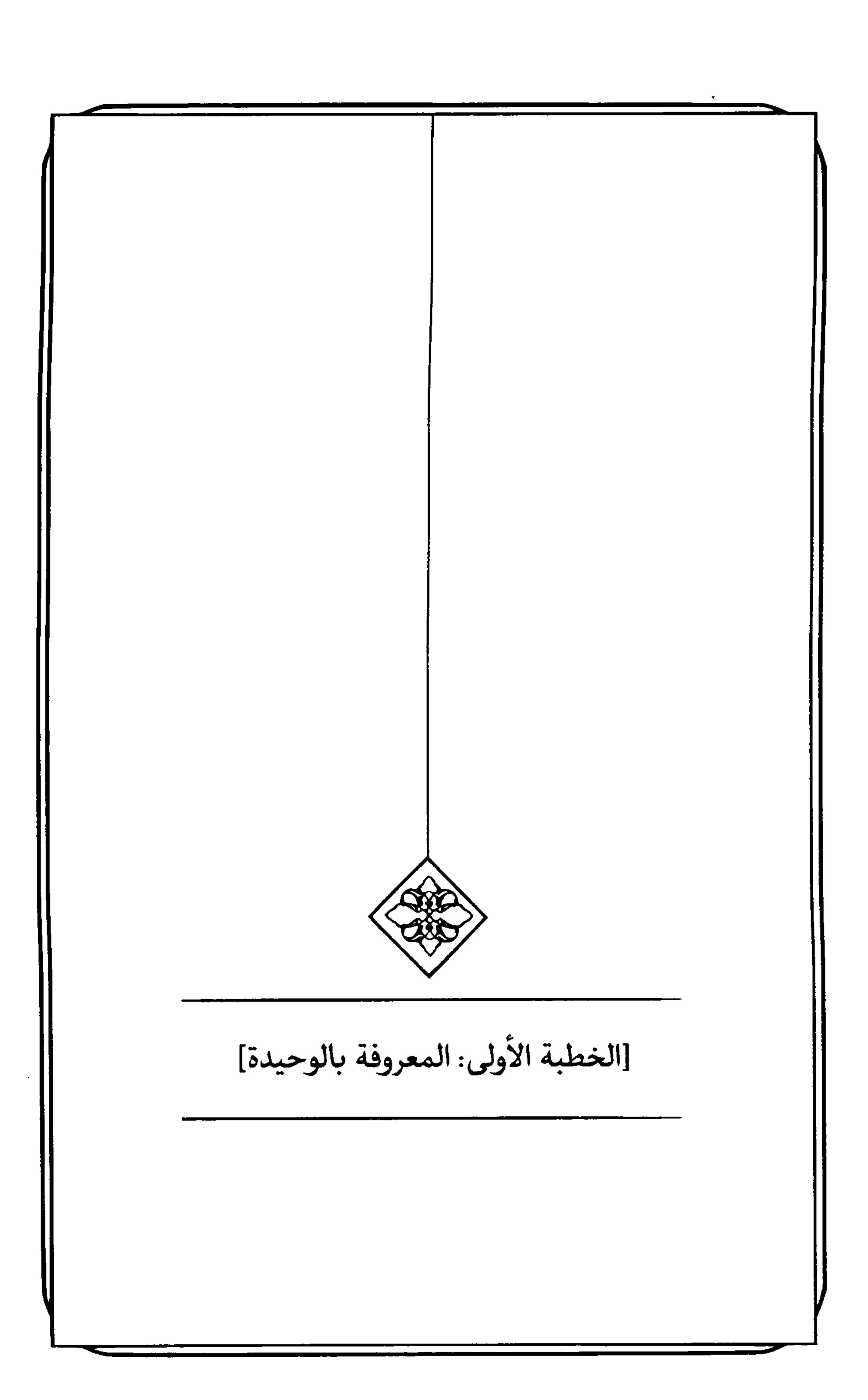
وابتدأت فيه بذكر خطبة لأمير المومنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ تعرف بالوحيدة، وهي قوله عليه السلام[2]:

---

(١) في «ب»: (فنقّحته وصحّحته).

(٢) في «ب» زيادة قوله: (وأيضاً تنقيح الكلام هو اختياره وتنقيته عن رديّ الكلام، يقال: خير الشعر المنقّح، قال الشاعر: اسوء لَدَيَّ وَأَبهَى مِن مُنَقِّحَةٍ * جَانَت تَبَختَرُ مِن ذِي مَقُولِ ذَلَقِ. وهذه الخطبة الذي ذكرنا).





[الخطبة الأولى: المعروفة بالوحيدة]



[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحَمدُ للهِ القَدِيمِ الدَّائِمِ، الحَيِّ الأَحَدِ، الوَاحِدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَم يَزَل أَوَّلاً بِلَا تَوَهُّمِ غَايَةٍ، وَآخِراً بِلَا انقِطَاعِ نِهَايَةٍ، وَلَا حَدَّ يَحُدُّهُ، وَلَا أَزمِنَةَ تَعُدُّهُ، حَمداً كَثِيراً كَمَا هُوَ أَهلُهُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسلِيماً.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ خَلَقَ الأَشيَاءَ وَأَحدَثَهَا بَعدَ أَن لَم تَكُن بِلَا تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ[1]، وَلَا حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ، وَلَا مِثَالٍ احتَذَى عَلَيهِ، لَكِنَّهُ ابتَدَعَهَا ابتِدَاعاً، وَلَم يَختَرِعهَا اختِرَاعاً، لَا مِن شَيءٍ صَنَعَ مَا صَنَعَ، وَلَا لِحَاجَةٍ دَبَّرَ مَا دَبَّرَ، وَلَا لِوَحشَةٍ نَالَتهُ خَلَقَ مَا خَلَقَ.

هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الوَاحِدُ الأَحَدُ، لَا تُغَيِّرُهُ الأَحوَالُ، وَلَا يَجرِي عَلَيهِ[2] الانتِقَالُ مِن مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَلَا تَختَلِفُ عَلَيهِ الأَزمَانُ، وَلَا تَنَالُهُ مَلَالَةٌ، وَلَا تُدرِكُهُ سَآمَةٌ، وَلَا يَخَافُ الفَوتَ فَيَعجَلَ، وَلَا لِحَاجَةٍ مِنهُ إِلَى شَيءٍ يَفعَلُ مَا يَفعَلُ، لَا يَبعُدُ

---

(١) في «ب»: (لم تكن بلا نصب).

(٢) في «ب»: (ولا تجزي).

عَلَيهِ بُعدُ المَدَى[1]، وَلَا يَجُوزُ عَلَيهِ فِيمَا[2] يَكُونُ مِنهُ البَدَاءُ، عَلِيمٌ لَا يَرتَابُ فِي عِلمِهِ، وَحَاكِمٌ لَا يَجُورُ فِي حُكمِهِ، وَحَلِيمٌ لَا يَعجَلُ، وَحَكِيمٌ لَا يَجهَلُ، وَقَائِمٌ لَا يَزُولُ، وَثَابِتٌ لَا يَحُولُ، لَا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ، وَلَا يَلحَقُهُ فَنَدٌ وَلَا لَومٌ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقِيتٌ[3] قَدِيرٌ، وَ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

أَوَّلُ الدِّيَانَةِ لَهُ مَعرِفَتُهُ وَحَقِيقَةُ مَعرِفَتِهِ تَوحِيدُهُ[4]، وَنِظَامُ تَوحِيدِهِ نَفيُ الصِّفَاتِ عَنهُ، بِشَهَادَةِ العُقُولِ الصَّافِيَةِ بِأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوصُوفٍ مَخلُوقٌ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَخلُوقٍ أَنَّ لَهُ خَالِقاً لَيسَ بِصِفَةٍ وَلَا مَوصُوفٍ، وَشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ وَمَوصُوفٍ بِالاقتِرَانِ، وَشَهَادَةِ الاقتِرَانِ بِالحَدَثِ، وَشَهَادَةِ الحَدَثِ بِالامتِنَاعِ مِن الأَزَلِ المُمتَنِعِ مِن الحَدَثِ.

لَم يَعرِفِ اللهَ مَن ذَيَّتَهُ، وَلَا وَحَّدَهُ مَن كَيَّفَهُ، وَلَا أَقرَّ بِهِ مَن اكتَنَهَهُ، وَلَا صَدَّقَ بِهِ مَن نَهَّاهُ، وَلَا آمَنَ بِهِ مَن مَثَّلَهُ، وَلَا صَمَّدَهُ مَن أَشَارَ إِلَيهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَن شَبَّهَهُ، وَلَا لَهُ تَذَلَّلَ مَن بَعَّضَهُ، وَلَا إِيَّاهُ أَرَادَ مَن تَوَهَّمَهُ؛ إِذ كُلُّ مَعرُوفٍ بِنَفسِهِ مَصنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعلُولٌ، فَبِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وَبِالعُقُولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وَبِالفِطرَةِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ، وَبِآيَاتِهِ احتَجَّ عَلَى خَلقِهِ.

خَلَقَ الخَلقَ حِجَاباً بَينَهُ وَبَينَهُم، وَمُبَايَنَتُهُ مُفَارَقَتُهُ إِنِّيَّتَهُم[5]، وَابتِدَاؤُهُ لَهُم

---

(١) المَدَى: الغاية. يقال: قطعة أرضٍ قدر مَدَى البصر. الصحاح ٦: ٤٩٠.

(٢) في «ب»: (ممّا).

(٣) قوله: (مقيت) لم يرد في «أ».

(٤) في «ب»: (أوّل الديانة له معرفة توحيده).

(٥) في «ب»: (أبنيتهم).

دَلِيلُهُم عَلَى أَن لَا ابتِدَاءَ لَـهُ؛ لِعَجزِكُلِّ مُبتَدَءٍ عَن ابتِدَاءِ غَيرِهِ، وَأَدوُهُ إِيَّاهُم شَاهِدُهُم عَلَى أَن لَا أَدَاةَ فِيهِ؛ لِشَهَادَةِ الأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ المَأدُوِينَ إِلَى جَاعِلِ الأَدَوَاتِ فِيهِم. فَأَسمَاؤُهُ تَعبِيرٌ، وَأَفعَالُهُ تَفهِيمٌ، وَذَاتُهُ تَحقِيقٌ، وَكُنهُهُ تَفرِيقٌ بَينَهُ وَبَينَ خَلقِهِ، وَغُيُورُهُ تَحدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ.

قَد جَهِلَ اللهَ مَن استَوصَفَهُ، وَتَعَدَّاهُ مَن استَسمَاهُ، وَأَخطَأَهُ مَن اكتَنَهَهُ. مَن قَالَ: «كَيفَ» فَقَد شَبَّهَهُ، وَمَن قَالَ: «أَينَ» فَقَد بَوَّأَهُ[1]، وَمَن بَوَّأَهُ فَقَد حَدَّهُ، وَمَن حَدَّهُ فَقَد عَدَّهُ. وَمَن قَالَ: «لِمَ» فَقَد أَعَلَّهُ، وَمَن قَالَ: «مَتَى» فَقَد وَقَّتَهُ، وَمَن قَالَ: «فِيمَ» فَقَد ضَمَّنَهُ، وَمَن قَالَ: «إِلَى مَا» فَقَد نَهَّاهُ، وَمَن قَالَ: «حَتَّامَ» فَقَد أَغيَاهُ، وَمَن أَغيَاهُ فَقَد أَلحَدَ، وَمَن بَعَّضَهُ فَقَد جَزَّأَهُ، وَمَن جَزَّأَهُ فَقَد عَدَلَ عَنهُ.

لَا يَتَغَايَرُ اللهُ بِتَغَايُرِ المَخلُوقِ، كَمَا لَا يَتَحَدَّدُ بِتَحدِيدِ المَحدُودِ، وَهُوَ أَحَدٌ لَا بِتَأوِيلِ عَدَدٍ، صَمَدٌ لَا بِتَثبِيتِ جَسَدٍ، بَاطِنٌ لَا بِاستِتَارٍ، ظَاهِرٌ لَا بِإِسفَارٍ، مُتَجَلٍّ لَا بِاستِهلَالِ رُؤيَةٍ، مُبَايِنٌ لَا بِمَسَافَةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ، فَاعِلٌ لَا بِاضطِرَارٍ، قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ، بَعِيدٌ لَا بِمَسَافَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَولِ فِكرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاستِفَادَةٍ، مُدَبِّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ، مَوجُودٌ لَا بَعدَ عَدَمٍ، بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ.

لَا تَصحَبُهُ الأَوقَاتُ، وَلَا تَضُمُّهُ الأَمَاكِنُ، وَلَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ، وَلَا تُفِيدُهُ الأَدَوَاتُ، سَبَقَ الأَوقَاتَ كَونُهُ، وَالعَدَمَ[2] وُجُودُهُ، وَالابتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشعِيرِهِ المَشَاعِرَ عُرِفَ أَلَّا مَشعَرَ لَهُ، وَبِتَجهِيرِهِ الجَوَاهِرَ عُلِمَ أَلَّا جَوهَرَ لَهُ، وَبِإِنشَائِهِ البَرَايَا عُرِفَ أَلَّا مُنشِئَ لَهُ،

---

(١) تبوّأتُ منزلاً: أي نزلتُه، الصحاح ١: ٣٧.

(٢) في «ب»: (والقدم).

وَبِمُضَادَّتِهِ بَينَ الأُمُورِ عُلِمَ أَلَّا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَينَ الأَشيَاءِ عُلِمَ أَلَّا قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلمَةِ، وَالجَلَاءَ بِالبُهمَةِ، وَالخُشُونَةَ بِاللِّينِ، وَالصَّرَدَ بِالحَرُورِ، مُؤَلِّفاً بَينَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِناً بَينَ مُتَبَايِنَاتِهَا، جَامِعَهَا عَلَى فِطرَتِهِ، مُضَادِداً بَعضَهَا لِبَعضٍ، كُلٌّ لِكُلٍّ مُوَافِقٌ، وَبَعضٌ لِبَعضٍ مُفَارِقٌ، مُختَلِفَاتٌ فِي اتِّفَاقِهِنَّ، مُتَّفِقَاتٌ فِي اختِلَافِهِنَّ، مُتَبَايِنَاتٌ فِي اتِّصَالٍ، مُتَّصِلَاتٌ فِي تَبَايُنٍ.

خَلَقَهُنَّ سُبحَانَهُ دَلَائِلَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ، وَشَوَاهِدَ لِقُدرَتِهِ، وَنَوَاطِقَ عَن غَيبِهِ، وَعَلَامَاتٍ لِحَقَائِقِهِ، وَبُرهَاناً عَلَى نَفَاذِ مَشِيَّتِهِ؛ إِذ يَنطِقنَ بِكَونِهِنَّ عَن حَدَثِهِنَّ، وَيُخبِرنَ بِوُجُودِهِنَّ عَن عَدَمِهِنَّ، وَيُبَيِّنَّ بِتَقَلُّبِهِنَّ[1] عَن زَوَالِهِنَّ، وَيَفصَحنَ بِقِيَامِهِنَّ عَن أَمثِلَتِهِنَّ، وَيُعلِنَّ بِتَضَادِّهِنَّ أَلَّا ضِدَّ لِصَانِعِهِنَّ، وَيُعلِمنَ بِأُفُولِهِنَّ أَلَّا أُفُولَ لِخَالِقِهِنَّ.

دَالَّةٌ بِتَألِيفِهَا عَلَى مُؤَلِّفِهَا، وَبِتَفرِيقِهَا عَلَى مُفَرِّقِهَا، وَبِتَضَادِّهَا[2] وَازدِوَاجِهَا عَلَى مُزَوِّجِهَا، وَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾[3]. فَرَّقَ فِيمَا بَينَ قَبلٍ وَبَعدٍ لِيُعلَمَ أَلَّا قَبلَ لَهُ وَلَا بَعدَ. شَاهِدَةٌ بِغَرَائِزِهَا عَلَى أَن لَا غَرِيزَةَ لِمُغَرِّزِهَا، دَالَّةٌ بِتَفَاوُتِهَا عَلَى أَن لَا تَفَاوُتَ فِي مُفَوِّتِهَا، مُخبِرَةٌ بِتَوقِيتِهَا أَلَّا وَقتَ لِمُوَقِّتِهَا، حَجَبَ بَعضَهَا عَن بَعضٍ لِيُعلَمَ أَلَّا حِجَابَ بَينَهُ وَبَينَهَا.

---

(١) في «أ»: (وينبئن بنقلهن).

(٢) في «أ» زيادة قوله: (على حافظ وجودها).

(٣) سورة الذاريات: ٤٩.

لَـهُ مَعنَى الرُّبُوبِيَّـةِ إِذ لَا مَربُـوب، وَحَقِيقَـةُ الإِلَهِيَّـةِ إِذ لَا مَـأْلُوه، وَمَعنَـى القُـدرَةِ وَلَا مَقدُورَ، وَتَأوِيـلُ السَّـمعِ وَلَا مَسمُوعَ، وَحَقِيقَـةُ العِلـمِ وَلَا مَعلُومَ، وَوُجُوبُ القُـدرَةِ وَلَا مَقدُورَ، وَمَعنَى الخَـالِقِ وَلَا مَخلُوقَ. لَـيسَ مُذ خَلَقَ الخَلقَ استَحَقَّ اسـمَ الخَـالِقِ، وَلَا بِإِحدَاثِ البَرَايَا استَفَادَ اسمَ البَارِي، كَيفَ وَلَا يَغِيبُهُ «مُذ»، وَلَا يُدنِيهِ «مُنذُ»، وَلَا يَحجُبُهُ «أَينَ»، وَلَا يُوَقِّتُهُ «مَتَى»، وَلَا يَشمُلُهُ «هُوَ»، وَلَا يُقَارِنُهُ «مَعَ».

إِنَّمَـا تَحُـدُّ الأَدَوَاتُ أَنفُسَـهَا، وَتُشِـيرُ الآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَـا، وَفِي الأَشـيَاءِ يُوجَـدُ أَشـكَالُهَا، وَ إِيَّاهَـا يَعـنِي تَفَاوُتُهَـا، وَعَـن الفَاقَـةِ تُخبِـرُ الأَدَوَاتُ، وَعَـن ضِـدِّهِ يُخبِـرُ المُتَضَـادُّ، وَ إِلَى الشَّـبَهِ يَـؤُولُ التَّشـبِيهُ، وَمَـعَ الأَحـدَاثِ تَحـدُثُ أَوقَاتُهَـا، وَبِالأَشـيَاءِ اقتَرَنَت صِفَاتُهَا، وَمِنهَا فُصِّلَت قَرَائِنُهَا، وَ إِلَيهَا آلَ إِحدَاثُهَا.

مَنَعَتهَا «مُنذُ» القِدَمَ، وَحَمَتهَـا «مُذ» الأَزَلَ، وَحَجَبَتهَـا «لَـو» عَـنِ القُـدرَةِ، وَنَفَـت عَنهَا «لَولَا» الكَمَالَ. افتَرَقَت فَدَلَّت عَلَى مُفَرِّقِهَا، وَتَبَايَنَت فَأَعرَبَت عَن مُبَايِنِهَا. بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلعُقُولِ، وَبِهَا احتَجَبَ عَن رُؤيَةِ العُيُونِ، وَ إِلَيهَـا حَـاكَمَ الأَوهَـامَ، وَفِيهَا أَثبَتَ غَيـرَ، وَمِنهَـا انبَسَـطَ[1] الدَّلِيلُ، وَبِهَـا عُـرِفَ الِاقتِـرَانُ، بِـالعُقُولِ يُعتَقَـدُ التَّصدِيقُ بِاللهِ، وَبِالإِقرَارِ يَكُونُ الإِيمَانُ بِهِ.

لَا دِيَانَـةَ إِلَّا بَعـدَ مَعرِفَـةٍ، وَلَا مَعرِفَـةَ إِلَّا بِتَصـدِيقٍ، وَلَا تَصـدِيقَ إِلَّا بِتَوحِيـدٍ، وَلَا تَوحِيدَ إِلَّا بِإِخلَاصٍ، وَلَا إِخلَاصَ مَعَ التَّشبِيهِ، وَالتَّشبِيهُ[2] مَعَ إِثبَاتِ الصِّفَاتِ، وَلَا

---

(١) في «ب»: (عينت) بدلاً من (انبسط).

(٢) في «ب»: (ولا تشبيه إلّا) بدلا من (والتشبيه).

تَوحِيدَ إِلَّا بِاستِقصَاءِ النَّفيِ كُلِّهِ، إِثبَاتُ بَعضِ التَّشبِيهِ يُوجِبُ الكُلَّ، وَلَا يَستَوجِبُ التَّوحِيدُ بِبَعضِ النَّفيِ دُونَ الكُلِّ؛ إِذ فِي الإِقرَارِ بَعضٌ مِن الإِنكَارِ، وَلَا يُنَالُ الإِخلَاصُ بِشَيءٍ[1] مِن الإِنكَارِ.

كُلُّ مَوجُودٍ فِي الخَلقِ لَا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ، وَكُلُّ مَا يُمكِنُ فِيهِ يَمتَنِعُ فِي صَانِعِهِ، وَلَا تَجرِي فِيهِ الحَرَكَةُ وَلَا السُّكُونُ، وَلَا يُمكِنُ فِيهِ التَّجَزِّي وَلَا الِاتِّصَالُ، وَكَيفَ يَجرِي عَلَيهِ مَا هُوَ أَجرَاهُ، وَيَعُودُ عَلَيهِ مَا هُوَ ابتَدَأَهُ، وَيَحدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحدَثَهُ، إِذاً لَتَفَاوَتَ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنهُهُ، وَلَامتَنَعَ مِن الأَزَلِ مَعنَاهُ، وَلَمَا كَانَ لِلأَزَلِ مَعنىً غَيرَ مَعنَى الحَدَثِ، وَلَا لِلبَارِي إِلَّا مَعنَى المَبرُوءِ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَالتَمَسَ لَهُ التَّمَامُ إِذا لَزِمَهُ النُّقصَانُ.

فَكَيفَ يَستَحِقُّ الأَزَلَ مَن لَا يَمتَنِعُ مِنَ الحَدَثِ وَلَا يستأهل الدَّوَامِ مِن تنقله الأَحوَالِ، وَيُنشِئُ الأَشيَاءَ مَن لَا يَمتَنِعُ مِنَ الإنشاء، اذا لَقَامَت فِيهِ آيَةُ[2] المَصنُوعِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعدَ أَن كَانَ مَدلُولًا عَلَيهِ، ولاقترنت ذَاتِهِ بِالصِّفَاتِ اقتِرَانِ كُلُّ مَا دُونَهُ بِصِفَاتِهِ.

لَيسَ فِي مُحَالِ القَولِ حَجَّةٌ، وَلَا فِي المَسئَلَةِ عَنهُ جَوَابٌ، بَل هُوَ لِلّٰهِ تَثبِيتٌ، وَلِلقُدرَةِ تَحقِيقٌ، لِامتِنَاعِ مَعنَى المُمتَنِعِ مِن مَعنَى الإِمكَانِ، وَمَعنَى الإِمكَانِ مِن مَعنَى الِامتِنَاعِ، لِامتِنَاعِ الأَزَلِيِّ[3] أَن يُثَنَّى، وَلَا بُدَّ لَهُ أَن يَتَنَاوَلَهُ؛ إِذ لَا بُدَّ لَهُ أَن

---

(١) في «ب»: (بإخلاص شيء) بدلاً من (الإخلاص بشيء).

(٢) في «ب»: (آلة).

(٣) في النسخ: «الأزل»، والصحيح ما أثبتناه كما ورد في الكتب الأخر.

يُبتَدَأ، وَلإبطَالِ مَعنَى الأزَلِ مَعنَى الابتِدَاءِ[1].

وَكَيف يَكُونُ المُبتَدَى مِثلاً لِمَا هُوَ ابتَدَا مِثلاً، وَيكُونُ امتِنَاعُ مَا لَا يُمكِنُ فِيهِ المِثل مِن تَمثِيلِهِ عَجزاً، إذاً لَزَالَ مَعنَى الأزَلِ وَالحَدَثِ[2]، وَلَلَحِق مَعنَى الأزَلِ بِمَعنَى الحَدَثِ، وَلَبَطَلَ مَعنَى لَامِثلَ لَهُ؛ إذكَانَ مَقدُوراً عَلَى تَمثِيلِهِ، وَلَكَانَ وُجُودُ مَن لَابَدءَ لَهُ هُوَ المُزِيلُ عَدَمَ مِثلِهِ، وَمَعنَى الامتِنَاعِ مِن إمكَانِهِ فِيهِ، بَل هُوَ كَمَا لَم يَزَل لَا يُمكِنُ فِي الأزَلِ العَدَمُ، كَذَلِكَ لَم يَزَل لَا يُمكِنُ فِي مِثلِهِ الوُجُودُ؛ لِأَنَّ فِي إثبَاتِ الوُجُودِ الأزَلِيِّ بُطلَانُ وُجُودِ مِثلِهُ، كَمَا أَنَّ وُجُودَ أَزَلِهِ إبطَالُ الأزَلِيَّةِ.

وَلَوكَانَ امتِنَاعُ ابتِدَائِهِ مِثلَهُ عَجزاً مِمَّن لَابَدْءَ لَهُ لَم يَحِقَّ لَهُ الأزَلُ المُمتَنِعُ مِن حَدَثِهِ. وَلَوكَانَ امتِنَاعُهُ مِن الحَدَثِ تَقصِيراً بِقُدرَتِهِ لَمَا امتَنَعَ مِن الحَدَثِ أزَلَهُ، وَلَكَانَ مَعنَى التَّقصِيرِ أَزَلِيّاً. وَلَكِنَّهُ مِن حَيثُ امتَنَعَ أَزَلُهُ مِن الحَدَثِ امتَنَعَ إحدَاثُ مِثلِهِ؛ لِمُشَارِكَتِهِ إيَّاهُ فِي أَزَلَهُ ـ وَلَو أَمكَنَ فِي الوَاحِدِ الأزَلِيِّ أَن يُثَنَّى أَمكَنَ أَن يَكُونَ فِي الأزَلِ شِركَةٌ ـ وَلَمَا ثَبَتَ مَعنَى الأزَلِ المُمتَنِعِ مِن الحَدَثِ، وَلَمَا فَرَّقَ العَقلُ بَينَ مَعنَى الأزَلِ وَالحَدَثِ، وَلَمَا كَانَ بَينَ مَعنَى المُبتَدِي وَالمُبتَدَى فَرقٌ، وَلَا بَينَ مَعنَى الامتِنَاعِ وَالإمكَانِ حَدٌّ.

وَلَو جَرَى عَلَى تَسمِيَةِ «الأحَدِ» عَدَدٌ لَجَرَى عَلَيهِ الطُّولُ وَالعَرضُ، وَلَتَعَاقَبَهُ الضِّدَّانِ البَسطُ وَالقَبضُ. وَلَوكَانَ تَسمِيَةُ «الصَّمَدِ» عَلَى تَأوِيلِ المُصمَتِ لَم يَمتَنِعْ

---

(١) في «أ»: (لامتناع الأزل أن يتناول الابداء له أن يبتدأ لابطال معنى الأزل معنى الابتداء) بدلاً من: (لامتناع الأزل أن يثنّى، ولابدّ له أن يتناوله؛ إذ لا بدّ له أن يبتدأ، ولإبطال معنى الأزل معنى الابتدا).

(٢) في «ب»: (إذاً له أزل معنى الحدث) بدلا من: (إذا لزال معنى الأزل والحدث).

مِن الحَدَثِ مَعنَاهُ. وَلَوكَانَ مَعنَى تَسمِيَتِهِ «شَيئاً» يُدخِلُهُ فِي شِبهِ شَيءٍ غَيرِهِ جَازَ أَن يَكُونَ مَعنَى «لَم يَزَل مُمتَنِعاً مِن الحَدَثِ» مُشبِهاً لِمَعنًى «مُمتَنِعٍ مِن الأَزَلِ»، وَلَثَبَتَ[1] لِغَيرِهِ أَزَلٌ كَانَ مَوجُوداً كَوُجُودِهِ؛ لِأَنَّ مَا ثَبَتَ لِشَيءٍ ثَبَتَ لِشِبهِهِ.

بَل لَهُ تَأوِيلُ الأَسمَاءِ لَا بِغُيُورٍ، وَمَعَانِي الصِّفَاتِ لَا بِإِضَافَةٍ، وَمَعنَى الأَفعَالِ عَلَى مَعنَى تَأوِيلِ العِبَارَةِ، وَفِي مَفعُولِهِ وَقَعَ تَأوِيلُ فِعْلِهِ، وَبِمَصنُوعِهِ اقتَرَنَ صُنْعُهُ، وَإِلَى مَا أَحدَثَ نُسِبَ مَعنَى إِحدَاثِهِ إِيَّاهُ.

إِن قِيلَ خَلَقَ فَالمَخلُوقُ عُنِيَ، وَإِن قِيلَ قَدَرَ فَالمَقدُورُ عَلَيهِ وُصِفَ، وَإِن قِيلَ عَلِمَ فَعَلَى المَعلُومِ أُحِيلَ، كَمَا إِذَا قِيلَ لَا إِلَهَ غَيرُهُ فَغَيرُهُ حَدٌّ، وَإِنَّمَا حَدَثَ غَيرٌ مَعَ حُدُوثِ الخَلقِ؛ لِامتِنَاعِ مَا لَا غَيرَ لَهُ أَن يَكُونَ غَيرَ غَيرِهِ، وَلَمَّا امتَنَعَ مِن هَذَا امتَنَعَ مِن أَن يَكُونَ غَيراً، وَلَو أَمكَنَ أَن يَكُونَ غَيراً لَقَارَنَهُ غَيرُ كُلِّ حَدَثٍ وَمُحدَثٍ، وَلَبَطَلَ مَعنَى «لَم يَزَل لَا غَيرَ»، وَلَاستَوَى مَعنَى «لَم يَزَل مُمتَنِعاً مِن غَيرِ غَيرِهِ» وَمَعنَى «لَم يَزَل مُمكِناً مِن أَن يَكُونَ لَهُ غَيرٌ».

وَإِنَّمَا تَسمِيَةُ اللهِ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ بِالعِلمِ كَتَسمِيَتِهِ بِسَائِرِ أَسمَائِهِ، لَا يُوجِبُ مِنهَا شَيءٌ عَلَيهِ لَهُ غَيراً كَمَا تُوجِبُ لِأَنفُسِهَا، وَيُوجِبُ بَعضُهَا لِبَعضٍ. وَلَيسَ امتِنَاعُ الأَسمَاءِ أَن تُوجِبَ لَهُ غَيراً بِإِبطَالِ مَعنَاهُ وَلَا مَعَانِي أَنفُسِهَا، إِذاً لَبَطَلَ كُلُّ مَعنَى بِبُطلَانِ مَعنَاهُ، وَلَامتَنَعَتْ المَعَانِي أَن يَكُونَ مَعَانِي أَنفُسِهَا، وَلَمَا كَانَ لِحَقٍّ وَلَا بَاطِلٍ، وَلَا لِخَالِقٍ وَلَا لِمَخلُوقٍ مَعنًى.

---

(١) هكذا، والظاهر: «ولو ثبت».

وَلَكِن مَعَانِي الأَشيَاءِ مُمتَنِعَةٌ مِن البُطلَانِ[1]، كَمَا يَمتَنِعُ مَعنَى الخَالِقِ وَالمَخلُوقِ مِن أَن يُمكِنَ فِيهِمَا إِثبَاتُ بَعضِهِمَا لِبَعضٍ. الغُيُورُ مُمتَنِعَةٌ أَن تَعدُوا بِالغُيُورِ أَنفُسِهَا، غَيرُ مُمكِنَةٍ أَن تُوجِبَ لِلمُمتَنِعِ مَا يَكُونُ مَا يُمكِنُ فِيهَا مِن الغيور؛ لِامتِنَاعِهِ مِن كُلِّ مَا يُمكِنُ فِيهَا.

وَمِن قِبَلِ امتِنَاعِ الكَلَامِ أَن يُمكِنَ فِيهِ الامتِنَاعُ مِمَّا لَا يَمتَنِعُ مِنهُ الأَسمَاءُ وَسَائِرُ الأَشيَاءِ اضطَرَرنَا إِلَى هَذَا المَضِيقِ؛ لِامتِنَاعِهِ أَن يُمكِنَ فِيهِ مَا يُمكِنُ فِي الأَسمَاءِ وَسَائِرِ الأَشيَاءِ. وَلَو أَمكَنَ فِيهِ مَا يُمكِنُ فِي الأَسمَاءِ وَسَائِرِ الأَشيَاءِ لَخَرَجَ الكَلَامُ إِلَى سُلطَانِ الِامتِنَاعِ مِن أَن يُمكِنَ فِيهِ مَا يُمكِنُ فِي الحَدَثِ مِن الأَسمَاءِ وَسَائِرِ الأَشيَاءِ، وَلَضَاهَى الكَلَامُ بِالِامتِنَاعِ - فِيمَا يَمتَنِعُ مِنهُ الجَمِيعُ - مِمَّا يُمكِنُ فِي الأَسمَاءِ وَسَائِرِ الأَشيَاءِ.

وَاللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلِيُّ التَّوفِيقِ لِلصَّوَابِ.

أَيُّهَا النَّاسُ! مَتَاعُ الدُّنيَا حُطَامٌ، وَتُرَاثُهَا رِمَامٌ، وَبُلغَتُهَا أَنمَى وَقُلعَتُهَا أَزكَى، حُكِمَ بِالفَاقَةِ عَلَى مُكثِرِيهَا[2]، وَأُعِينَ بِالرَّاحَةِ عَلَى مَن رَغِبَ عَنهَا، مَن رَاقَهُ رَوَاءُهَا أَعقَبَت نَاظِرِيهِ كَمَهاً، وَمَن استَبشَعَ دَوَاهَا مَلَأَتْ قَلبَهُ أَشجَاناً. لَهُنَّ رَقِيصٌ فِي سُوَيدَا قَلبِهِ كَرَقِيصِ الوَقدَةِ عَلَى أَعرَاضِ المِدرَجَةِ، هَمٌّ يَغمُرُهُ وَهَمٌّ يُشعِرُهُ، حَتَّى يُؤخَذَ بِكَظْمِهِ، وَيَنقَطِعَ أَبهَرَاهُ، وَيُسلَبَ مِنَّتُه، وَيُلقَى هَامَّتُهُ بِالفَضَاءِ طَرِيحاً، هَيِّناً عَلَى اللهِ مَدَاهُ، وَعَلَى الأَبرَارِ مُلقَاهُ.

---

(١) في «ب»: (التطول) بدلا من: (البطلان).

(٢) في «ب»: (مكثرها).

إِنَّمَا المُؤمِنُ يَنظُرُ إِلَى الدُّنيَا بِعَينِ الاِعتِبَارِ، وَيَقتَاتُ[١] مِنهَا بُلغَةَ[٢] الاِضطِرَارِ، وَيَسمَعُ مِنهَا بِأُذُنِ المَقْتِ[٣]، لَاكَمَن إِذَا قِيلَ: «أَثرَى» قِيلَ: «أَكدَى»، وَإِذَا قِيلَ: «أَبتِرَ»[٤] قِيلَ: «أَعذِرُ»، وَإِذَا غُبِطَ بِالسَّلَامَةِ غُبِطَ بِالنَّدَامَةِ.

هَذَا وَلَمْ يَأتِ يَومٌ فِيهِ يُبلَسُونَ أَقُولُ مَا تَسمَعُونَ، وَأَستَغفِرُ اللهَ لِي وَلَكُم أَجمَعِينَ. تَمَّت وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ»[٥].

---

(١) القُوتُ: ما يمسك الرمق من الرزق، العين ٥: ٢٠٠.

(٢) البلغة أي الكفاية، المحيط في اللغة ٥: ٨٧.

(٣) المَقتُ بغض من أمر قبيح ركبه، العين ٥: ١٣٢.

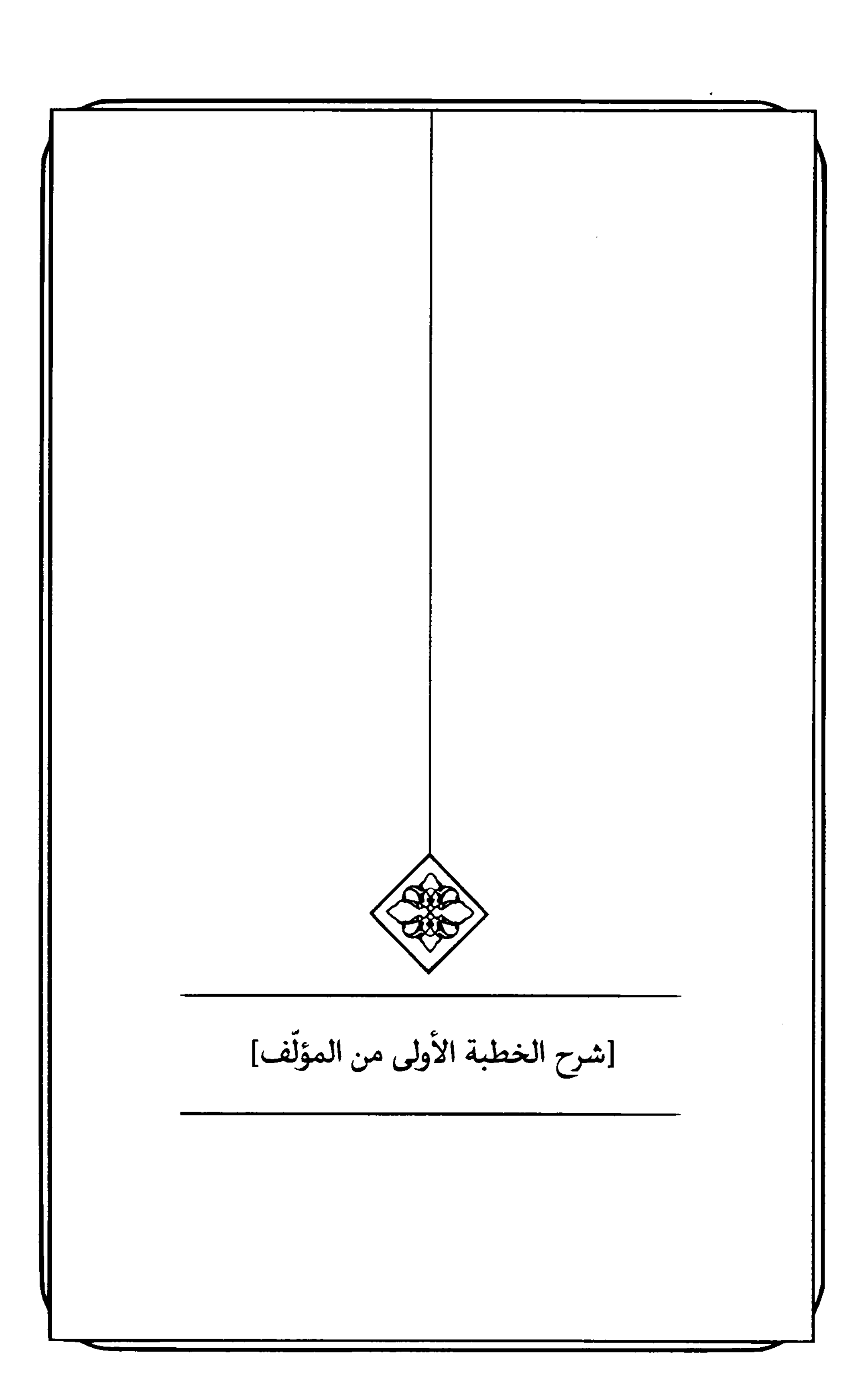
(٤) في «أ»: (وإذا اقتر) بدلا من: (وإذا قيل أبتر).

(٥) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:

تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٢٩ و٣٣، الغارات ١: ١٧٤، الكافي ١: ١٣٥/١، باب جوامع التوحيد، كمال الدين ٢: ٦١٠، نهج البلاغة: ٢٢٦ / ٢٢٨ (الخطب)، وص٤٨٠/ ٣٥٩ (الحكم)، تحف العقول: ٢٢٢.

وورد قسم كبير من هذه الخطبة عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مصادر، منها:

التوحيد: ٣٥ / ٢، باب التوحيد ونفي التشبيه، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥١ / ٥١، خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد، الأمالي للمفيد: ٢٥٤ / ٤، المجلس الثلاثون، الأمالي للطوسي: ٢٢ / ٢٨، المجلس الأوّل، الاحتجاج ٢: ٣٩٩.



[شرح الخطبة الأولى من المؤلّف]



وهذا شرح ما في هذه الخطبة من الغريب وغامض الكلام.

قوله: «الحمد لله القديم الدائم الحيّ الواحد الأحد الصمد»

[الله]

الله ـ جلّ وعزّ ـ قديم الأزل لا شيء قبله.

[القديم]

والقِدم في اللغة ـ بكسر القاف ـ مصدر القديم من كلّ شيء. والله ـ جلّ وعزّ ـ القديم بالحقيقة، وكلّ ما سمّي قديماً غيره فعلى المجاز.

والقَدم ـ بفتح القاف ـ السابقة في الأمر، منه قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] أي: سبَق لهم عنده ـ جلّ وعزّ ـ عملٌ صالح.

وجاء في الحديث: «إنّ جهنّم لا تسكن حتّى يضع الله ـ جلّ وعزّ ـ قدمه

---

(١) سورة يونس: ٢.

فيها»[1]، فقال أهل التشبيه: «إنّها تفور وتغلو فيضع الله ـ جلّ وعزّ ـ عليها قدمه فيسكن ما هاج وارتفع منها»[2]، تعالى الله عن التشبيه بخلقه سبحانه. وقال قوم ممّن ينفي التشبيه بزعمهم: «قدمه هاهنا هم الذين قدّمهم لها من شرار خلقه، فهم قدم الله إلى النار، وأهل الجنّة قدمه إليها»[3].

[الدائم]

والدائم بالحقيقه الله ـ جلّ وعزّ ـ الذي لا انقطاع له، وكلّ ما سمّي دائماً غيره فعلى المجاز؛ لأنّ الانقطاع عن ذلك الدوام يلحقه.

[الحيّ]

والحيّ بالحقيقه الله تبارك وتعالى اسمه، وكلّ ما سمّي حيّاً سواه فعلى المجاز؛ لأنّ الموت والفنا يدركه.

والحيّ في اللغة من الحياة التي هي ضدّ الموت والفناء، فالله ـ جلّ وعزّ ـ حيّ دائم لا يفنى ولا يموت.

وقيل[4]: إنّ من ذلك قيل في دعاء التشهّد في الصلاة التحيّات لله. قالوا[5]:

---

(١) العين ٥: ١٢٢، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥: ٣٢١٣.

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم ١: ٢٣٢، التوحيد لابن خزيمة ١: ٢٠٧.

(٣) القائل هو الحسن على ما حكي في العين ٥: ١٢٢ والهداية إلى بلوغ النهاية ٥: ٣٢١٣.

(٤) العين ٣: ٣١٨.

(٥) العين ٣: ٣١٨.

التحيّة مشتقّة من الحياة، بمعنى أنّ البقاء والدوام لله لا شريك له. وقيل[١]: إنّ الجاهليّة كانوا يمسحون وجوه الأصنام التي يعبدونها، فإذا مسحوا وجه الصنم قالوا: «لك الحياة الدائمة الباقية»، فأمر المسلمون أن يقولوا: «التحيّات لله» أي: البقاء لله ـ جلّ وعزّ ـ لا لغيره.

[الأحد، الواحد]

و«الواحد» في الحساب أوّل العدد، ويقال في اللغة: «أحد» للواحد في أوّل العدد، فإذا بلغ العدد إلى العشرة وزاد عليها واحد قالوا: «أحد عشر»، ولا يقال: «واحد وعشرة»، ويجري «أحد» في العدد[٢] مجرى «واحد». و إذا جعلوا «الأحد» على الفاعل قالوا: «هو حادي عشر»، و إذا أضافوا العدد إليه قالوا كذلك: «ثاني عشر وثالث عشر»، ويقولون أيضاً: «هو الحادي عشر»، قالوا[٣]: وهذا مقلوب كما قالوا «جذب» و«جبذ».

ويجمعون «الواحد» فيقولون لجماعة «الواحد»: «وحدان»، ويقولون: «هذا أحد القوم وواحد القوم»، ويقولون: «هو كأحدهم وهو[٤] واحد منهم»، ويقولون: «هو موحّد ومثنّى ومثلّث».

والواحد الأحد الذي هو الله ـ جلّ وعزّ ـ لا ينصرف على هذا التصريف،

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) قوله: (في العدد) لم يرد في «أ».

(٣) العين ٣: ٢٨١.

(٤) في «أ»: (أي) بدلاً من: (وهو).

ولايثنّى ولا يجمع؛ إذ هو واحد أحد بالحقيقة لامن عدد، وكلّ واحد واحد[١] دونه فإنّما يسمّى بذلك لعدد، والله واحد أحد ـ سبحانه ـ من غير عدد[٢].

وقد ذهب المشبّهون به[٣] إلى تحديد المحدود وأنّه عندهم واحد كأحد الآحاد، واحد كالذي يعرفونه من ذلك، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

[نقل كلام بعض الدعاة وردّه]

وقال بعض من نفى التشبيه بزعمه[٤]: «إنّه إنّما قيل له ـ جلّ وعزّ ـ واحد؛ لأنّه لم يزل قبل الخلائق متوحّداً بالأزل لا ثاني معه ولا خلق، ثمّ أبدع الخلق فكان الخلق ثانياً. وخلق الخلق محتاجاً بعضه إلى بعض، ممسكاً بعضه بعضاً، متعادياً ومتضادّاً، ومتشاكلاً ومزدوجاً، ومتّصلا ومنفصلاً. واستغنى ـ جلّ وعزّ ـ عن الخلايق، فلم يحتج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقروناً به لحاجته إليه، ولا ناواه شيء فيكون ذلك الشيء ضدّاً له مضرّاً به ويكون ذلك الضدّ والقرين ثانياً له، بل توحّد بالبقاء والغناء عن جميع خلقه؛ لأنه كان قبل كلّ شيء. والأوّليّة دلّت على الوحدانيه؛ إذ لم يكن قبله شيء متوحّد بالأوّليّة[٥] كما توحّد هو ـ عزّ وجلّ ـ بها فيكون هو ثانياً لذلك الشيء الذي تقدّمه، بل هو الأوّل

---

(١) قوله: (بالحقيقة لا من عدد وكلّ واحد واحد) لم يرد في «ب».

(٢) في «أ»: (وإنّما سمّي بذلك العدد والله سبحانه أحد واحد من غير العدد).

(٣) كأحمد بن حنبل وابن تيمية. الرد على الزنادقة والجهمية ١: ١٤١، درء تعارض العقل والنقل ٧: ١١٤.

(٤) هو أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة.

(٥) في «ب»: (بأزله) بدلاً من: (بالأولية).

السابق بالوحدة، وكان الخلق ثانياً بالإبداع.

والواحد اسم يدلّ على نظام يعلم باسمه بأنّه واحد ليس قبله شيء، والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كلّ عدد، وهو خارج من العدد. والواحد كيف ما أدرته وأجريته لم يزد فيه شيء، تقول: «واحد في واحد» فلم يزد على الواحد شيء، وتقول: «نصف الواحد نصف واحد»، فلم يتغيّر اللفظ عن الواحد، فدلّ أنّه لاشيء قبله، وإذا دلّ أنّه لا شيء قبله دلّ على أنّه محدث الشيء، وإذا دلّ أنّه محدث الشيء دلّ أنّه مفني الشيء، وإذا دلّ أنّه مفني الشيء دلّ أنّه لاشيء بعده. فإذا لم يكن قبله شيء ولابعده شيء فهو المتوحّد بالأزل، فلذلك قيل: «هو واحد أحد».

وقال بعضهم: إنّ «الأحد» هو اسم أكمل من «الواحد». ألا ترى أنّك لو قلت: «فلان لا يقوم له واحد»، جاز له في المعنى أن يقوم له اثنان وثلاثة فما فوقها، فإذا قلت: «فلان لا يقوم له أحد» فقد جزمت أنّه لا يقوم له واحد ولااثنان فما فوقهما، فصار «الأحد» أكمل من «الواحد».

وفي «الأحد» خصوصيّة ليست في «الواحد»، تقول: «ليس في الدار واحد» فيجوز أن يكون واحد من الدوابّ أو الطير أو الوحش أو الإنس. فكان «الواحد» يعمّ الناس وغير الناس[1]. فإذا قلت: «ليس في الدار أحد» فهو مخصوص الآدميّين دون سائرهم.

و«الأحد» ممتنع من الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من

---

(١) قوله: (فكان الواحد يعم الناس وغير الناس) سقط في «ب».

الحساب، وهو متفرّد بالأحديّة، و«الواحد» منقاد للعدد والقسمة وغيرهما داخل في الحساب. تقول: «واحد واثنان وثلاثة»، فهذا العدد، فـ«الواحد» وإن لم يكن من العدد فهو علّة العدد، وهو داخل في العدد وليس بعدد[١]؛ لأنك إن ضربت واحداً في واحد لم يزد، واثنان هو جذر الحساب، وتقول: «واحد في اثنين أو ثلاثة» فما فوق ذلك، فهذا هو الضرب. وتقول في القسمة: «واحد بين اثنين أو ثلاثة»، فكلّ واحد بين اثنين وثلاثة[٢]، لكلّ واحد من الاثنين نصف، ومن الثلاثة ثلث.

و«الأحد» ممتنع من هذه الأفعال، لا يقال: «أحد واثنان وثلاثة»، ولا يقال: «أحد في أحد أو في اثنين أو في ثلاثة»، ولا يقال: «أحد بين اثنين أو بين ثلاثة». فالواحد وإن لم يتجزّأ من الواحد فإنّه يتجزّأ من الإثنين والثلاثة فما فوقهما، تقول: «جزء واحد من جزأين فما فوقهما».

وقد سمّى الله ـ جلّ وعزّ ـ نفسه واحداً، ووصف نفسه واحداً[٣]، ووصف نفسه بالوحدانيّة[٤] والأحديّة، فقال في محكم تنزيله: ﴿قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُم إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٥]، وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَينِ اثنَينِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٦] وقال:

---

(١) قوله: (وليس بعدد) لم يرد في «ب».

(٢) قوله: (فكلّ واحد بين اثنين وثلاثة) لم يرد في «أ».

(٣) في «أ»: (وأحدا) بدلاً من: (ووصف نفسه واحدا).

(٤) في «أ»: (بالواحدية).

(٥) سورة الكهف: ١١٠، سورة فصّلت: ٦.

(٦) سورة النحل: ٥١.

﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[١]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٢]، فوصف نفسه في كتابه بالواحديّة والأحديّة، فالواحد نعت تلزمه على الحقيقة؛ لأنه كان قبل ولاثاني معه، والثاني خلاف الواحد.

فهو واحد لاتحاده بالقدم، والخلق اثنان لاقترانه بالحدوث؛ لأنّ الحدوث ثاني القدم، وبه ظهرت التثنية.

فالواحد هو الأحد في ذاته؛ إذ لم يلزمه نعت ولاصفة فيكون ذلك ثانياً له. والخلق اثنان؛ لأنه صفة وموصوف. فهو لا شيء قبله، ولامن شيء، ولافي شيء، ولاعلى شيء، ولالشيء، ولامع شي فيكون ذلك الشيء ثانياً معه، بل هو الواحد، منشئ الأشياء والأشياء كلّها له، وهو المتّحد بذاته، ممتنع من أن يكون له شيء ثانياً بوجه من الوجوه، والخلق كلّه له وإن كان يسمّى بالواحد.

وكانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء في وجهٍ فإنّها تزول عنها في وجهٍ، كما قيل: «إنسان واحد» و«فرس واحد» و«بعير واحد»، وكذلك يقال لساير الأشياء. وهذه صفة تلزمها في اللفظ، والمسمّى لايخلو من معاني كثيرة مجتمعة فيه كالجسم والعرض، وهو واحد مجموع من أشياء مفترقة، وكلّ شيء لايخلو من تراكيب كثيرة، كالإنسان يقال له: «رجل واحد»، وهو لحم ودم وعظم ومخّ وعروق وغير ذلك.

وأقلّ ما يوجد في الشيء الواحد معنيان، فإن كان حيواناً قيل: «روح وجسد»،

---

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

وإن كان مواتاً قيل: «بارد رطب، أو بارد يابس، أو حارّ رطب، أو حارّ يابس»، فإذا اجتمعت هذه الأشياء صارت باجتماعها واحداً في اللفظ. والمخلوق واحد بتأويل في العدد[١]، وكلّ شيء لا يخلو من ازدواج وتضادّ وتشاكل وحدّ[٢] وعدد.

وهذه الصفات كلّها تنفي عنه معنى الأحديّة والواحديّة، والواحد الأوّل أحديّ الذات واحديّ المعنى، لا تلزمه هذه الصفات، وهو محض في الأحديّة والواحديّة، تبارك الله الواحد الأحد، المتّحد بالأحديّة، المتوحّد بالواحديّة، لا شريك له في الأحديّة والواحديّة، وتعالى علوّاً كبيراً»[٣].

فهذا قول قصد به قائله معنى التوحيد، وقد شابه ببعض التشبيه في مواضع في فحوى كلامه وإن كان يدفع ذلك وينفيه في القول بعد القول.

وقد ذكرنا في الخطبة المتقدّم ذكرها قول مولانا أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «لا ديانة إلّا بعد معرفة، ولا معرفة إلّا بتصديق، ولا تصديق إلّا بتوحيد، ولا توحيد إلّا بإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، والتشبيه مع إثبات الصفات، ولا توحيد إلّا باستقصاء النفي كلّه، إثبات بعض التشبيه يوجب الكلّ، ولا يستوجب التوحيد ببعض النفي دون الكلّ». وهذا الكلام سنذكر بيان ما يوجبه في موضعه بعد هذا إن شاء الله.

وقوله فيه: «إثبات بعض التشبيه يوجب الكلّ» يبيّن معناه أنّ إنساناً لو وحّد الله ـ سبحانه ـ بحقيقة ما ينبغي أن يوحّد به، ونفى عنه جميع صفات غيره،

---

(١) في «ب»: (عدد في المعنى) بدلاًمن: (في العدد).

(٢) في «ب»: (واحد).

(٣) هذا قول أبي حاتم الرازي في كتاب الزينة، نقله المصنّف اختصارا. الزينة ١: ٢٠٠ ـ ٢١٠.

إلّا أنّه وصفه بأقلّ شعرة في حيوان، أو بجزء من وبره، أو بأقلّ ما يقع عليه الحواسّ من ساير الخلق، لكان بذلك خارجاً عن حكم التوحيد، داخلاً في انتحال التشبيه، بلا اختلاف ممّن ينتحل القول بالتوحيد.

ووجدنا هذا القائل يقول: «إنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ متوحّد بالأزل، واحد لا ثاني معه، وأنّه لمّا خلق الخلق كان الخلق ثانياً، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا ثاني معه قبل ولا بعد»، وإذا قال: إنّ له ثانياً أثبت أنّه أحد من عدد، وإذا أثبت أنّه أحد من عدد فقد شبّهه بالواحد من كلّ أجناس ما خلق، تعالى الله عن ذلك، الذي لا شبه له ولا شيء مثله.

ثمّ رأيناه أيضاً مثّله بالواحد من العدد بقوله: «إنّه ـ جلّ وعزّ ـ واحد ليس قبله شيء». قال: «والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كلّ شيء[1] وهو خارج عن العدد».

ثمّ نسق على هذا القول وحدة الباري ـ جلّ وعزّ ـ، فقال: «دلّ ذلك على أنّه لا شيء قبله، ودلّ على أنّه محدث الشيء، وإذا دلّ على أنّه محدث الشيء دلّ أنّه مفني الشيء، وأنّه لا شيء بعده». وكان فحوى قوله هذا ـ كما ذكرنا في استدلاله على وحدة الله ـ جلّ وعزّ ـ بوحدة الواحد من العدد ـ ما يلزمه التشبيه على ما ذكرناه.

وقوله: «إنّ الأحد اسم أكمل من الواحد» وقد أقرّ بأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ سمّي بـ«الواحد» وبـ«الأحد»، ففرّق بين الاسمين، وأوجب لأحدهما الكمال دون الآخر،

---

(١) في «أ»: (عدد) بدلاً من: (شيء).

ما أوجب به النقص في بعض أسماء الله سبحانه؛ إذ جعل غيره أكمل منه، وأسماء الله ـ جلّ وعزّ ـ كلّها تامّة لا نقص في شيء منها، والموجب النقص في شيء منها يوجبه على المسمّى بها؛ إذ هي من صفاته التي وصف بها نفسه. ولم يوحّد الله حقيقة توحيده من زعم[1] أنّ بعض صفاته أكمل من بعض، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فأمّا ما فرّق به هذا القائل ـ فيما زعم ـ بين الأحد والواحد، وزعم بأنّ الأحد أكمل وأخصّ من الواحد، واستشهد على كماله بأنّه يقال: «فلان لا يقوم له أحد»، فدلّ ذلك على أنّه لا يقوم له جماعة، فإذا قال: «لا يقوم له واحد» دلّ على أنّه قد يقوم له اثنان، قال: «فصار الأحد أكمل من الواحد»[2].

فيقال لمن قال بقوله هذا: وكذلك يقال: «فلان واحد قومه» يراد بذلك أنّه أفضلهم، وإذا قيل: «هو أحدهم» فإنّما يعنى بذلك أنّه واحد منهم، فيكون واحد في هذا على قولك أشرف وأكمل من أحد، وكلّا أن يكون[3] ذلك. وسنبيّن المعنى في هذا.

واستشهد على خصوص الأحد بأنّهم يقولون: «ليس في الدار أحد»، فيُنفى بذلك أن يكون فيها أحد من الناس. وإذا قلت: «ليس فيها واحد» أمكن أن يكون ذلك الواحدَ المرادَ من الناس، ومن كلّ شيء يقع عليه اسم الواحد.

---

(١) مثل أبو حاتم الرازي.

(٢) قول أبو حاتم الرازي.

(٣) في «أ»: (لا يكون) بدلاً من: (أن يكون).

فيقال له: فالعامّ الذي يجمع الكلّ أولى بالفضل من الذي يعجز عن العموم لو كان ذلك على هذا التنزيل.

فإن قلت: إنّ الفضل في الخصوص في مثله، فأنت تجد كثيراً يخصّ فيه الواحد دون الأحد، كقول أكثر الناس في العدد: «واحد»، ولا يقولون: «أحد»، و«واحد من الجماعة»، و«واحد من الناس»، وغير ذلك كثيراً يجري فيه الواحد في أكثر كلامهم، ولا يجري فيه الأحد، وليس شيء من هذا يوجب تفضيل الأحد على الواحد، ولا الواحد على الأحد[1].

والذي قاله أهل المعرفة باللغة[2]: إنّ الواحد جاء في لسان العرب على لغات كثيرة، يقال: واحد وأحد ووحد ووحيد ووحاد وأحاد وموحد وأوحد. فأمّا اللغتان في الواحد والأحد فقد جائتا في القرآن[3]، وساير ذلك من اللغات جاء في أشعار العرب.

وأنشدو في الوحد قول النابغة[4]:

كَــأَنَّ رَحلِــي وَقَــد زَالَ النَّهَــارُ بِنَــا ... بِذِي الجَلِيلِ عَلى مُستَأنِسٍ وَحَدٍ[5]

---

(١) قوله: (ولا الواحد على الأحد) لم يرد في «أ».

(٢) انظر: العين ٣: ٢٨١، الصحاح ٢: ٥٤٨.

(٣) انظر: سورة يوسف: ٣٩، سورة إبراهيم: ٤٨، وسورة الإخلاص: ١.

(٤) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع المعروف بالنّابغة الذّبياني، أحد شعراء الجاهليّة المشهورين، ومن أعيان فحولهم المذكورين، من الطبقة الأولى ومن أصحاب المعلّقات. جمهرة النسب ١: ٤١٩، طبقات فحول الشعراء ١: ٥١، الأغاني ١١: ٥، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٢٣٤.

(٥) شرح المعلّقات التسع ١: ٨٢، العين ٣: ٢٨٠.

وأنشدوا لصخر السلمي[١] في أحاد:

منـت لَـكَ أن تُلاقِيَنِـي المَنَايَـا أُحَـادَ أُحَـادَ فِـي شَـهرٍ خِـلالِ[٢]

وأنشدوا له في موحد:

وَلَقَـد قَتَلـتُكُم ثُنَـاءً وَمَوحِـدَاً وَتَرَكـتُ مَـرَّةً مِثـلَ أَمـسِ المُـدبِرِ[٣]

وأنشدوا لطرفة[٤] في أوحد:

تَمَنَّـى رِجَـالٌ أَن أَمُـوتَ وَإِن أَمُـت فَتِلـكَ سَـبِيلٌ لَسـتُ فِيهَـا بِأَوحَـدِ[٥]

قالوا[٦]: قوله: «بأوحد» يعني بواحد، وذلك مثل قولهم في الأذان: «الله أكبر» هو بمعنى كبير، وقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ﴾[٧] أي: هيّن عليه.

فكلّ هذه لغات العرب في الواحد، ولكنّ المستعمل منها واحد وأحد، وبهما سمّي الله ـ جلّ وعزّ ـ في كتابه.

وواحد أعمّ في الكلام وأكثر، ولكلّ واحد منهما شيء خصّوه به، لم يجروا فيه الآخر وأشياء أجروها فيهما معاً.

---

(١) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السّلمي، من بني سليم ابن منصور، من قيس عيلان. أخو الخنساء الشاعرة. كان من فرسان بني سليم وَغزاتهم. الأعلام ٣: ٢٠١، الأغاني ١٥: ٥٦.

(٢) مجاز القرآن ١: ١١٥، المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢: ٨٤٠.

(٣) مجاز القرآن ١: ١١٥، أدب الكاتب ١: ٥٦٧.

(٤) منسوب إلي أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي، أحد أئمّة العامّة الأربعة، ومذهبه أقرب إلى الإماميّة من باقيهم، ولكونه مطلبيّا كان له محبّة. جمهرة النسب ١: ٦١، الفهرست لابن النديم ١: ٢٩٤، حلية الأولياء ٩: ٦٣، طبقات الحنابلة ١: ٢٨٠، معجم الأدباء ٦: ٢٣٩٦، وفيات الأعيان ٤: ١٦٣.

(٥) مجاز القرآن ٢: ١٦، عيون الأخبار ٣: ١٣١.

(٦) مجاز القرآن ٢: ١٢١، تفسير الطبري ١٨: ٢٧٤.

(٧) سورة الروم: ٢٧.

فممّا خصّوا به الواحد الحساب إلّا في الواحد الزائد على العشرة، فإنّهم قالوا: «أحد عشر». وممّا أشركوهما فيه الزائد على العِقد من العشرين فما فوقها إذا زادوا على ذلك واحداً، قالوا: «أحد وعشرين وواحد وعشرين»، وكذلك في الثلاثين وما فوقها إلى المائة.

ولم يأت عنهم فيما علمناه أنّهم فضّلوا أحداً على واحد، ولا واحداً على أحد، إلّا أنّ أهل كلّ لغة يرون أنّ لغتهم أفضل وأحسن عندهم من لغة غيرهم. ولا يقال في ذلك فيما كان من أسماء الله ـ جلّ وعزّ ـ وصفاته؛ لما قدّمناه في ذلك. وإنّما استعمل الناس من هذه اللغات في كلّ موضع ما قد جرت به عادتهم وخفّ على ألسنتهم، لا لعلّة أوجبت ذلك عندهم.

[الصمد]

وأمّا الصمد فإنّ الصمد في لغة العرب قد يتصرّف على وجهين، فيقال: الصمد المصمت، قال الشاعر[1]:

إنَّـكَ لَا تَشْـكُو إلـى مُصَـمَّتٍ　　　فَاصبِر عَلى الحَملِ الثَّقِيلِ أَو مِتِ[2]

المصمت: الذي ليس بأجوف، ويسمّون الصخرة الراسية في الأرض المستوية

---

(١) هذا صار مثلا معروفا بين العرب فلم يذكر قائله في المصادر، قال أبو هلال العسكري في جمهرة أمثال العرب ١: ١٠٨: قولهم إنّك لا تشكو إلى مصمّت. يضرب مثلاً لقلّة اهتمام الرجل بشأن صاحبه، وأصله قول الشاعر يخاطب جمله: إنّك لا تشكو إلى مصمّت ❊ فاصبر على الحمل الثقيل أو مت.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٦١٦.

مع وجه الأرض أو المرتفعة قليلاً صمدة[١].

وقد ذهب قوم من المشبّهين[٢] القائلين بالجسم إلى أنّ الله ـ تعالى ذكره عن قولهم علوّاً كبيراً ـ جسم مصمت غير أجوف؛ لأنه لا يأكل ولا يشرب.

والصمد أيضاً في لغة العرب السيّد المطاع في قومه من الناس الذي ليس فوقه من قومه[٣] أحد منهم، فهم يصمدون إليه في حوائجهم أي: يقصدون، فيقال من ذلك: صمد الرجل نحو الرجل صموداً إذا قصده لأمر يرجوه عنده، ويقال: صمدتُ صمد هذا الأمر أي قصدت قصده[٤] واعتمدته[٥]. فذهب إلى هذا المعنى في تسمية الله ـ عزّ وجلّ ـ الصمد الموحّدون ـ بزعمهم ـ من العامّة[٦]، وأنشدوا لطرفة[٧] في الصمد ـ وأنّه كما قالوا فيه السيّد من الناس[٨] ـ قوله:

لَقَـد بَكَّـرَ النَّـاعِي بِخَيـرِ بَنِـي أَسَـدِ ... بِعَمرِو بنِ مَسعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّـمَدِ[٩]

قالوا: «وإنّما قيل لله ـ عزّ وجلّ ـ الصمد؛ لأنه المقصود للحاجات، وهو نهاية

---

(١) انظر: العين ٧: ١٠٤.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١: ٢٠٩.

(٣) قوله: (من قومه) لم يرد في «أ».

(٤) قوله: (لأمر يرجوه عنده ويقال صمدت صمد هذا الأمر أي قصدت قصده) لم يرد في «ب».

(٥) في «ب»: (واعتمد به).

(٦) انظر مجاز القرآن ٢: ٣٦١.

(٧) هو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلة، وليس عند الرّواة من شعره وشعر عبيد إلَّا القليل، وكان أحدث الشعراء سنّا وأقلّهم عمرا، قتل وهو ابن عشرين سنة، فيقال له: ابن العشرين. الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١: ١٨٥.

(٨) المخصّص ٣: ٣٠١.

(٩) مجاز القرآن ٢: ٣١٦، معاني القرآن للزجّاج ٥: ٣٧٨، الصحاح ٢: ٦٥٢.

الغايات وسيّد السادات، لا سيّد فوقه ولانهاية وراءه، بل هو الغاية في أنفس المخلوقين، يصمد إليه ويقصد نحوه؛ لمعرفة الأنفس في ضمائرها وغامض عقولها أنّه الغاية الذي يضطرّ إليه الخلايق عند الكرب والشدائد بالدعاء يا ربّ يا ربّ، ويعلم أنّه القادر على قضائها القريب الرحيم، فإنّه لا يقصد إلّا نحوه، ولا غاية غيره، تبارك وتعالى».

هذا نصّ قول بعض الذين سمّوا بالتوحيد من العامّة ممّا نقله عنهم وارتضاه بعض الخاصّة[1].

وأرى هذا القائل قد أثبت بقوله هذا قصد الباري جلّ وعزّ ـ على ما وصف ـ من[2] المخلوقين، وجعل له نهاية وسمّى له فوقاً ووراء ونحواً، ووصفه بالقرب، وكلّ هذا من القول يجري مجرى التشبيه إن لم ينف ذلك عنه ببيان المعاني، كمثل ما نفى ذلك وبيّنه أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ في الخطبة التي تقدّم ذكرها.

ومتى لم يكن ذلك مثّله ـ جلّ ذكره ـ من سمع هذا القول معرّى من البيان ممّن لم يتتبّع[3] في علم التوحيد على مثال المخلوق الذي يُقصد إليه ويصمد نحوه، وقام في وهمه أنّه كذلك جلّ وعزّ، صورةٌ مجسّمةٌ كالمخلوق، في مكان يقصد إليه يحويه، وإذا أثبت أنّ له فوقاً ثبت أنّ له تحتاً، وإذا أثبت أنّ له وراء ثبت أنّ له قدّاماً، وإذا وصفه بالقرب الذي يعرفه من المخلوقين فقد

---

(١) لم نعثر عليه

(٢) في «ب» زيادة قوله: (قصد).

(٣) في «أ»: (لم يتسع).

نواه المكان وحدّ وراءه البعد وأمامه القرب، فصار بذلك إلى التمثيل والتشبيه تعالى الله عن ذلك وتقدّس من أن يلحقه.

وأمّا ما تأوّلوه عليه وسمّوه به من السيّد[١] إذ تأوّلوا ذلك من الصمد، فلم يسمّ الله ـ عزّ وجلّ ـ بذلك، ولا جاء عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ تأويله فيما علمناه، ولكنّ العامّة يدعونه ـ عزّ وجلّ ـ بذلك. والسيّد من الناس في المتعارف عندهم عظيم القوم الذي يملك أمرهم خاصّة، دون الملك الذي يملك أمرهم[٢] وأمر غيرهم من أهل مملكته، والعرب تسمّي عظيم القبيلة والحيّ منهم السيّد، وفي ذلك يقول الشاعرهم[٣]:

قَد كَانَ قَومُكَ يَحسِبُونَكَ سَيِّداً وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعيُونٌ[٤]

والملك عندهم فوق ذلك، وهو الذي يملك أمر جماعة القبايل، وجاء في القرآن: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ﴾[٥]، قال المفسّرون[٦]: يعني زوجها. ويقال كذلك للرجل سيّد المرأة؛ لأنه يملك أمرها، وللمالك سيّد مملوكه؛ لأنه يملك أمره. وقال الله ـ جلّ ذكره ـ حكاية عن قول أهل النار: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعنَا سَادَتَنَا

---

(١) يراد لفظ السيد.

(٢) قوله: (خاصّة، دون الملك الذي يملك أمرهم) لم يرد في «أ».

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي، أحد شجعان العرب، وهو مخضرم أدرك الجاهليّة وَالإسلام، وكان من المؤلّفة قلوبهم. الأغاني ١٤: ٤٥٤، الطبقات الكبرى ٤: ٢٠٥، الشعر والشعراء ١: ٢٩١.

(٤) العين ٢: ٢٥٥.

(٥) سورة يوسف: ٢٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٣٣٠، جامع البيان ١٣: ١٠٢.

﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[١]، يعنون عظماء هم الذين كانوا يملكون أمورهم.

والله ـ جلّ ذكره ـ العظيم بالحقيقة لا بتحديد صفة، المالك لجميع الأشياء كلّها من غير تشبيه، وقد سمّى الله ـ جلّ ذكره ـ بذلك في كتابه ووصف به نفسه[٢]، وكلّ من سمّي عظيماً أو مالكاً من دونه فعلى المجاز سمّي بذلك لا على الحقيقة؛ لأنّ ذلك يزول عنه ويفنى هو، فليس يوصف الخالق في هذا ولا فيما سواه بصفة المخلوق، ولا يمثّل به ولا يتوهّم أنّ الذي يوصف به[٣] كالذي يشاهد من المخلوق ويعرف به من أحواله وأفعاله؛ لأنه قد أخبر ـ عزّوجلّ ـ في كتابه أنّه لا شيء مثله[٤] وأنّه لا كفؤ له[٥].

والكفؤ فيما اجتمع عليه أهل اللغة[٦]: المثل. قالوا: نقول هذا كفؤٌ لهذا أي مثله في الحسب والمال وغير ذلك، وكذلك قالوا في الحرب: يكون الرجل كفؤاً لقرنه، وفي التزويج: يكون الرجل كفؤاً للمرأة، والجميع الأكفّاء.

والمثل في اللغة: الشبه والنظير من كلّ شيء، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا مثل له ولا شبه في شيء من الأشياء، ولا يصحّ التوحيد ـ كما قال أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه في الخطبة المتقدّم ذكرها ـ إلّا بنفي جميع التشبيه.

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٢) انظر: سورة البقرة: ٢٥٥، سورة الشورى: ٤، سورة الواقعة: ٧٤.

(٣) قوله: (ولا يتوهم أنّ الذي يوصف به) لم يرد في «ب».

(٤) سورة الشورى: ١١.

(٥) سورة الإخلاص: ٤.

(٦) انظر: العين ٥: ٤١٤، الصحاح ١: ٦٨.

فأمّا المشبّهون فقد أوجبوا على الله ـ تعالى عن قولهم ـ أنّه جسم مصمت، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

قال ابن قتيبة ـ وهو أحدهم ـ في كتابه الذي ذكر فيه غريب القرآن: «الصمد السيّد الذي انتهى سؤدده؛ لأنّ الناس يصمدون في حوائجهم»[1]. وأنشد لعمرو بن الأسلع[2] في قتلة حذيفة بن بدر[3]:

عَلَوتُـهُ بِحُسَـامٍ ثُـمَّ قُلـتُ لَـهُ خُذهَا حُذَيفُ فَأَنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

قال: «وقال عكرمة[4] ومجاهد[5]: هو الذي لا جوف له»، قال: «وهو على هذا

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٥٤٢.

(٢) عمرو بن الأسلع العبسيّ، فارس شاعر أدرك بثأره بجفر الهباءة من بني بدر بن عمرو الفزاريّ. من اسمه عمرو من الشعراء ١: ١٢.

(٣) حذيفة بن بدر: يضرب به المثل في سرعة السير. كان في عصر المنذر بن ماء السماء في الجاهلية. الأعلام ٢: ١٧١. وكان حذيفة جمع لبني عبس، فالتقوا دون الهباءة في يوم القائظ، ثمّ تحاجزوا لشدّة الحرّ، فاستنقع حذيفة وحمل ومالك بنو بدر في بركة الهباءة، فقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر، فقتل الحذيفة الحارث بن زهير بن جذيمة وعمرو بن الأسلع جميعا، وأخذ الحارث سيف حذيفة وقتل جميع من كان في الجفر، وقال عمرو بن الأسلع هذه الأبيات. أنساب الأشراف ١٣: ١٣٤.

(٤) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعيّ، كان من أعلم الناس بالتفسير وَالمغازي. طاف البلدان، وَروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. الأعلام ٤: ٢٤٤، قاموس الرجال ٧: ٢٣٦، الطبقات الكبرى ٥: ٢١٩، حلية الأولياء ٣: ٣٢٦.

(٥) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم، تابعيّ، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء وَالمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات. الأعلام ٥: ٢٧٨، الطبقات الكبري ٦: ١٩، تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ١٧، معجم الأدبا ٥: ٢٢٧٢، قاموس الرجال ٨: ٢٧٠.

التفسير كان الدال منه مبدلة من تاء، والمصمت من هذا»[1].

وروي عن قتادة أنّه قال: «كان إبليس ينظر إلى آدم وقد خلق من طين من قبل أن ينفخ فيه الروح، ويقول لأمر ما خلقت ودخل مِن فيه وخرج مِن دُبره، فقال للملائكة: لاترهبوا من هذا، فإنّ ربّكم صمد وهذا أجوف»[2].

فعلى مثل هذا من آراءهم السيّئة ورواياتهم الفاسدة تأوّلوا كتاب الله ـ جلّ وعزّ ـ وصفاته وأسمائه من غير أخذ لذلك عن الرسول الذي أمر بالبيان، ولا عن من أثر ذلك عنه، وكذلك أخذوا عامّة دينهم. والكلام في الردّ في ذلك عليهم يطول ويخرج عن حدّ هذا الكتاب، وقد أثبتناه في كتاب أصول المذاهب.

ولسنا نقول في هذا وغيره ممّا ذكرناه ونذكره وندين الله ـ جلّ وعزّ ـ به إلّا بما وجدناه ظاهراً في كتابه أو تأدّى إلينا بنقل أئمّتنا[3] عن رسوله محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ، ونمسك عمّا لم ينته إلينا علم ذلك، ونحكي ما قيل فيه عن من بلغنا قوله، ولا نتجاسر على القول على الله ـ جلّ وعزّ ـ بما لا نعلمه، ولا على ضرب الأمثال له، فإنّه يقول ـ لا شريك له ـ: ﴿**فَلَا تَضرِبُوا لله الأَمثَالَ إِنَّ الله يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ**﴾[4]، وقال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ قَالَ مَن يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾[5]، فمثّل الكافرُ القائل هذا ربّه ـ جلّ وعزّ ـ

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٥٤٢.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٥٤٣.

(٣) قوله: (أئمتنا) لم يرد في «ب».

(٤) سورة النحل: ٧٤.

(٥) سورة يس: ٧٨.

بالمخلوق؛ إذ قد علم أنّه يعجز عن إحياء العظام وهي رميم، فرأى أنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ لا يقدر على ذلك كما لا يقدر عليه المخلوق، وشبّه استطاعته باستطاعة خالقه، فهذا ومثله ممّا يتولّد عن التشبيه ويتفرّع من أصله.

فهذا جملة من القول في بيان ما ذكرنا أنّا نبيّنه ونشرحه ممّا في الخطبة المتقدّم ذكرها من الغريب وغامض الكلام، ذكرنا إلى هذا المكان من ذلك بيان قوله: «الحمد لله القديم الدائم الحيّ الأحد الواحد الصمد».

ويتلو ذلك ممّا شرطنا تفسيره.

[الغاية والنهاية]

قوله: «الذي لم يزل أوّلاً بلا توهّم غاية وآخراً بلا انقطاع نهاية».

الغاية في اللغة:[1] مدى كلّ شيء وآخره، ومن ذلك قالوا لآخر الحلبة ـ وهو الموضع الذي ينتهي إليه في سبق الخيل إذا سابقوا بينها ـ الغاية، فأخبر أنّ الله ـ سبحانه ـ هو الأوّل بلا توهّم أوّل ولا آخر له، كان ولا يكون له كالذي يكون للمخلوق من أوّله الذي ابتدأ منه وآخره الذي ينتهي إليه، وأنّ ذلك منفيّ عن الله ـ سبحانه ـ غير موصوف به.

والنهاية في اللغة[2] أيضاً كالغاية حيث ينتهي إليه كلّ شيء، وهو النهاء ممدوداً أيضاً، ومنه قيل: نهية الوادي لحيث تنتهي إليه السيول منه، ومعنى ذلك ما ذكرناه في الغاية.

---

(١) انظر: العين ٤: ٤٥٧.

(٢) انظر العين ٤: ٩٣.

[الحدّ والزمان والمثال في الله]

وقوله: «ولا حدّ يحدّه»

الحدّ في اللغة[1] فصل ما بين الشيئين، والحدّ أيضاً منتهى كلّ شيء، يقال: هذا حدّ الشيء الذي ينتهي إليه ولا يتجاوزه، وقوله: «يحدّ» من التحديد، وهو التوقيف على الحدّ.

فليس لله ـ عزّ وجلّ ـ حدّ ينتهي إليه كالذي يعرف للمخلوق من حدّه الذي ينتهي إليه ولا يتجاوزه. وحدود الله ـ جلّ وعزّ ـ التي ذكرها في كتابه هي الأشياء التي بيّنها لعباده، وأمر ألّا يتجاوزها أحد منهم ممّا أمر به ونهى عنه.

وقوله: «ولا أزمنة تعدّ»

الأزمنة جمع زمن وزمان، والزمان والزمن مدّة من الدهر يقع على القليل منه وعلى الكثير، يقال: زمن الربيع وزمن الصيف وزمن فلان لمن قدم وحدث، وهو في معنى الوقت والحين. يقول: ليس لله ـ جلّ وعزّ ـ حدٌّ ينتهي إليه ولا زمان يشتمل عليه كما يكون ذلك للمخلوق.

وقوله: «ولا مثال احتذى عليه»

فمثال الشيء شبهه وشكله وما يمثّل عليه، والتمثيل تصوير الشيء، والمثال أيضاً ما جعل مثالاً لغيره، أي مقداراً يحتذى عليه.

وقوله: «احتذى» يقال منه: «حذوت لك نعلاً»، إذا قطعها على مثال،

---

(١) العين ٣: ١٩.

ويقال: «فلان يحتذي فلاناً»، إذا اقتدى به[1]. يقول: إنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ لم يخلق الأشياء على مثال كان قبلها فقدّرها عليه، لكنّه ـ عزّ وجلّ ـ هو أبدع الأشياء كلّها خلقاً، ولم يكن قبل ذلك شيء سواه سبحانه.

[معنى البدع]

وقوله: «لكنّه ابتدعها ابتداعا»

فالبدع في اللغة[2]: ابتداع الشيء لم يكن، والله ـ جلّ وعزّ ـ بديع السماوات والأرض كما ذكر ذلك في كتابه[3] ووصف به نفسه؛ لأنه ابتدعهنّ ولم تكن شيئاً قبل ذلك، وكذلك ابتدع الأشياء كلّها وأحدثها ولم تك شيئاً قبل ذلك.

والبدع: الشيء الذي يكون أوّلاً، قال الله ـ جلّ وعزّ ـ لمحمّد نبيّه ـ صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله ـ: ﴿**قُل مَا كُنتُ بِدعاً مِنَ الرُّسُلِ**﴾[4]، أي: لست بأوّل الرسل.

والبدع: اسم ما ابتدع في الدين ممّا لم يكن فيه، ومن ذلك قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله ـ: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالةٍ في النار».

والبدع أيضا: اسم كلّ ما ابتدع من شيء وهو البديع، كالذي يأتي من معاني الشعر ممّا لم يتقدّم يسمى بديعاً. ويقال لمن جاء بشيء لم يسبق إليه ولم يعرف قبل ذلك: «جاء فلان بأمر بديع» ومبتدع وابتدع ذلك.

---

(١) العين: ٣: ٢٨٤.

(٢) العين ٢: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ١٧.

(٤) سورة الأحقاف: ٩.

وقوله: «ولم يخترعها اختراعاً»

يقول: لم يشتقّها من شيء باطلاً وعبثاً.

والخرع في اللغة[١]: الشقّ في الثوب أو الجلد، يقال من ذلك: خرعته فانخرع أي: انشقّ، ويقال: اخترع فلان باطلاً أي اشتقّه من ذاته، وذلك كقول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٢]، يقول: لم يخترع الأشياء من شيء اشتقّها منه ولا خلقها باطلاً ولا لهواً ولا لعباً كما أخبر ـ سبحانه ـ بذلك في كتابه[٣]، ولا اشتقّ ما خلق من شيء كان إليه قد سبق، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «ولا تناله ملالة ولا تدركه سآمة»

السآمة الملالة، والعرب تكرّر الكلام إذا اختلف لفظه و إن اتّفق معناه، قال شاعرهم[٤]:

---

(١) العين ١: ١١٧.

(٢) سورة ص: ٢٧.

(٣) يريد المصنّف الكريمة التي ذكرها آنفا ومضافاً إليه قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذكُرُونَ الله قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ سورة آل عمران: ١٩١، وقوله تعالى: ﴿وَما خَلَقنَا السَّماواتِ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما لاعِبِين﴾ سورة الدخان: ٣٨.

(٤) هو لأبي دؤاد الأيادي. قال ابن قتيبة: اختلفوا فى اسمه، فقال بعضهم: هو جارية بن الحجّاج، وقال الأصمعيّ: هو حنظلة بن الشّرقيّ، وكان فى عصر كعب ابن مامة الإيادى. وهو أحد نعّات الخيل المجيدين. قال الأصمعيّ: هم ثلاثة، أبو دؤاد فى الجاهليّة، وطفيل، والنابغة الجعدىّ. قال: والعرب لا تروى شعر أبى دؤاد وعدى بن زيد، لأنّ ألفاظهما ليست بنجديّة. الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١: ٢٣١.

سُلِّطَ المـوتُ وَالمنُـونُ عَلَـيهِم فَلَهُـم فـي صَـدَى المقَـابِرِ هَـامُ[(١)]

والمنون هو الموت.

وقوله: «لا يبعد عليه بعد المدى»

مدى كلّ شيء غايته وآخر منتهاه.

وقوله: «ولا يجوز عليه البداء»

يقال: بدا لفلان في أمر كذا وكذا إذا كان عليه ثمّ رجع عنه بدوا وبدا، وإنّما يكون ذلك من المخلوق لرأي يراه صواباً فيعمل عليه ثمّ يظهر له الخطأ فيه، أو يرى أنّ خلافه خير فيرجع عنه إلى الذي يراه من بعد، وهذا لا يجوز على الله ـ جلّ وعزّ ـ.

وقوله: «لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ولا يلحقه فند ولا لوم»

السنة النعاس من غير نوم، والوسن مثل ذلك، والوسنان الناعس.

والفند إنكار فعل الشيوخ، يقال شيخ مفنّد، قال أبو داود[(٢)]:

ويقال: الفند الكذب، قال رؤبة[(٣)]:

أَيُّهَا القَائِلُ قَولاً فَنَدَاً[(٤)]

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني ١: ٣٠٥.

(٢) تقدّم ترجمته آنفاً.

(٣) رؤبة بن عبد الله العجّاج بن رؤبة التميميّ السعديّ، أبو الجحّاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأمويّة وَالعباسيّة. أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وَكانوا يحتجون بشعره وَيقولون بإمامته في اللغة. الأعلام ٣: ٣٤، طبقات فحول الشعراء ٢: ٧٦١، الشعر والشعراء ٢: ٥٧٨، تاريخ مدينة دمشق ١٨: ٢١٢.

(٤) العين ٨: ٤٩.

وجاء عن أهل التفسير في قول الله ـ جلّ وعزّ ـ حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1]، قال بعضهم[2]: يعني تسفّهون، وقال آخرون[3]: تجهّلون، وقال آخرون[4]: تكذّبون.

وهذه الأحوال كلّها لا يجري منها شيء على الله ـ جلّ وعزّ ـ ولا يوصف بها.

[الدين والديانة]

وقوله: «أوّل الديانة له معرفته»

الديانة من الدين، والدين من العباد لله ـ جلّ وعزّ ـ الطاعة له، يقال: قد دان الناس لفلان إذا أطاعوه، وجمعه أديان، والديانة مصدر، يقال: دان لله العبد ديانة. والدين من الله ـ عزّ وجلّ ـ للعباد الجزاء، ولا يجمع؛ لأنه مصدر، يقول: دان الله العباد بأعمالهم ديناً أي: جازاهم. ويقال في المثل: «كما تُدين تُدان»[5] أي كما تفعل تُجازى.

[المعرفة والعلم]

ومعرفة الله ـ عزّ وجلّ ـ كما قال أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ هاهنا: لها حقيقة من العلم، وذلك قوله: «أوّل الديانة له معرفته وحقيقة معرفته توحيده».

---

(١) سورة يوسف: ٩٤.

(٢) تفسير سفيان الثوري ١: ١٤٦، مجاز القرآن ١: ٣١٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٣٥٠، صحيح البخاري ٦: ٧٥.

(٤) العين ٨: ٤٩، غريب القرآن ١: ٢٢٢.

(٥) مجمع الأمثال ٢: ١٥٥، العقد الفريد ٢: ٦٢، أدب الكاتب ١: ٥٧، الكامل في اللغة والأدب ١: ٢٥٩.

وكذلك التوحيد أيضاً له حقيقة من العلم[1] وذلك قوله: «ونظام توحيده نفي الصفات عنه»، وكذلك النفي أيضاً له حقيقة من العلم وقد ذكرها من بعد.

فكلّ شيء يسمّى باسم له حقيقة من العلم يعرفها أهل العلم به، وقد يسمّى بذلك على المجاز، كما ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم ونذكره فيما بعد إن شاء الله.

وقد روي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ: «أنه مرّ على قوم مجتمعين في مجلس لهم يتحدّثون، فسلّم عليهم، فقاموا إليه وسلّموا عليه، فقال لهم ـ عليه السلام وعلى آله ـ: كيف أنتم؟ قالوا له: مؤمنون بالله ورسوله، فقال عليه السلام: «إنّ لكلّ إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟»[2] وذكر باقي الحديث.

وجاء عن أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ أنّه قال: «المعرفة صنع الله في القلب، والإقرار فعال القلب»[3]، فمن ذلك قيل: «إنّ المعرفة جبلّة في الخلق، والعلم بالتعلّم». فحقيقة المعرفة العلم، يقال من ذلك: «رجل عارف بالشيء» إذا كان يعرفه معرفة ظاهرة يميّزه بها من ضدّه وخلافه، فإذا كان يعرفه معرفة حقيقة بالعلم قيل: «هو عالم به»، وقد جاء في الحديث عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ أنّه قال: «مهما أبهمت البهائم عن شيء فإنّها لم تبهم عن معرفة الله جلّ وعزّ»[4].

---

(١) من قوله: (وذلك قوله أول الديانة) إلى هنا لم يرد في «ب».

(٢) المحاسن ١: ٢٢٦ / ١٥١، باب حقيقة الحقّ. الكافي ٢: ٥٣ / ١، باب حقيقة الإيمان واليقين. الخصال ١: ١٤٦ / ١٧٥، حقيقة الإيمان ثلاث خصال. باختلاف يسير.

(٣) كتاب سليم بن قيس ٢: ٦١٠.

(٤) لم نعثر عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن نقل في مصادر كثيرة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام ما

وقيل[1]: إنّ الإنسان يعرف ويعلم والبهيمة تعرف ولاتعلم، وبالعلم صار الإنسان مكتسباً مثاباً معاقباً؛ لاكتسابه واختياره الخير والشرّ وعلمه وعمله بذلك، والبهايم لاثواب لها ولاعقاب عليها؛ لأنّ المعرفة جبلّةٌ فيها، وليس لها علم تكتسب به، وهي بمعرفتها التي جبلت عليها تميّز بين الضارّ والنافع لها في أمر معاشها، وتتّقي المهالك وتفرّ ممّن يؤذيها وتخافه على أنفسها، وتألف من ينفعها وتسكن إلى من لايؤذيها ولايهيجها. كسكون الطير إلى البهائم وهي خلافها ونفارها من الجوارح من شكلها من الطير التي تأكلها ومن الإنسان الذي يصيدها ويأخذها. وكسكون البهايم إلى أربابها من الناس الذين يقومون بأسبابها ونفارها من السباع التي تفترسها وهي أقرب إليها شبهاً من الإنسان، وذلك من قِبَل المعرفة التي جبلت عليها. ومنها أيضا ما تفعله في أولادها وتربيتها إيّاهم وما يهتدي إليه الولد من الرضاع وغيره لما جبل عليه من ذلك.

وقال قوم[2]: إنّما صار الإنسان يعلم ويعرف لاجتماع النفسين فيه، النفس المنطقيّة والنفس البهيميّة، وهما جوهران قابلان للعلم والمعرفة، فالنفس البهيميّة تقبل المعرفة وتأبى العلم، والنفس المنطقيّة تقبل العلم، والبهيميّة هي خلو من النفس الناطقيّة، فمن أجل ذلك عجزت عن قبول العلم،

← يشبه هذا، وهو: «ما بهمت البهائم فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب، ومعرفتها بالموت، ومعرفتها بالأنثى من الذكر ومعرفتها بالمرعى عن الخصب». الكافي ٦: ٥٣٩.

(١) والقائل أبوبكر محمد بن عزيز العزيزي السجستاني متوفى ٣٣٠هـ اشتقاق الأسماء وتأويل الأمثال ١: ٩٩.

(٢) الظاهر أنه قول الحكماء. شرح حكمة الإشراق ١: ٤٧٩، طبيعيات الشفاء ٢: ١٧٢.

وبالنفس الناطقيّة يعلم الغائب ويعرف الشاهد، وبالبهيميّة يعرف ويعجزعن الغايب. وضدّ المعرفة الإنكار، وضدّ العلم الجهل.

وسمع بعض العلماء رجلاً يقول: إنّي لأعرف الحقّ، فقال له: لوكنت تعلمه لكان خيراً، إنّ البهيمة لتعرف، ولوعلمت ما كنت بهيمة.

فمعرفة الحقّ تمييزه من الباطل، والعلم به أن يعلم حقائقه الموجبة له أن يكون حقّاً والشواهد له على أنّه حقّ، وما يدفع قول من أراد أن يبطله أو يشوبه بباطل حتّى يخلص ويكون حقّاً حقيقاً خالصاً محضاً لا يشوبه غيره من الباطل ولا يحمل على المجاز.

وقوله: «ونظام توحيده نفي الصفات عنه؛ بشهادة العقول الصافية بأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث»

فقوله: «ونظام توحيده»

[النظم و النظام]

النظم في اللغة[1] نظم الخرز بعضه إلى بعض في نظام، والنظام من ذلك السلك وما أشبهه ممّا ينظم فيه الجوهر والخرز، يسمّى نظاماً لاعتداله واستوائه في النظم، قالوا: وكذلك هو في كلّ شيء حتّى يقال: «ليس لأمر فلان نظام» إذا لم

---

(١) انظر العين ٨: ١٦٥.

يستقم أمره، وإذا استقام أمره واعتدل قيل: «انتظم أمر فلان وجاء أمره على نظام».

وجاء في بعض المواعظ: «يابن آدم عليك بنصيبك من الآخرة، فإنّه يأتي بك على نصيبك من الدنيا، فينظمه لك انتظاماً ثمّ يزول معك حيث زلت»[1]، فأراد بنظام التوحيد هذا المعنى من كماله واستقامته واستوائه.

[التوحيد]

والتوحيد في اللغة التفعيل من الوحد، والوحد في اللغة[2] الشيء الذي لا شيء معه، يقولون: «رجل وحد» إذا كان وحده لا أحد معه يؤنسه، وأوحده ووحّده من فعل ذلك به فأفرده وأبانه من غيره، والمصدر التوحيد بمعنى التفعيل، والوحدة الانفراد، قالوا: والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله سبحانه المتوحّد الأحد ذو التوحّد والوحدانيّة.

وقد بيّنّا في ابتداء هذا الشرح في ذكر الأحد والواحد إبانة وحدة الخالق من وحدة خلقه، وذلك تحقيق توحيده ـ لا شريك له ـ ونظامه كما قال مولانا أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «نفي الصفات عنه» يعني نفي صفات المخلوقين، فإنّه ـ جلّ وعزّ ـ متوحّد متفرّد بصفاته العلى التي وصف بها نفسَه في كتابه؛ إذ أخبر فيه أنّه لا شيء مثله[3] ولا كفؤ له[4]، وقد تقدّم شرح المثل والكفؤ.

---

(١) تهذيب اللغة ١٤: ٢٨٠.

(٢) انظر: العين ٣: ٢٨١.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة الإخلاص: ٤.

فإن قال ملحد مشبّه: إنّما قال في القرآن: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾[١]، ففي هذا القول إثبات المثل.

قيل له: جهلك بلغة العرب التي أنزل الله ـ جلّ وعزّ ـ القرآن بها وخاطبهم بما يعرفونه منها هو الذي أوقعك في هذه الورطة، والعرب يقولون: ليس مثلي يفعل به هذا، ولا مثل فلان يقال له مثل هذا القول ولا يجوز عليه هذا الأمر، لا يريدون بذلك من هو مثل المسمّى، وإنّما يريدونه هو ذاته. وهذا كلام جار في الناس إلى اليوم، معروف ما يريدون به ويعنونه عند جميعهم.

[العقل وتفسيره]

وقوله: «**بشهادة العقول الصافية بأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق**»

فشهادة العقول علمها، والشاهد في اللغة[٢] العالم، وشهد بكذا أي علمه، وكذلك الشاهد في الشيء إنّما يقول فيه بعلمه وبما شاهد وعلم، ومنه قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَا شَهِدنَا إِلَّا بِمَا عَلِمنَا﴾[٣].

والعقول جمع عقل.

وجاء عن أمير المؤمنين عليّ ـ صلّى الله عليه ـ أنّه قال: «العقل مسكنه في الدماغ وتدبيره في القلب»[٤].

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) تهذيب اللغة ٦: ٤٧.

(٣) سورة يوسف: ٨١.

(٤) لم نعثر عليه ولكن قد ورد هذا عن النبيّ ﷺ، انظر نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢: ٧٢.

وعن الصادق جعفربن محمّد ـ صلوات الله عليه ـ أنّه قال: «خلق الله العقل من أربعة أشياء، من العلم والقدرة والنور والمشيّة، وخلقه بالأمر محدوداً بالأقطار والأجزاء، فالأقطار التسديس وهو الفوق والتحت واليمين والشمال وقدّام وخلف، فجزء منه الفهم، وجزء منه الحفظ، وجزء منه الذهن، وجزء منه الرويّة، وجزء منه الفطنة، وجزء منه اللبّ، وهذه ستّة أجزاء محدودة بالأقطار، فقال له: بالأمر أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فأسكنه تلك الصورة من النور، فقال له: بك أثيب وبك أعاقب»[1].

فهذه صورة صفة العقل الصافي التامّ الكامل، وله تأويل وبيان يطول، وليس إلى شرحه قصدنا فنستقصيه، ولا إلى مثله ممّا نجيء به من الشواهد على ما نحكيه.

وقال بعض أهل اللغة[2]: العقل ضدّ الجهل، وقال آخرون[3]: العقل ضدّ الحمق، والجهل ضدّه العلم، وبالعقل يكون العلم، والجاهل ضدّ العالم.

---

(١) لم نعثر عليه، لكن ورد صدره في الاختصاص هكذا: (خَلَقَ الله تَعَالَى العَقلَ مِن أَربَعَةِ أَشيَاءَ مِنَ العِلمِ وَالقُدرَةِ وَالنُّورِ وَالمَشِيئَةِ بِالأَمرِ فَجَعَلَهُ قَائِماً بِالعِلمِ دَائِماً فِي المَلَكُوت). الاختصاص ١: ٢٤٤. ووردت بمضمون جزء الأخير من عجزه روايات كثيرة مثل قوله ﷺ: (لَمَّا خَلَقَ الله العَقلَ استَنطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقبِل فَأَقبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أدبر فَأَدبَرَ ثُمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقتُ خَلقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنكَ وَلَاأَكمَلتُكَ إِلَّا فِيمَن أُحِبُّ أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أَنهَى وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ.) الكافي ١: ١٠/١، كتاب العقل والجهل.

(٢) انظر: العين ١: ١٥٩.

(٣) انظر: إصلاح المنطق ١: ٤٧.

والعقل يتفاضل وهو درجات بعضها فوق بعض[1]، يقال منه: عقل الإنسان بعد الصبى، وعقل المريض بعد الإغماء، والمجنون بعد الجُنّة، وفي فلان فضل عقل، واكتسب عقلاً وزاد عقله، وكلّ ذلك كان بعد أن كان في الموصوف بذلك شيء من العقل لامحالة يعقل به بعض الأشياء فازداد بعد ذلك عقلاً. وكذلك يقال: فلان أعقل من فلان وكلاهما موصوف بالعقل، فما صفى وخلص من العقل كان أعلى وأشرف وأدرك للأشياء وأعلم بها بقدر صفائه وخلوصه، وما قصر عن ذلك وتكدّر كان بقدر ما يداخله من ذلك من الفساد منحطّاً عمّا فوقه ممّا هو أصفى منه.

فبالعقل الصافي يدرك حقايق الأشياء ويعلم علّتها بقدر ما جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ من ذلك فيمن جعله فيه من خلقه، وأقلّ ذلك يوجب حجّته على من جعله فيه وتفضّل به عليه، وما زاد من ذلك فمن مزيد فضله تبارك وتعالى اسمه، وهو ممّا يكتسبه المخلوق كاكتسابه العلم، وقد بيّنّا معنى ذلك فيما تقدّم.

فبالعقول الصافية تكون الشهاده التي هي العلم على ما بيّنّا أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق؛ إذ كانت الصفة والموصوف من العباد ممّا يدرك بالحواسّ المخلوقة، فكلّما يدركه المخلوق فهو مخلوق، ولايدرك المخلوق الخالق؛ لاقتدار الخالق وعجز المخلوق، وذلك قوله ـ جلّ من قائل ـ ﴿لاَ تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾[2]. وكذلك كلّ مخلوق يشهد ـ أي يعلم ـ أنّ له صانعاً[3]؛

---

(١) لعلّ هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلاَئِفَ الأَرضِ وَرَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبلُوَكُم فِي مَا آتَاكُم إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة الأنعام: ١٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) في هامش «ب»: (خالقاً).

لعجزه عن خلق نفسه وهو يعلم كيف ابتدأ خلقه وأنّه ما لا صنع له فيه، فيعلم أنّ صانع ذلك غيره، وهو خالقه الله ـ عزّ وجلّ ـ لا شريك له، وأنّه ليس بصفة ولا موصوف؛ إذ لا تدركه حواسّ خلقه كما قدّمنا ذكر ذلك.

[شهادة الاقتران]

وقوله: **«وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران»**

يعني أنّ كلّ شيء تدركه الحواسّ من وصف وموصوف بزوج مقترن. وقد تقدّم بيان ذلك في شرح الواحد من الخلق وأنّ الحيوان فيه روح وبدن وغير ذلك ممّا فيه من الأزواج، والأموات فيه ما ذكرنا من الأعراض، الحرّ والبرد واليبس والرطوبة.

وقوله: **«وشهادة الاقتران بالحدث»**

والاقتران معلوم بأنّه لم يتقارن بذاته؛ إذ كان ما قارنه معادياً له ليس من نعته ولا من شكله فيقارنه اتّفاقاً، فعلم بذلك أنّ الذي قارن بينهما خالقهما، القادر على ذلك منهما، وأنّ ذلك الاقتران يعلم به حدث المتقارنين؛ إذ وجب أنّ لهما خالقاً هو قبلهما، وهو الذي أحدثهما.

وقوله: **«وشهاده الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث»**

هو أنّ العلم محيط بأنّ المحدَث لا يكون أزليّاً، والأزليّ ما لم يزل، وهو الله ـ جلّ وعزّ ـ مبدع كلّ شيء ومحدثه، والعلم محيط بأنّ ما لم يزل فهو غير محدَث؛ لأنّ الحدث ضدّ الأزل.

[الوصف بذات الخلق]

وقوله: «لم يعرف الله من ذيّته»

يعني من وصفه بذات خلقه. و«ذيّته» فعَّله من الذات، وذات الشيء اسم ما يوصف به، يقولون: لقيته ذات يوم فذات ههنا وقت مضاف إلى اليوم، ويقولون: قلت ذات يد فلان فذات هاهنا اسم لما قلت يداه[1]، ويقولون: عرفته في ذات نفسه كأنّهم يعنون سريرته المضمرة. هذا قول أهل المعرفة باللغة[2] في الذات.

وقالوا[3]: ذو اسم ناقص وتفسيره صاحب ذلك، كقولهم ذو مال وذو سمع وبصر وجوارح وغيرذلك ممّا يضاف إليه ويوصف به. والله ـ جلّ وعزّ ـ لا يوصف بشيء من صفات خلقه ولا يذيّت بذاتهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «ولا وحّده من كيّفه»

وتكييف الشيء تمثيله وتحديده بالصفة، وكيف حرف صفة، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تدركه الصفات، ومن وصفه بصفات خلقه فلم يوحّده؛ إذ قد جعل له مثلاً وشبهاً، وقد تقدّم ذكر حقيقة التوحيد.

وقوله: «ولا أقرّبه من اكتنهه»

يعني افتعل له كنهاً، والكنه الغاية، وقد تقدّم القول في ذلك وبيانه وأنّ ذلك منفيٌّ عن الله جلّ ذكره.

---

(١) في «ب»: (بذات) بدلا من: (يداه).

(٢) العين ٨: ٢٠٨، تهذيب اللغة ١٥: ٣٤، لسان العرب ١٥: ٤٥٩.

(٣) انظر: العين ٨: ٢٠٧.

وقوله: «ولا صدّق به من نهّاه»

يعني من جعل له نهاية، وقد تقدّم شرح النهاية وأنّها منتهى الشيء، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا يوصف بذلك.

وقوله: «ولا صمّده من أشار إليه»

يقول: لم يثبته صمداً ـ بحقيقة ما سمّي بذلك ووصف به نفسه ـ من أشار إليه بصفة ما يعرف في الخلق من الصمديّة، فتوهّمه كمن يوصف بذلك من الخلق.

وقوله: «ولا إيّاه عنى من شبّهه»

يقول: من شبّهه بشيء فلم يعنه بالحقيقة وإنّما عناه عند نفسه بذلك وعند غيره؛ إذ ليس هو من عنى بالحقيقة له.

[التبعيض في الله]

وقوله: «ولا له تذلّل من بعّضه»

يقول: من زعم أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يتبعّض فقد تكبّر عليه ولم يتذلّل له. وبعض الشيء طائفة منه، وتبعيضه تفريقه، يقول: بعّضه تبعيضاً إذا فرّقه أجزاء. والإنسان مبعّض، يقال لكلّ شيء منه هو بعضه، كيده ورجله وكلّ جارحة منه فهي بعضه، ويقال من ذلك: هذه جارية حسناء يشبه بعضها بعضاً أي كلّ عضو منها حسن يشبه الآخر.

فمن زعم أنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ جسم كأجسام البشر، وجعل له أعضاء كأعضاء الإنسان كما قال المشبّهون ووصفوه بذلك ـ تعالى الله عن قولهم وتشبيههم علوّاً كبيراً ـ فقد بعّضه ـ جلّ ذكره ـ واستكبر عليه ولم يتذلّل له.

ومن ذلك قوله ـ لا شريك له ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرجُونَ لِقَاءَنَا لَولاَ أُنزِلَ عَلَينَا المَلاَئِكَةُ أَو نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ استَكبَرُوا فِي أَنفُسِهِم وَعَتَوا عُتُوّاً كَبِيراً﴾[1]، وأخبر أنّهم ﴿يَومَ يَرونَ المَلاَئِكَةَ لاَ بُشرَى يَومَئِذٍ لِلمُجرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجراً مَحجُوراً وَقَدِمنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلنَاهُ هَبَاءً مَنثُوراً﴾[2]، فأخبر ـ جلّ وعزّ من مخبر ـ أنّ من رام أن يراه فقد استكبر وعتى عليه، ومن استكبر وعتى عليه لم يتذلّل له.

وقد وصف الله ـ جلّ وعزّ ـ بذلك من رام رؤيته وأخبر أنّهم يوم يرون الملائكة يحلّ عليهم عذابه يوم القيامة، ولم يقل إنّهم يرونه كما زعمت الحشويّة[3] والمشبّهة[4] أنّه يُرى ـ جلّ وعزّ ـ يوم القيامة، وهو يُخبر ـ جلّ وعزّ ـ في كتابه أنّه ﴿لاَ تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾[5] فلم يصدّقوا بذلك من قوله، بل كذّبوه وتمادّوا على ما نسبوه إليه حتّى قال بعض الصوفيّة[6] منهم: إنّه ـ عزّ وجلّ ـ

---

(١) سورة الفرقان: ٢١.

(٢) سورة الفرقان: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) وسمّيت الحشوية حشوية، لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه، وتوصيفه تعالى بالنفس واليد والسمع والبصر، وقالوا: إنّ كلّ حديث يأتي به الثقة من العلماء فهو حجّة أياً كانت الواسطة. التعريفات ١: ٣٤١، الملل والنحل ١: ١١٨، بحوث في الملل والنحل ١: ١٢٤

(٤) أما المشبّهة فقد اتّفقوا على تشبيه الإله ـ تعالى ـ بالمخلوقات وتمثيله بالحادثات، ولذلك جعلناهم فرقة واحدة، وإن كانت طرقهم فى التشبيه متفاوتة وأقاويلهم فيه مختلفة. أبكار الأفكار ٥: ٩٣، الملل والنحل ١: ١١٨، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢: ١٥٤٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٦) قيل نقله أبوطالب المكّي في كتابه المسمّى بقوّت القلوب عن بعض المكاشفين. تلبيس إبليس ١: ٢٤٥.

يتجلّى في الدنيا لهم ويرونه، تعالى الله عن قولهم علوّا كبيراً.

ولقد أخبرني من أثق به عن بعضهم[١] أنّه قال: رأيت الله ـ جلّ وعزّ ـ منذ أيّام، قال: فقلت: كيف رأيته؟ قال: بينا أنا سائر في شارع كذلك ـ الموضع ذكره ـ إذ رأيت بين يديّ في الهواء صورة وجه إنسان لم أر أجمل منه، فصرفت وجهي عن يميني فرأيته، وعن يساري فرأيته، وصرفت وجهي إلى خلفي فرأيته، فعلمت أنّه الله ـ جلّ وعزّ ـ؛ لأنه يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٢].

وهذا قول تابعوا فيه قول اليهود؛ لأنّ اليهود فيما كذبوا على الله ـ عزّ وجلّ ـ فيه زعموا أنّه من التورات عندهم زعموا أنّ في التورات أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أتى إبراهيم عليه السلام مع اثنين من الملائكة، فبشّروه بأنّ سارة امرأته تحبل وتلد إسحاق، فذبح لهم عجلاً فأكلوا عنده وأخبروه بما يحلّ بقوم لوط، وأرسل الله الملكين إليهم وانصرف[٣]. تعالى الله عن قولهم وتشبيههم علوّاً كبيراً.

[الوهم]

وقوله: «ولا إيّاه أراد من توهّمه»

الوهم ما يتصوّر في القلب، وجمعه أوهام. وجاء في الحديث عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ أنه قال: «لا تدركه الأبصار والأوهام»[٤] يعني الربّ

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة البقرة: ١١٥.

(٣) سفر التكوين، الفصل الثامن عشر من كتاب التورات.

(٤) لم نعثر عليه منقولا عن النبي صلى الله عليه وآله بل ورد عن الرضا عليه السلام. التوحيد للصدوق: ١١٨.

جلّ وعزّ. ويقول: توهّمت الشيء إذا صوّرته ومثّلته في نفسك، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تحيط به الأوهام، ومن توهّمه ومثّله في نفسه فلم يرده بالحقيقه إرادة من أصاب ما أراده إصابة حقيقة.

[الإدراك]

وقوله: **«إذ كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، فبصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته»**

هو أنّ كلّ مخلوق ما كان من شيء تدركه الحواسّ فإنّما يعرف بذاته، يقول: هذا رجل وهذا فرس وهذا حائط وهذا جبل وهذه شجرة، فكلّ ذلك يعرف بنفسه وصورته وشخصه، فما أدرك ـ كما ذكرنا قبل هذا ـ بالحواسّ المخلوقة فهو مخلوق، وقد بيّنا فيما تقدّم لِمَ كان ذلك، فإثباته مخلوقاً يثبت أنّ له خالقاً غيره وهو الله ـ جلّ ذكره ـ. وبان ـ سبحانه ـ عن صفات جميع خلقه بأنّه غير مدرك بالحواسّ؛ إذ هو خلقها، فالمخلوق لا يدرك الخالق، فلم يكن ـ جلّ وعزّ ـ معروفاً بنفسه كما عرفت المخلوقات، و إنّما عرف بآثار صنعته وما شهدت به العقول له ودلّت به الرسل عليه.

[العلّة]

وقوله: **«وكلّ قائم في سواه معلول»**

العلّة هاهنا السبب، يقال: الواحد علّة العدد أي سببه الذي كان عنه، وآدم علّة البشر كذلك، وما تولّد عن العلّة فهو معلول. فكلّ شيء قائم فيما سواه من

المخلوقات فلعلّة كان قيامه فيها[١] وهو معلول، والله ـ سبحانه ـ خالق كلّ علّة ومعلول، وباين عن ذلك بقدرته، وذلك قوله: «فبصنع الله يستدلّ عليه» يعني بما خلق وصنع من الأشياء التي دلّت بما ذكرنا على أنّ لها خالقاً، وليس ممّا يستدلّ على مخلوقاته من أنفسها على ما بيّنّاه يستدلّ عليه.

وقوله: «وبالعقول تعتقد معرفته»

قد بيّنّاه عند بيان العقل.

[الفطرة]

وقوله: «وبالفطرة تثبت حجّته»

الفطرة في لغة العرب[٢] الخلق، والفطرة الدين والإقرار بربوبيّة الله جلّ وعزّ. قال ـ جلّ من قائل ـ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾[٣]، وجاء عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ أنّه قال: «كلّ مولود يولد على الإسلاميّة حتّى يكون أبواه[٤] يهوّدانه أو ينصّرانه»[٥]، وفي بعض الروايات: «ويمجّسانه»[٦].

---

(١) في «ب»: (فعلّته كان قيامه فيها).

(٢) انظر: العين ٧: ٤١٨.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) في «أ»: (الفطرة فأبواه) بدلا من: (الإسلاميّة حتّى يكون أبواه).

(٥) انظر: مجاز القرآن ٢: ١٢٢، ناسخ الحديث ومنسوخه ١: ١/١٦٢، باب تفسير قوله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «كلّ مولود يولد على الفطرة»

(٦) انظر: العين ٧: ٤١٨، صحيح البخاري ٢: ١٠٠ / ١٣٨٥، باب ما قيل في أولاد المشركين.

وقد اختلف المنسوبون إلى العلم في هذا الحديث اختلافاً كثيراً، واحتجّ كلّ قائل فيما ذهب إليه بحجج يطول ذكر ذلك، وليس إليه قصدنا فنستقصي القول فيه.

وجاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ أنّه قال في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا﴾، قال: «التوحيد»[١]، وقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢] «يعني: خالقهنّ»[٣].

فقوله: «وبالفطرة تثبت حجّته»، يقول: بخلقه الخلق وما ألهمهم من توحيده ـ وقد تقدّم ذكر ذلك وبيانه عند قوله: «أوّل الديانة له معرفته» ـ تثبت حجّته على من تعبّد بمعرفته[٤].

[الآية]

وقوله: «وبآياته احتجّ على خلقه»

الآيات جمع آية، والآية في اللغة[٥] العلامة، وكلّ شيء يبين الله به[٦] لمن تعبّدهم وجعله علامةً له فهو آية. ومن ذلك قيل لكلّ فصل من القران آية؛ لأنه

---

(١) انظر: الكافي ٨: ٢٨٢ / ٤٢٤، حديث نوح عليه السلام يوم القيامة، الكافي ٢: ١٢ / ٤، باب فطرة الخلق على التوحيد.

(٢) سورة الأنعام: ١٤، سورة فاطر: ١، إلى غير ذلك.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٧، تفسير عبد الرزاق ١: ٢٠٢، مجاز القرآن ١: ١٨٧.

(٤) قوله: (تثبت حجّته على من تعبّد بمعرفته) لم يرد في «أ».

(٥) انظر: العين ٨: ٤٤١.

(٦) في «ب»: (فكلّ شيء من الله عزّوجلّ لمن يعبده ما يعبدهم به) بدلا من: (وكلّ شيء يبين الله به).

بيان وعلامة للمراد به، وكذلك أوليائه المبلّغون عنه آيات؛ لأنهم بيان وعلامات للناس على ما تعبّدوا به. قال الله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[١] وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[٢]، ويقرأ العلم بكسر العين وتسكين اللام أي: تعلم به الساعة، وهذا يرجع إلى معنى العلم؛ لأنّ ما علم به الشيء فهو علامة له، وكلّ ما خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ فهو آية، أي: علامة ودليل على أنّه مخلوق وأنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ خالقه.

ومن ذلك قوله ـ لا شريك له ـ: ﴿وَكَأَيِّن مِن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُم عَنْهَا مُعرِضُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ﴾[٤]، وذكر مثل ذلك في كتابه ممّا خلق يطول ذكره، وذلك ممّا احتجّ به على عباده في معرفته وفيما دلّ به عليه ظاهراً وباطناً.

[المخلوق هو الحجاب]

وقوله: «خلق الخلق حجاباً بينه وبينهم»

يعني أنّ خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ الخلق على ما قدّمنا ذكره من عجز المخلوق عن إدراك الخالق هو خلقه إيّاهم حجاباً بينه وبينهم؛ إذ لا يدركونه بشيء من حواسّهم، فهم محجوبون عنه بذاتهم، لا أنّ بينه وبينهم حجاباً يستره عنهم

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) سورة الزخرف: ٦١.

(٣) سورة يوسف: ١٠٥.

(٤) سورة فصّلت: ٣٧.

كما يشاهد ذلك من المخلوق الذي يحتجب عن المخلوقين مثله. وفي ذلك أيضاً نفي الصفات عنه والتشبيه ـ جلّ وعزّ ـ عن ذلك.

وقوله: «ومباينته إيّاهم مفارقته إنّيّتهم»

يقول: إنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ قد بان عن خلقه بأنّه لا يشبه شيئاً ممّا بنى خلقهم عليه من تركيب جوارحهم وأعضائهم في صفاتهم، والله سبحانه باين عن ذلك بقدرته لا يوصف بشيء منه.

وقوله: «وابتداؤه لهم دليلهم على أن لا ابتداء له؛ لعجز كلّ مبتدءٍ عن ابتداء غيره»

فابتداء الله ـ جلّ وعزّ ـ لجميع الأشياء يوجب الابتداء لله؛ إذ هو ـ عزّ ذكره ـ مبتدي كلّ شيء وخالقه، والمبتدي يعلم ابتداء ما ابتداه ويحيط به والمبتدأ لا يعلم ابتداء لمن ابتدأه ولا يوجب ذلك؛ لعجزه عن علم ما قبله.

[الأداة في الله وفي الخلق]

وقوله: «وأدوُه إيّاهم شاهدهم على أن لا أداة فيه؛ لشهادة الأدوات بفاقة المأدوّين إلى جاعل الأدوات فيهم»

«أدوُه إيّاهم» خلقه الأدوات فيهم، والأدوات جمع أداة، والأداة ما يعمل به، وهي من البشر اليدان والرجلان وكلّ جارحةٍ يعمل بها ما يعمل الإنسان ممّا يريد عمله، وأدوات الصُّناع ما يعملون أعمالهم به، فالذي في[1] البشر من الجوارح

(١) من قوله: (البشر اليدان) إلى هنا لم يرد في «أ».

التي هي أدواتهم فهم محتاجون إليها، وحاجتهم إليها تشهد بأنّ الخالق البائن عن صفاتهم ـ بما تقدّم من القول في ذلك ـ ليس به فاقة إلى ذلك كفاقتهم، والفاقة الفقر والحاجة إلى الشيء.

[العبارة والتعبير]

وقوله: «فأسماؤه تعبير»

التعبير من العبارة، والعبارة التأويل، وفي القرآن: ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[1]، والعبارة والتأويل والتفسير والبيان والترجمة قريبة المعاني بعضها من بعض، وجماع معانيها هو إيضاح المشكل والمجهول لمن جهله أو أشكل عليه، ولكنّهم خصّوا بكلّ شيء من ذلك شيئاً لم يجروا غيره فيه إلّا قليلاً.

فقوله: «أسماؤه تعبير» فأسماء الله ـ جلّ وعزّ ـ عبارة وبيان وتأويل وتفسير وترجمة لما غبي وجهل وأشكل، ولها تأويل يوجد عند أهله، وهي أسماء حقيقيّة، وأسماء العباد أسماء مجازيّة؛ لأنّه قد يسمّى القبيح من الناس حسناً، والشقيّ سعيداً، والبغيض حبيباً، والوضيع شريفاً في كثير من ذلك ممّا يسمّى بضدّ ما فيه وخلاف ما هو عليه، فليس محلّ أسماء الله ـ جلّ وعزّ ـ منه محلّ أسماء العباد منهم، ولا يقع التشبيه على ذلك؛ لما تقدّم من القول بأنّ الحقيقي لا يشبه بالمجازي ولا يقاس به.

---

(١) سورة يوسف: ٤٤.

[التفهيم]

وقوله: «وأفعاله تفهيم»

التفهيم يعني التعليم المؤكّد، تقول: فهمت الشيء إذا عقلته وعرفته بمعناه، وفهّمت فلاناً وأفهمته أي: علّمته وبصرته حتّى فهم وعلم. قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**فَفَهَّمنَاهَا سُلَيمَانَ**﴾[1]، وفي قراءة ابن مسعود: ﴿**فَأَفهَمناها سُلَيمَانَ**﴾، فأفعال الله ـ جلّ وعزّ ـ لا يقاس بأفعال عباده ولا تشبّه بها.

[معنى الأفعال في الله وفي الخلق]

والأفعال المعروفة من العباد تكون أعمالاً بجوارحهم وقولاً بألسنتهم، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**وَمَا تَفعَلُوا مِن خَيرٍ يَعلَمهُ الله**﴾[2] والخير يكون قولاً ويكون فعلاً، والقول عمل؛ لأنه عمل باللسان، سئل الصادق جعفر بن محمّد ـ صلوات الله عليه ـ عن الإيمان: أ قول وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: «الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل»[3].

فأفعال الله ـ جلّ وعزّ ـ لا تقاس بأفعال المخلوقين التي يفعلونها بالأدوات التي خلقها فيهم إذ خلقهم ـ جلّ وعزّ ـ. ومن ذلك قوله ـ لا شريك له ـ: ﴿**إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[4]، فقوله: «كن» هو أخصر ما يعلمه

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) الكافي ٢: ٣٤ / ١، باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها، تفسير العيّاشي ١: ٦٣ / ١١٥، من سورة البقرة.

(٤) سورة النحل: ٤٠.

الإنسان ممّا عرفه من معرفة البيان؛ لأنّ الكلام البيّن لا يكون بأقلّ من حرفين، فأخبر ـ جلّ وعزّ من مخبر ـ عباده من ذلك بأخصر ما يعرفونه من اللفظ، وأخبرهم أيضاً من ذلك بأخصر ممّا يعرفونه من الإشارة بقوله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[1]، فلم يكونوا أيضاً يعرفون من الإشارة أوجز من لمح البصر، فبيّن ـ جلّ وعزّ ـ بذلك أن ليس أفعاله كأفعال عباده التي يعرفونها من أنفسهم ولا ممّا يشبّه بها ولا يقاس إليها كما لا يشبّه ـ جلّ وعزّ ـ بهم ولا يقاس إليهم، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

ولكن أفعاله ـ جلّ وعزّ ـ كما قال أمير المومنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ تفهم ما شاء أن يقوله أو يفعله، فهمه من ذلك ما أراده، وذلك قوله ـ لا شريك له ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، فما أراده ـ سبحانه ـ كان بقدرته كما يريد بلا تكلّف منه ولا شيء ممّا يكون من العباد في أفعالهم وأقوالهم.

وقوله: «وذاته تحقيق»

قد تقدّم ذكر الذات وأنّ ما يكون من الله ـ جلّ وعزّ ـ من صفاته وأسمائه وأفعاله فكلّ ذلك على الحقيقة، وهي من العباد على سبيل المجاز، وقد تقدّم بيان ذلك.

---

(١) سورة القمر: ٥٠.

(٢) سورة النحل: ٤٠.

وقوله: «وكنهه تفريق بينه وبين خلقه»

الكنه في اللغة[١] الغاية والمنتهى، تقول بلغت كنه الأمر أي: غايته، وكنه الشيء أيضاً وقته، وكنهه وجهه، تقول: فعلت هذا في غير كنهه أي في غير وجهه، قال الشاعر[٢]:

وَإِنَّ كَلامَ المرءِ فِي غَيرِ كُنهِهِ　　لَكَالنَبلِ تَهوي لَيسَ فِيهَا سِهَامُها[٣]

فالتفريق بين الله ـ جلّ وعزّ ـ وبين خلقه بنفي صفاته عن صفاتهم وأفعاله عن أفعالهم هو كنهه الذي يوصف به، ووجه أمره الذي يوجّه إليه.

وقوله: «وغيوره تحديد لما سواه»

الغيور من التغاير، والتغاير مشتقّ من الغير، وهو الاختلاف والتباين بين الشيئين، تقول: هذا غير هذا لما كان خلافه، وهما متغايران أي مختلفان.

وخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ الخلق كلّه ـ كما تقدّم بيان ذلك ـ متغايراً، وإنّما عرفت تغايره[٤] بتحديده ووقوع الحواسّ عليه، وبان ـ سبحانه ـ عن ذلك بقدرته، وإذا قيل: هذا غير الله، فالغير هو المحدود الذي يوصف بالحواسّ، والله ـ جلّ وعزّ ـ باين عن ذلك بقدرته، لا يوصف ولا يحدّ؛ إذ لا تقع الحواسّ عليه، وغيوره للخلق هو الذي أوقع التحديد عليهم.

---

(١) انظر: العين ٣: ٣٨٠.

(٢) هو هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران، الشّاعر، وَكان من الفرسان وَكان شديد العداوة لله وَلرسوله. طبقات الشعراء ١: ١٠٠، طبقات فحول الشعراء ١: ٢٣٥، جمهرة النسب ١: ٩٣، الشعر والشعراء ١: ١٤١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٩، سيرة ابن هشام ٢: ٤٢١.

(٤) قوله: (وإنّما عرفت تغايره) لم يرد في «أ».

وقوله: «قد جهل الله من استوصفه»

يعني من سأل عن صفته، كما جاء[1] أنّ سائلاً سأل أمير المؤمنين عليّاً ـ صلوات الله عليه ـ وهو في مسجد الكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّاً، فغضب ـ سلام الله عليه ـ غضباً شديداً، وقام عليه السلام فرقى المنبر فحمد الله ووحّده بما سنذكره بعد هذا ووصف جهل السائل عن ذلك بالله ـ جلّ وعزّ ـ.

وقوله: «وتعدّاه من استسماه»

يعني من سأل تسميته بما يعرف من اسم المخلوق، وقد تقدّم القول بمعاني أسماء الله ـ جلّ وعزّ ـ.

وقوله: «وأخطأه من اكتنهه»

يعني من وصفه بكنه خلقه، وقد تقدّم تأويل الكنه.

وقوله: «من قال كيف فقد شبّهه»

قد تقدّم بيان ذلك في شرح الكيفيّة، وبأنّ كيف حرف صفة، فمن قال كيف الله ـ جلّ وعزّ ـ فقد استوصفه، ومن استوصفه فقد شبّهه بما يوصف من خلقه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «ومن قال أين فقد بوّأه»

بوّأه من الباءة والمباءة، وهما واحد، وهي منزل القوم حيث ينزلون، يقال منه تبوّأ القوم منزلاً إذا نزلوه، وبوّأهم الله منزل صدق إذا أنزلهم فيه، فمن قال:

---

(١) نهج البلاغة: ١٢٤/ ٩١ (خطب).

أين الله جلّ وعزّ فقد بوّأه عند نفسه مكاناً والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تحيط به الأمكنة؛ لأنه كان ولا مكان.

قوله: «ومن بوّأه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه»

لأنه متى قال: إنه في مكان فقد حدّه بما يحدّ به المخلوق، وإذا حدّه فقد أثبته واحداً من العدد، تعالى الله عن ذلك وتقدّس.

وقوله: «ومن قال لِمَ فقد أعلّه»

وذلك قول الملحدين[١]: لِمَ كان الله ـ عزّ وجلّ ـ كذا؟ فإذا قال ذلك فقد جعله معلولاً، وقد تقدّم شرح العلّة والمعلول.

وقوله: «ومن قال متى فقد وقّته، ومن قال فيمَ فقد ضمّنه»

فذلك قول العادلين[٢] بالله ـ جلّ وعزّ ـ متى كان الله؟ وفيمَ هو؟ فمن قال: متى كان فقد وقّت له وقتاً، ومن قال: فيمَ هو فقد ضمّنه مكاناً، وذلك يتنافى عن الله ـ جلّ وعزّ ـ.

وقوله: «ومن قال إلى ما فقد نهّاه»

فذلك قول الملحدين إلى ماذا ينتهي أمر الله، فإذا قال ذلك فقد أوجب أنّ له نهاية، وقد تقدّم تفسير النهاية[٣].

[وقوله:] «ومن قال حتّامَ فقد أغياه»

معنى حتّامَ: حتّى متى يكون كذا.

---

(١) كلّ من تعرّض لهذا القول نفاه وَلم نعثر على قائل محصّل.

(٢) لم نعثر على قائل محصّل.

(٣) قوله: (فإذا قال ذلك فقد أوجب أنّ له نهاية، وقد تقدّم تفسير النهاية) لم يرد في «أ».

وأغياه أي جعل له غاية، وقد تقدّم بيان ذلك.

وقوله: «ومن أغياه فقد ألحد»

أي: مال به عن الحق، قال الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾[1]، وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾[2] أي: يميلون إليه، يقرأ بفتح الياء والحاء من «لحَد يَلحَد»، ويقرأ «يُلحِدون» ـ بضمّ الياء وكسر الحاء ـ من «ألَحد يُلحِد»، وكلّ ذلك من الميل.

وقوله: «ومن بعّضه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد عدل عنه»

أوجب له بعضاً كبعض المخلوق من جوارحه، فمن وصف الله ـ جلّ وعزّ عن صفات الملحدين ـ بالجوارح فقد بعّضه، ومن بعّضه فقد جزّأه، أي: جعل له أجزاء كأجزاء المخلوق التي هي أعضاءه، وإذا توهّم ذلك فقد عدل عنه بالصفة، ووقعت الصفة على المخلوق، وعبد مخلوقاً من دون الله.

وقوله: «لا يتغاير الله بتغاير المخلوق كما لا يتحدّد بتحديد المحدود»

فقد تقدّم بيان التغاير والتحديد في المخلوق، وأنّ ذلك يتنافى عن الله ـ جلّ وعزّ ـ.

وقوله: «هو أحد لا بتأويل عدد، صمدٌ لا بتثبيت جسد»

قد تقدّم بيان الواحد والصمد والعدد.

---

(١) سورة الحجّ: ٢٥.

(٢) سورة النحل: ١٠٣.

[تفسير الظاهر والباطن]

وقوله: «باطن لا باستتار، ظاهرٌ لا بإسفار»

يعني قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾[1]، فكلّ ما خلق الله ـ جلّ وعزّ ـ فله ظاهر مرئيّ وباطن مخفيّ إذا كشف الظاهر عنه بدا وظهر، وكان له أيضاً باطن إذا صار هو ظاهرا. هذا موجود بالعيان في كلّ جسم من حيوان وجماد، والحيوان له جسم ظاهر وروح باطن، وبان الله ـ جلّ وعزّ عن صفات جميع خلقه ـ بأنّه ظاهر باطن على نحو ما تقدّم من القول في ذلك بلا رؤية ولا تحديد ولا إدراك بحاسّة.

وجاء عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ أنّه قال: «لكلّ آية من القرآن ظهر وبطن»، روى هذا الحديث الخاصّ[2] والعامّ[3]. وقال بعض القوم[4] فيه: «هذا كقول القائل قلبت أمري ظهر البطن» فجاء هذا القائل بما أراد به التفسير بمثل معنى ما أراد تفسيره ولم يفسّره؛ لأنّ قول القائل «قلبت أمري ظهر البطن» معناه أنّه نظر في ظاهر أمره وباطنه، فهذا هو الأصل.

---

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي ٢: ٧٧١، تفسير العيّاشي ١: ١١/ ٥، تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن.

(٣) مصنّف عبد الرزّاق الصنعاني ٣: ٣٥٨ / ٥٩٦٥، باب تعاهد القرآن ونسيانه، غريب الحديث لقاسم بن سلام ٢: ١٢.

(٤) غريب الحديث لقاسم بن سلام ٢: ١٣.

وقال آخرون[1]: «قوله: «لكلّ آية من القرآن ظهر وبطن» هو كما ذكره ـ جلّ وعزّ ـ من قصص الأمم وما كان منهم من العنود وكيف أهلكوا بالعذاب، فظاهر ذلك إخبار عن أمرهم، وباطنه تحذير لمن أراد أن يعمل أعمالهم أن يحلّ به ما حلّ بهم».

وهذا أيضاً قريب المعنى من الأوّل؛ لأنه متى كان الخبر هو الظاهر والوعيد هو الباطن ـ وليس بظاهر في نصّ الخبر ـ كان الظاهر والباطن كذلك يجريان في كلّ آية، كما قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ بما لا يجب أخذه إلّا عنه ـ عليه السلام وعلى آله ـ؛ لأنّ ذلك هو بيان التنزيل، وقد حظّره الله ـ عزّ وجلّ ـ على الرسول بقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2] فتكفّل ـ عزّ وجلّ ـ له بالبيان ولم يجعل ذلك إليه. فلمّا وفّى له بذلك أمره بالبيان للناس، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، فمن أين يجوز لأحد مع هذا البيان أن يقول فيه برأيه، ولم يخصّ الله ـ جلّ وعزّ ـ على لسان رسوله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله كما قال من تقدّم ذكره ـ ما جاء في القرآن من القصص وحده بالظاهر والباطن، بل قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ: «ما نزلت عليّ آية من القرآن إلّا ولها ظهر وبطن»[4].

---

(١) غريب الحديث لقاسم بن سلام ٢: ١٣.

(٢) سورة القيامة: ١٦ ـ ١٩.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

(٤) مصنّف عبد الرزّاق الصنعاني ٣: ٣٥٨ / ٥٩٦٥، باب تعاهد القرآن ونسيانه، غريب الحديث لقاسم بن سلام ٢: ١٢.

وفي هذا كلام يخرج لطوله عن حدّ هذا الكتاب، وهو مثبت في كتاب إنهاج السبيل إلى علم التأويل، وإنّما ذكرنا من ذلك ما ذكرناه لما جاء من ذكر الظاهر والباطن.

وقال أيضاً بعض العامّة[1] في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾[2] قولاً رووه عن ابن عبّاس أنّه قال: «يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: أنا الظاهر ظهرت فوق الظاهر فقهرت المتكبّرين، وأنا الباطن فليس من دوني إله ولا لي قاهرٌ». وفسّر هذا من قوله بعضهم، فقال: «معنى قوله ظهرت غلبت وقويت من قولهم: ظهر فلان على فلان إذا غلب عليه، واستظهر عليه بالشيء إذا قوي به عليه»[3].

وقال آخرون ممّن ينتحل التوحيد[4]: «إنّما قيل لله ـ جلّ وعزّ ـ ظاهر لظهور صنعته، ولأنّ ما يرى من آثاره الظاهرة في صنعته دالّ على أنّه محدثها ومدبّرها وصانعها، وكانت أبنيته ظاهرة فيها واضحة، كما يرى بناء فيعلم أنّ له بانياً، فكأنّ ظهور البناء ظهور الباني. وقيل له باطنٌ؛ لأنه خفيّ عن أن تدركه الخلائق بكيفيّته أو تحيط به أوهامهم أو تبلغه صفاتهم أو تدركه عقولهم، فلمّا كان هكذا قيل هو الباطن. وكان لظهور أبنيته في صنعته ظاهراً، ولامتناعه عن إدراك المخلوقين بذاته باطناً.

---

(١) قريب بهذا المضمون في الهداية إلى بلوغ النهاية ١١: ٧٣٠٦.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) أساس البلاغة ١: ٤٠٥، تهذيب اللغة ٦: ١٣٧، مجمع البحرين ٣: ٣٩٣.

(٤) قريب بهذا المضمون في أعلام النبوة للماوردي ١: ٢١.

وفي كلي هذين القولين ما يوصف ـ جلّ وعزّ ـ به على نحو ما ينبغي، والله ـ سبحانه ـ ظاهر قويٌّ مقتدر على كلّ شيء، وبما ظهر من صنعته ـ كما تقدّم عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه ـ يستدلّ عليه، ولا يشبّه ولا يمثّل بالمخلوقين، ولأبنيته وأفعاله بأبنيتهم وأفعالهم كما تقدّم القول بذلك، ولا يكون المبتدى مثلاً للمبتدي كما جاء في كلام أمير المؤمنين. هذا وسنذكر بيانه إذا انتهينا إليه إن شاء الله.

وقوله: «باطنٌ لا باستتار، ظاهر لا بإسفار»، ما بيّن به أنّه ليس كما يشاهد من باطن المخلوقات المستور بظاهرها، ولاكظواهرها المشهورة المكشوفة الظاهرة المدركة بالحواسّ، فبيّن أنّ المراد بذلك إبانة صفاته عن صفات المخلوقين.

وقوله: «متجلّ لا باستهلال رؤية»

التجلّي في اللغة الظهور، وقيل[1] في قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلجَبَلِ**﴾[2] أي: أظهر إليه أمره، وقيل[3]: نوره.

والاستهلال هاهنا بمعنى الظهور، يقال: أهلّ بالتلبية إذا أظهرها ورفع صوته بها، واستهلّ المولود إذ أظهر صوته، يعني: بالتجلّي الذي هو الظهور ما تقدّم به القول من أنّه ظاهر بلا ظهور رؤية للناظرين كما قال: «متجلّ لا باستهلال».

وقوله: «مباين لا بمسافةٍ»

المسافة البعد عن الشيء، يقول: هو مباين للأشياء لا بمفارقة تحدّ بينه وبينها

---

(١) تفسير السمرقندي ١: ٥٤٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٣) تفسير السمرقندي ١: ٥٤٨.

كما يكون ذلك بين الشيئين المتباينين المخلوقين الممتاز أحدهما من الآخر.

وقوله: «مريد لا بهمّة»

الهمّة ما هممت به من أمر لتفعله، وهذا لا يجوز على الله ـ جلّ وعزّ ـ ولا يوصف به.

وقوله: «فاعلٌ لا باضطرار»

الاضطرار الحاجة إلى الشيء، والله سبحانه لا يحتاج إلى شيء.

وقوله: «قريب لا بمداناة، بعيد لا بمسافة»

يقول: هو قريب وبعيد بلا وصف ولا تحديد.

وقوله: «مقدّر لا بجول فكرة»

الفكر من صفات البشر، وذلك ما لا يوصف به الباري، إنّما يفكر المخلوق ليستفيد رأياً.

وقوله: «غنيٌّ لا باستفادة، مدبّر لا بحركة، موجود لا بعد عدم»

هذه إبانة لصفته من صفات المخلوق؛ إذ كان غنى المخلوق يستفيده ويزول عنه، وتدبيره ممّا يدبّره بحركةٍ، ووجوده كان بعد أن لم يكن شيئاً، والله ـ جلّ ـ غنيّ لم يستفد غناه ولا يزول عنه، مدبّر بقدرته على ما تقدّم ذكر خلقه الأشياء، موجود بما تقدّم وصف وجوده.

وقوله: «بصيرٌ لا بأداة»

يعني بالأداة ما يبصر به المخلوق من عينيه وقلبه فقد يقال فلان بصير بكذا إذ كان يحسن تمييزه ومعرفته، وقد قال الله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ

﴿وَلَٰكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]، فبصر المخلوق يكون بعينه وبقلبه وبعقله وبمعرفته، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا يوصف بالأدوات، وهو بصير بالحقيقة، والمخلوق بصير على المجاز؛ لأنه يبصر شيئاً ويعمى عن شيء وقد يعمى عن كلّ شيء.

وقوله: «لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّه الأماكن، ولا تحدّه الصفات، ولا تفيده الأدوات»

قد تقدّم بيان ذلك بأنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ كان ولا مكان، وأنّه لا يدرك بالصفات، ولا يوصف بالأدوات، وهي الجوارح.

وقوله: «سبق الأوقات كونه، والعدم[2] وجوده، والابتداء أزله»

هذا كلّه من صفات الأزل، وأنّ الله سبحانه كان ولا شيء معه، ثمّ ابتدع الأشياء كلّها خلقاً وصنعاً، لا شريك له.

[المشعر والمشاعر]

وقوله: «بتشعيره المشاعر عرف ألّا مشعر له، وبتجهيره الجواهر علم ألّا جوهر له»

المشاعر جمع مشعر، ومشاعر الحجّ معالمه، وهي الشعائر أيضاً، وهي المواضع التي يوقف فيها لقضاء واجباته، قال الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَروَةَ مِن شَعَائِرِ الله﴾[3].

والمشعر المعلم، ومن ذلك قيل: مشعر القوم، وهو ما ينادي به بعضهم بعضاً

---

(١) سورة الحجّ: ٤٦.

(٢) في «ب»: (والقدم) بدلا من: (والعدم).

(٣) سورة البقرة: ١٥٨.

في الحرب ليتعارفوا، ومنه قيل: مشعر الحرام، فالمشاعر هي المعالم، فجعل الله -جلّ وعزّ- لكلّ شيء معلماً يعلمه به من أدركته حواسّه فعلم بتشعيره مشاعر المخلوقات أنّه لا مشعر له يدرك به كما تدرك المخلوقات بعلاماتها.

وقوله: «وبتجهيره الجواهر علم أن لا جوهر له». يقول: «بتجسيمه الأجسام علم ألّا جسم له؛ لإبانة الخالق عن صفة المخلوق»، وقد تقدّم بيان ذلك.

وقوله: «وبإنشائه البرايا عرف ألّا مُنشئ له، وبمضادّته بين الأمور علم ألّا ضدّ له وبمقارنته بين الأشياء علم ألّا قرين له»

القول في هذا كالقول فيما تقدّمه، إنّ فاعل ذلك الأشياء لا تلحقه صفات مفعولاته.

وقوله: «ضادّ النور بالظلمة، والجلاء بالبهمة، والخشونة باللين، والصرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مقارناً بين متبايناتها، جامعها على فطرته، مضادداً بعضها لبعضٍ، كلّ لكلٍّ مفارق، وبعض لبعضٍ مقارن، مختلفات في اتّفاقهنّ، متّفقاتٍ في اختلافهنّ، متباينات في اتّصال، متّصلات في تباين»

قوله: «ضادّ النور بالظلمة» يقول: خالف بينهما، وضدّ الشيء الذي يضادّه، نحو الشفاء هو ضدّ الداء، والظلمة ضدّ النور.

والجلاء: البياض، تقول: ما أقمت عندهم إلّا جلاء يوم واحد، تفسيره أي: بياض يوم واحد، ومن ذلك جلا يجلو الصيقل السيف جلاءً -ممدوداً- إذا أظهر بياضه وكشف عنه صداه، ويقال: أمر واضح جليٌّ أي: بيّنٌ، وأجلى لنا الأمر أي أوضحه.

والبهمة: الظلمة، يقال: ليل بهيم أي: لا ضوء فيه.

والصرد: مصدر الشيء الصَّرد من البرد. يقال منه: صردت فأنا أصرد صرداً، وقومٌ صَردى، ويوم صَرِد، وليلة صَرِدة، والاسم الصَرد مجزوم. قال رؤبة:

بِمَطَرٍ لَيسَ بِثَلجٍ صَرِدِ[1]

والحرور: حرّ الشمس، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**وَمَا يَستَوِي الأَعمَى وَالبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ**﴾[2].

يقول: جعل ـ عزّ وجلّ ـ هذه الأشياء أضداداً متعادية متباينة، ثمّ ألّف بينها يعني في كثير من مخلوقاته التي جمع فيها النور والظلمة، واللين والخشونة والحرّ والبرد، واتّفقت فيها بعد تعاديها وتباينها، وافترقت بعد تعاديها واختلافها وتضادّها، فهي مختلفة في اتّفاقها، متّفقة في اختلافها، متباينة في اتّصالها، متّصلة في تباينها، يجمعه إيّاها فيما فيه من مخلوقاته، جمعها بقدرته وتدبيره ولطيف حكمته، لا إله إلّا هو.

وقوله: «جعلهنّ سبحانه دلائل على ربوبيّته،[3] وشواهد لقدرته، ونواطق عن غيبه، وعلامات لحقائقه، وبرهاناً على نفاذ مشيّته؛ إذ ينطقن بكونهنّ عن حدثهنّ، ويخبرن بوجودهنّ عن عدمهنّ، ويبيّنّ بتقلّبهنّ[4] عن زوالهنّ، ويفصحن بقيامهنّ عن أمثلتهنَّ، ويعلنّ بتضادّهنّ أن لا ضدّ لصانعهنّ، ويعلمن بأفولهنّ ألّا أفول لخالقهنّ، دالّةٌ بتأليفها على مؤلّفها، وبتفريقها على مفرّقها، وبتضادّها

---

(١) العين ٧: ٩٧.

(٢) سورة فاطر: ١٩ ـ ٢١.

(٣) في «ب» زيادة قوله: (ولطائف).

(٤) في «أ»: (وينبئن بنقلهن).

وازدواجها على مزوّجها، وذلك قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]».

وقوله: «سبحانه»

قال أهل العلم باللغة: «معنى سبحان الله براءةً وتنزيهاً له ممّا يقول فيه من أشرك به وألحد فيه»[٢].

وقوله: «وبرهاناً على نفاذ مشيّته»

قال الخليل بن أحمد[٣]: «البرهان بيان الحجّة وإيضاحها»[٤].

[الأفول]

وقوله: «ويعلمن بأفولهنّ أن لا أفول لخالقهنّ»

الأفول مصدر أفل الشيء ـ أي: غاب ـ يفل أفولاً بمعنى غاب يغيب غياباً. قال الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[٥]، يقال: أفلت الشمس إذا غابت، وأفل القمر إذا غاب.

وكلّ شيء يغيب ويفنى ـ كما قال[٦] سبحانه لاشريك له ـ وغيابها وذهابها دليل على أنّ ذلك لايلحق صانعها.

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) انظر: العين ٣: ١٥٧.

(٣) قوله: (على نفاذ مشيّته قال الخليل بن أحمد) لم يرد في «أ».

(٤) العين ٤: ٤٩.

(٥) سورة الأنعام: ٧٦.

(٦) انظر: سورة الرحمن: ٢٦.

وكذلك ما جاء في هذا الفصل ـ من ذكر ما يلحق الأشياء المخلوقة، وأنّ ذلك دليل على أنّه لايلحق بخالقها، وأنّ آثار أفعاله فيها، وجمعه بين متضادّاتها الذي لايدّعي ذلك غيره، ولايدّعى لأحد سواه ـ من الشواهد لربوبيّته، والدلائل عليه لاشريك له.

وقوله: «فرّق فيما بين قبل وبعد ليعلم ألّا قبل له ولابعد»

قال أهل اللغة والأعراب: قبل وبعد غايتان ومن أجل ذلك رفعتا كقول الله ـ عزّوجلّ ـ ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**﴾ فقبل غاية الأوّل وبعد غاية الآخر. ففرّق الله ـ عزّوجلّ ـ بينهما ليُعلم ـ أن لاقبل له ولابعد إذ كان كما تقدّم القول ـ أنّ الخالق تتنافى عنه صفات مخلوقاته ومعانيها، فلمّا كانت قبل وبعد غاية المخلوقات لم يكن للخالق غاية.

وقوله: «شاهدة بغرائزها ألّا غريزة لمغرّزها»

الغرائز جمع غريزة، والغريزة الطبيعة من خلق صالح أو رديّ، قال الشاعر عمرو بن عبدود[1]:

إنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الفَتَى   وَالجُودَ مِن كَرَمِ الغَرَايِزِ[2]

فالله ـ عزّوجلّ ـ خلق طبايع الخلق وغرائزهم، وبان عن خلقه ـ كما تقدّم

---

(١) عمرو بن عبد ودّ العامري، من بني لؤيّ، من قريش: فارس قريش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام. الأعلام ٥: ٨١، الطبقات الكبرى ٢: ٥٢، جمهرة أنساب العرب ١: ١٦٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٧٨.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٨: ٧٥.

القول بذلك ـ بنفي صفاته عن صفاتهم.

وقوله: «**دالّةٌ بتفاوتها على أن لا تفاوت في مفوّتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها**»

التفاوت الاختلاف في خلق المخلوقات، والتوقيت التحديد، وكلّ مخلوق محدود موقّت، وذلك دالّ على نفي التفاوت والتحديد والتوقيت عن الخالق؛ إذ قد بان ـ كما تقدّم القول بذلك ـ عن صفات خلقه.

وقوله: «**له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، ومعنى القدرة إذ لامقدور، وتأويل السمع ولامسموع، وحقيقة العلم ولامعلوم، ووجوب القدرة ولامقدور، ومعنى الخالق ولامخلوق، ليس مذ خلق الخلق استحقّ اسم الخالق، ولابإحداث البرايا استحقّ اسم الباري**»

[الربّ]

قوله: الربوبية والإلهيّة، وقد جائت في رواية أخرى الألوهيّة وسنذكرها. يقال من ذلك: الله ربّ عظيم الربوبيّة و إله عظيم الإلهيّة والألوهيّة.

والربّ في اللغة[1] المالك، والإله المعبود، ولايقال ذلك بالألف واللام إلّا لله جلّ وعزّ. وقد يقال هذا ربّ الدار وهذا ربّ العبد للرجل بغير ألف ولام، وفي القرآن: ﴿ارجِع إِلَى رَبِّكَ﴾[2] يعني الملك الذي أرسله، وكذلك كانت العرب في

---

(١) انظر: العين ٨: ٢٥٧.

(٢) سورة يوسف: ٥٠.

الجاهليّة يدعون أصنامهم آلهة، ويقولون هذا إله بني فلان للصنم الذي يعبدونه، ولايقولون هذا الإله ولاهو الله، وكذلك لايقال لمالك الشيء الربّ إلّا بالإضافة إلى ما يملكه فيقولون ربّ كذا، ويقولون لسيّد العشيرة ربّها، قال الأعشى[١]:

وَأَهلَكنَ يَومَاً رَبَّ كِندَةِ وَابنِهِ   وَرَبَّ مَعدٍ بَينَ خَبتٍ وَعَرعَرِ[٢]

وكذلك كانوا يدعونها أرباباً، قال بعضهم[٣] يخاطب صنماً كان يعبده وقد فكر في أمره:

بَدَا لِي فِيكَ أَنَّكَ لَستَ رَبّي   فَيَا لَيتِي وَجَدتُ سِوَاكَ رَبّاً

وجاء آخر[٤] إلى صنم كان يعبده بلبن قرّبه إليه فصبّه على رأسه، ثمّ مضى فرءا ثعلباً جاء إليه فلحس اللبن عن رأسه ثمّ بال عليه، فقال:

أَ رَبٌّ يَبُولُ الثَّعلَبَانُ بِرَأسِهِ   لَقَد ذَلَّ مَن بَالَت عَلَيهِ الثَّعَالِبُ[٥]

وقوله: و«مألوه» يعني من له إله، و«مربوب» من له ربّ، و«مقدور» يعني مقدوراً عليه، و«مسموع» ما يسمع، و«معلوم» ما يعلم، و«مخلوق» ما خلق.

يقول: إنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ يسمّى بهذه الأسماء واستحقّها قبل أن يخلق

---

(١) هذا البيت ليس للأعشى بل هو للبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبيّ ﷺ ويعد من الصحابة، ومن المؤلّفة قلوبهم. الأعلام ٥: ٢٤٠، جمهرة النسب ١: ٣١٩، الطبقات الكبرى ٦: ١٠٧، طبقات فحول الشعراء ٦: ١٢٣، الشعر والشعراء ١: ٢٦٦، الأنساب ٩: ١٥٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٥: ٥٠٠.

(٢) انظر: ديوان لبيد ١: ٤٦.

(٣) لم نعثر عليه

(٤) هو العبّاس بن مرداس المترجم سابقا.

(٥) الأمثال لابن سلام ١: ١٢٢، الطبقات الكبرى ١: ٢٣٤.

الخلق، واستحقّها لغير الأفعال التي سمّيت بها، وإنّه لم يستحقّها من أجل ما صنع كما يستفيد المخلوق ذلك بصنعته.

[مذ ومنذ]

وقوله: «كيف ولايغيبه مذ، ولايدنيه منذ»

قال الخليل: منذ النون فيها أصليّة، وقد تحذف ويعقّب الذال سكون النون، يعني أنّها تصير مذ، قال: ولذلك ترفع إذا ألقيت ألف الوصل؛ لأنها تردّ إلى الأصل وكان أصلها الرفع في منذ، قال: «ويقال: إنّما منذ مأخوذ من قولك من إذ، منذ منا ماخوذٌ، وكذلك معناها مأخوذ من الزمان إذا قلت: «منذ كان ذلك» معناه «مِن إذ كان ذلك»، فلمّا كثرت في الكلام طرحت همزتها وجعلت كلمة واحدة ورفعت على توهّم الغاية»[1].

وأهل العلم بالعربيّة يرفعون بمذ ما قد مضى، ويخفضون بها ما هم فيه، فيقولون في «مذ ما رأيته؟» مذ يومان ومذ شهران ومذ سنتان، وكذلك يرفعون ما كان من ذلك من غاية مضت، قلّت أو كثرت، ويخفضون ما هم فيه، فيقولون في «مذ ما رأيته؟» مذ اليومِ؛ لأنهم في اليوم.

وأمّا منذ فيخفضون بها ما قد مضى وما هم فيه، فيقولون: ما رأيته منذ يومين ومنذ شهرين، وما رأيته منذ اليومِ، فمذ ومنذ معناهما في الأصل ـ كما ذكرنا ـ «مِن إذ كان ذلك» فلمّا كثرت «مِن إذ» في كلامهم طرحت الهمزة وهي

---

(١) العين ٨: ١٩٢.

الألف فصارت كلمة واحدة منذ، ورفعت -كما قيل[1] - على توهّم الغاية، ثمّ حذفت النون فكانت مذ، وهما يجريان في ذكر ما مضى من الغايات.

فقوله: «لاتغيبه مذ» أي لا تحدّ له غاية، «ولاتدنيه منذ» أي لا تقرّر له غاية، وذلك بحسب ما ذكرنا أنّهما يجريان في ذكر غايات المخلوقين، والله -جلّ وعزّ - باين بقدرته عن أن تحدّ له غاية أو توصف له نهاية.

وقوله: «ولايحجبه أين، ولايوقّته متى، ولايشمله هو، ولايقارنه مع»

«أين» في لغة العرب وقت من الأمكنة، والله -جلّ وعزّ- لا تحجبه الأمكنة.

و«متى» يستفهم بها عن وقت المحدود، يقال: متى كان كذا وكذا، والله - جلّ وعزّ- لا يوقّت ولايحدّ.

و«هو» حرف إشارة إلى محدود، والله -سبحانه - لاتشتمل الإشارة عليه.

و«مع» يخبر بها عن اقتراب المتقارنين، فتقول: فلان مع فلان ومع كذا لشيء يقارنه ويصحبه، والله -جلّ وعزّ- لايقارنه شيء، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات[2] إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد أشكالها وإيّاها يعني تفاوتها، وعن الفاقة تخبر الأدوات، وعن ضدّه يخبر المضادّ»

قد تقدّم تفسير الأدوات وأنّها ما يُعمل به، ومنها الجوارح التي يحدّ بها الإنسان ما يدركه بحواسه من مثله من المخلوقات، فإنّما تحدّ المخلوقات ما

---

(١) انظر: العين ٨: ١٩٢.

(٢) في «ب»: (الآلة).

هو مخلوق مثلها، والله خالقها ـ جلّ وعزّ ـ لا تبلغه فتحدّه؛ إذ لا يدرك المخلوق الخالق.

والآلة أيضاً ما يعمل بها، والجوارح آلات يعمل بها، والإشارة بها إنّما يكون إلى ما يدركه في المخلوقات أمثالها، فأمّا الخالق ـ جلّ وعزّ ـ فغير مدرَك بها.

والنظائر جميع نظير وهو المثل والشبه من المخلوقات.

والشكل كذلك، وفي المخلوقات توجد أشكالها من المخلوقات، والخالق لا تحويه مخلوقاته.

والتفاوت التباين بين المخلوقات، وتفاوتها شاهدٌ على خلقها، وإيّاها يعني بذلك.

والجوارح التي هي الأدوات تخبر عن فاقة من ركّبت فيه بأنّه محتاج إليها، كما [أنّ] الصانع من البشر يحتاج إلى أداة يعمل به أعماله، والخالق ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن ذلك بقدرته، غير محتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه خلقه.

والضدّ المخالف لما هو ضدّه من المخلوقات، واختلافهما يشهد بأنّ خالقهما ضادّ فيما بينهما.

وقوله: «وإلى الشبه يؤول التشبيه»

أي: يرجع، يعني أنّ من وصف الله ـ جلّ وعزّ ـ بما شاهده من صفات خلقه فقد شبّهه بمن وصفه بصفته، وإذا كان ذلك فقد ثنّاه بمن وصفه به.

وقوله: «ومع الأحداث تحدث أوقاتها»

يعني أنّ كلّ محدَث خلقه الله ـ جلّ وعزّ ـ وأحدثه فوقته الذي ينسب إليه محدود مثله، وبان الله ـ جلّ وعزّ ـ بالأزل قبل الوقت؛ إذ هو خالقه وموقّته.

وقوله: «وبالأشياء اقترنت صفاتها، ومنها فصّلت قرائنها، وإليها آلَ إحداثها»

يعني: أنّ كلّ موصوف من المخلوقات، فصفته مقرونة به، والله ـ جلّ وعزّ ـ الذي لاتدركه الصفات لاقرين له، ومن المخلوقات فصّلت قرائنها التي هي صفاتها.

وإليها آل إحداثها أي: رجع، فالصفة منفصلة من الموصوف المخلوق، وإلى الأشياء المحدثه يرجع إحداثها؛ إذ هي بالحدث موصوفة وإليه منسوبة، والله سبحانه بائنٌ عن ذلك بالأزل، وهو خالق ذلك الحدث، والمحدث لا شريك له.

وقوله: «منعتها «منذ» القدم، وحمتها «مذ» الأزل، وحجبتها «لو» عن القدرة، ونفت عنها «لولا» الكمال»

قد تقدّم تفسير منذ ومذ، والأشياء المخلوقات بحدثها يقال: كان هذا الشيء مذ كذا ومنذ كذا، فذلك يحميه ـ أي: يمنعه ـ من أن ينسب إلى الأزل الذي تفرّد الله به سبحانه.

و«لو» يدخل على الأشياء المخلوقة، يقال: لو كان هذا الشيء كذا لكان كذا، فذلك مزيل لوصفه بالقدرة؛ إذ لم يكن على ما يوجبها، ولايلحق ذلك الخالق ـ جلّ وعزّ ـ المتفرّد بالقدرة وحده.

والشيء المخلوق ناقصٌ عن الكمال، وتفرّد بالكمال خالق الأشياء، فيقال في الشيء المخلوق: لولا كان هذا على صفة كذا أو في وقت كذا لكان أحسن، فذلك ما يمنعه الكمال.

وقوله: «افترقت فدلّت على مفرّقها وتباينت فأعربت عن مباينها»

يقول: افتراق الأشياء المخلوقة وتباينها دليل على أنّ لها خالقاً فرّق بينها وباين بعضها عن بعض.

وقوله: «بها تجلّى صانعها للعقول، وبها احتجب عن رؤية العيون»

قد تقدّم بيان التجلّي وشرح العقول واحتجاب الله ـ عزّ وجلّ ـ بخلقه عن خلقه.

وقوله: «وفيها أثبت غيرومنها انبسط الدليل، وبها عرف الاقتران»

يقول: في المخلوقات أثبت ـ عزّ وجلّ ـ غيراً؛ لأنها متغايرة، وقد تقدّم القول ببيان ذلك وأنّ ذلك لايلزمه سبحانه. ومن الأشياء المخلوقة استنبطت[1] الدلائل على خلق الخالق إيّاها، وقد تقدّم بيان ذلك.

وقوله: «أنبط الدليل» يقول: استخرجه، قال الشاعر[2]:

قُرَيشٌ وَأنبَطنَا بِجَنبِ الحَجَر مَاءً ... رِوَاءً ارعَوا يَا غَمَرَ البِحَارا

يعني استخرجنا بئرزمزم.

يعني أنّ تأثير الخلق في المخلوقات دليل على خلق الخالق إيّاها.

---

(١) هنا غلق واضطراب في العبارة حيث أثبتت كلمة واحدة على ثلاث حالات، فإنه في أصل الخطبة جاء «انبسط»، وفي شرح جاء «استنبطت» و«أنبط». ولم نغير اللفظ عن ظاهره.
ورواية الحديث في الكتب الأخرى جاء على نحوين، ففي بعضها: «أنيط»، وفي بغضها: «أنبط».

(٢) لم نعثر عليه

[العقل الظاهر والعقل الباطن]

وقوله: «بالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكون الإيمان به»

قد بيّنّا فيما تقدّم معنى العقل في الظاهر وما قال فيه المنسوبون إلى العلم من الخاصّ والعامّ، وذكرنا أنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ خلق له مثلاً في الباطن؛ لقوله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1].

والزوج في اللغة[2] الفرد المزاوج للآخر، يقال: الرجل زوج المرأة والمرأة زوجة الرجل وهما زوجان، وكذلك خلق الله ـ جلّ وعزّ ـ الخلق كلّه مزدوجاً محتاجاً بعضه إلى بعض، وتفرّد وحده بالوحدة لا شريك له.

فالعقل الظاهر لا يقوم إلّا بالعقل الباطن؛ لأنه محتاج إلى قرينة في الباطن الذي جعل مزاوجاً له محتاجاً إليه، لا يصحّ أمره إلّا به، ولا يكمل إلّا بكماله معه، وليس بالعقل الظاهر وحده تدرك الأشياء ويعلم علمها، وكثير ممّن ضلّ عن سبيل الله كانت لهم عقول ظاهرة لا يدفع فضلها.

وروي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ أنّه قال: «بُعثت وفي هاتين القريتين ـ يعني مكّة والطائف ـ أربعون[3] رجلاً ظنُّ أحدهم أصحُّ من يقين كثير من الناس»[4]، ومن ذلك ما حكاه الله ـ جلّ وعزّ ـ عن قول مشركي قريش: ﴿**وَقَالُوا**

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٥٢٥، الفائق في غريب الحديث ٢: ١٠١، القاموس المحيط ١: ٢٦٣، جمهرة اللغة ١: ٤٧٣.

(٣) في هامش «ب»: (في نسخة بدل: سبعون).

(٤) لم نعثر عليه.

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] لما كانوا يعلمون من وفر عقول من كان بهما، فما انتفعوا بعقولهم الظاهرة؛ إذ عدموا مزاوجها من الباطن.

وهذا كلام دونه ستر يعلمه من أخذ عن الراسخين في العلم[2].

ولو كانت العقول الظاهرة وحدها تدلّ على الحقائق وتكشفها لما كان اختلاف، فمهما ذُكر العقل وأريد به حقيقته فهو ما رمزنا به وأشرنا إليه، ومن ذلك قلنا فيما تقدّم من شواهد العقول أنّ تصحيح ذلك ما جاء به الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ. فمن لم يكن له عقل باطن يهديه لم يهده ظاهر عقله وحده؛ إذ هو محتاج فقير إلى زوجه الباطن، وكذلك إذا لم يكن عقل في الظاهر لم يهده العقل الباطن وحده، وكان ممّن أسقط الفرض عنه؛ إذ لم يكن يعقل ما تعبّد به العاقل المكلّف.

والكلام في هذا يخرج عن حدّ هذا الكتاب، وإنّما نبذنا هذه النبذة فيه لئلّا يرى متأوّلوه أنّ ظاهر عقولهم يؤدّيهم إلى علم ما جهلوه من غير توفيق الهادي إلى الحقّ، فيكون ذلك حجّة لكلّ فريق منهم فيما اختلفوا فيه إذ كانت عقول كلّ فريق منهم قد صحّ فيها ما ذهبوا إليه ممّا بها أدركوه.

---

(١) سورة الزخرف: ٣١.

(٢) هذا التفسير من القاضي النعمان مخالف لما جاء عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام لأنه عليه السلام جعل العقل هو حجّة الله الباطنة ولم يجعل شيئاً آخر يتمسّك به في سبيل الهداية. والحديث المرويّ عن الإمام الكاظم عليه السلام هكذا: «يا هشام إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول. يا هشام إنّ العاقل الّذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره» (الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج ١ ص ١٦ / ١٢، كتاب العقل والجهل).

فقوله هاهنا: «بالعقول يعتقد التصديق» يعني العقول التي يحقّق ظاهرها بباطنها فكانت حقيقة نقيّة صافية من كدر الجهل.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليّ - صلوات الله عليه - في أوّل هذا التوحيد: «بشهادة العقول الصافية بأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق» والشهادة بذلك من باطن العقل، والتصديق والإقرار من ظاهره، كما قال هاهنا: «بالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكون الإيمان به».

وكذلك الإقرار باللسان لاينفع عند الله إلّا باعتقاد القلب، فإذا اعتقد القلب بما فيه من العقل التصديق ولفظ به اللسان تمّ الإيمان، وإن لفظ اللسان بذلك ولم يعتقده القلب لم ينتفع به كما قال الله - جلّ من قائل -: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِم وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُم﴾[1]، وكذلك لم يوجب الكفر على من أكره عليه فلفظ به بلسانه ولم يعتقده بقلبه بقوله: ﴿إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلْبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[2].

[التوحيد الحقيقي والشرك]

وقوله: «لاديانة إلّا بعد معرفة، ولامعرفة إلّا بتصديق، ولاتصديق إلّا بتوحيد، ولاتوحيد إلّا بإخلاص، ولاإخلاص مع التشبيه، والتشبيه مع إثبات الصفات، ولا توحيد إلّا باستقصاء النفي كلّه»

يقول: لاديانه إلّا بعد معرفة من جاء بالدين عن الله - جلّ وعزّ - وعن رسوله - صلّى الله عليه وسلّم على آله - وتصديقه فيما جاء به؛ لأنّ إنساناً لو اعتقد

---

(١) سورة المائدة: ٤١.

(٢) سورة النحل: ١٠٦.

وعمل بما تعبّد الله به العباد من دينه ولم يعرف الرسول الذي جاء بذلك عن الله ـ جلّ وعزّ ـ أو عرفه ولم يصدّقه لم ينفعه علمه[١]. ولا يثبت تصديق من جاء بذلك إلّا بإخلاص توحيد الله ـ جلّ وعزّ ـ؛ لأنّ ذلك ممّا جاء به، فإن كذّب المكذّب ببعض ما جاء به الرسول فقد كذّب بالرسول.

ولا ينفع التوحيد باللسان حتّى يخلصه القلب، وقد بيّنّا ذلك آنفاً. ومن شبّه الله ـ جلّ وعزّ ـ بخلقه فلم يخلّص توحيده. وإثبات الصفات المدركة من المخلوقين للخالق هو التشبيه؛ لأنه إذا وصفه بصفات خلقه فقد شبّهه بمن وصفه بشيء من صفاته.

وقوله: «**إثبات بعض التشبيه يوجب الكلّ، ولا يستوجب التوحيد ببعض النفي دون الكلّ**»

معنى ذلك أنّ من شبّه الله ـ جلّ وعزّ ـ بأقلّ شيء من مخلوقاته فزعم أنّ شيئاً ممّا فيها يشبه شيئاً منه فقد شبّهه بذلك المخلوق، ولا يثبت توحيد الله جلّ وعزّ ـ وذلك إثباته بالوحدة[٢] من جميع خلقه ـ إلّا بنفي جميع صفاتهم عنه.

وقوله: «**إذ في الإقرار بعض من الإنكار، ولا ينال الإخلاص بشيء من الإنكار**»

يقول: من أقرّ ببعض التوحيد دون أن ينفي التشبيه فذلك الإقرار بالبعض هو الإنكار بمن يقرّبه[٣]، ولا ينال إخلاص التوحيد بشيء من إنكار جميع ما

---

(١) في «أ»: (عمله).

(٢) في «أ»: (إبانته للوحدة).

(٣) في «أ»: (لما لم يقربه) بدلا من: (بمن يقربه).

يوجبه. وأكثر الناس يدّعي التوحيد ويشوب ذلك بما يوجبه إنكاره، كالفلاسفة زعموا أنّهم يوحّدون الله لمّا فارقوا الدهريّة في قولهم: «إنّ الأشياء قديمة منفعلة بذاتها» وقال هؤلاء: «إنّ لها خالقاً هو الله»، قالوا: إنّهم قد وحّدوه وهم مع ذلك يكذّبون بالرسل والبعث والجنّة والنار وسائر ما جاء به النبيّون، وقد تقدّم القول بأنّ التوحيد لا يثبت إلّا من بعد معرفة من جاء به عن الله من عند الله[1] ـ جلّ وعزّ ـ وتصديقه.

وكاليهود لمّا فارقوا الثنويّة الذين قالوا بإلهين إثنين، فقال هؤلاء: إنّ الله واحد زعموا أنّهم من أهل التوحيد وهم يكذّبون عيسى ومحمّداً ـ صلّى الله عليهما ـ.

وكالنصارى وهم يزعمون أنّ الله ـ جلّ وعزّ ـ ثلاثة أبٌ وابنٌ وروح القدس، يقولون: إنّ الثلاثة واحد ويقولون في إيمانهم بالله ـ جلّ وعزّ ـ بزعمهم بسم[2] الأب والابن وروح القدس: الله الواحد في السماء تثليث بلا فرقة وتوحيد بلا تخليط.

فهم بهذا يدّعون التوحيد والله ـ جلّ وعزّ ـ يخبر عن كفرهم بذلك بقوله: ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِن إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيراً لَكُم إِنَّمَا الله إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[4]، ويخبر عن شركهم وشرك اليهود وأنّهم اتّخذوا أرباباً من دونه ـ لا شريك له ـ بقوله: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيرٌ ابنُ الله

---

(١) في «أ»: (معرفة ما جاء من عند الله) بدلا من: (معرفة من جاء به عن الله من عند الله).

(٢) في «أ»: (سمي) بدلا من: (بسم).

(٣) سورة المائدة: ٧٣.

(٤) سورة النساء: ١٧١.

وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ الله ذٰلِكَ قَولُهُم بِأَفوَاهِهِم يُضَاهِئُونَ قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَاباً مِن دُونِ الله وَالمَسِيحَ ابنَ مَريَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلّا لِيَعبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لاَ إِلٰهَ إِلّا هُوَ سُبحَانَهُ عَمَّا يُشرِكُونَ ﴾[1].

وقد روى الخاصّ[2] والعامّ[3] من أصحاب الحديث: «أنّ عديّ ابن حاتم أتى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ فأسلم[4] وكان على دين النصرانيّة، فتلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَاباً مِن دُونِ الله ﴾[5]، فقال عديّ: يا رسول الله ما كنّا نعبدهم من دون الله، فقال له رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ: ألم يكونوا يحلّلون لكم ويحرّمون عليكم بآراءهم فتستحلّون ما أحلّوه وتحرّمون ما حرّموه عليكم. فقال: أمّا هذا فنعم. فقال له رسول الله ﷺ: فتلك عبادة منكم لهم».

وقد قال الله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿قُل يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنَا وَبَينَكُم أَلّا نَعبُدَ إِلّا الله وَلاَ نُشرِكَ بِهِ شَيئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضاً أَربَاباً مِن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشهَدُوا بِأَنَّا مُسلِمُونَ ﴾[6] فبيّن ـ جلّ وعزّ ـ أنّ اتّخاذ الأرباب من دونه عبادة لهم وشرك به، وبيّن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ أنّ ذلك يكون باستحلال ما أحلّوه وتحريم ما حرّموه.

---

(١) سورة التوبة: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) انظر: المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب: ٥١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٤: ٢١٠.

(٤) قوله: (فأسلم) لم يرد في «أ».

(٥) سورة التوبة: ٣١.

(٦) سورة آل عمران: ٦٤.

فأصل العبادة في اللغة[1] الطاعة، قال الشاعر[2]:

تَعَبَّدَني نِمرُبنُ سَعدٍ وَقَد أرَى ... وَنِمرُابنُ سَعدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهطِعٌ[3]

وكذلك أكثر هذه الأمّة أطاعوا كبرائهم[4] الذين ترأسوا عليهم، وقالوا في دين الله بآرائهم وأهوائهم وقياسهم واستحسانهم، واستحلّوا ما أحلّوه بذلك لهم وحرّموا ما حرّموا به عليهم اقتداءً بهم وطاعة لهم، فدخلوا في حكم من تقدّمهم وسلكوا سبيلهم، ومن ذلك قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم على آله ـ: «لتسلكنّ سبل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتّى لو دخلوا حجر ضبّ لدخلتموه»[5]، وفي رواية أخرى: «حتّى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه»[6] فأخبر ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ بما يكون من الأمّة بعده.

وهذا حديث ثابت مشهور عندهم، والقذّة شراك النعل، والحذو عمل

---

(١) انظر: الصحاح ٢: ٥٠٢.

(٢) نسبه السيوطي في الاتقان ١: ٣٧٣ إلى تبع. والظاهر أنّه تبّع بن حسّان أحد ملوك اليمن في الجاهليّة. قال ابن عساكر فيه: تبّع بن حسّان بن ملكي كرب بن تبّع بن الأقرن. وتبّع لقب للملك الأكبر بلغة أهل اليمن ككسرى بالفارسية. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبّوا تبّعاً فإنّه قد أسلم. تاريخ مدينة دمشق ١١: ٦.

(٣) انظر: العين ١: ١٠١.

(٤) في «أ»: (أكثرهم) بدلا من: (كبرائهم).

(٥) تفسير القمّي ٢: ٤١٣، تفسير العيّاشي ١: ٣٠٣ / ٦٨، سورة المائدة. صحيح البخاري ٤: ١٤٤، صحيح ابن حبّان ١٥: ٩٥، غرر الفوائد المجموعة للقرشي: ١٦٩.

(٦) انظر: العين ٤: ٣٢٤، تهذيب اللغة ٧: ٢٦٢، المخصص ٨: ١٧٨، الفائق في غريب الحديث ١: ٣٢٢، شمس العلوم ٣: ١٨٠٨النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٣٣.

الشيء على مثاله يقدرعليه كما يقدر أحد شراكي النعل على الآخر، والخشرم بيت الزنابير، والدبرة جماعتها.

والأمّة بأسرها تدّعي توحيد الله ـ جلّ وعزّ ـ، ومنهم من يشبّهه بخلقه، ومنهم من ينفي التشبيه عنه بزعمه ويشرك معه في حكمه وأمره، ويتّخذ أرباباً من دونه على نحو ما ذكرناه من أمرهم وما شهد به من ذلك الكتاب والرسول عليهم. ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «من الشرك ما هو أخفى من الذرّة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء»[1]، وتلى قول الله ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِالله إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾[2].

ومنه أيضاً قوله ﷺ وقد سئل عن أدنى ما يكون به المرء مشركاً، فقال: «أدنى ما يكون به المرء مشركاً أن يتديّن بشيء ممّا نهى الله عنه ـ جلّ وعزّ ـ فيزعم أنّه من عند الله ويعبد من جاء عنه وهو غير الله عزّ وجلّ»[3]. وهذا من مثل ما ذكرناه ممّا ذهب إليه أكثر العوامّ من أخذهم عن أسلافهم ممّا شرّعوه لهم من الدين بآرائهم وأحلّوه وحرّموه عليهم بقياسهم وآرائهم واستحسانهم ممّا يوجب اسم الشرك لمن انتحله على ما تقدّم ذكره.

والشرك درجات ومنازل كما [أنّ] الإيمان كذلك، وليس هذا ومثله ممّا يسمّى شركاً ممّن ينتحل الإسلام ما يستحلّ به دم من انتحله وماله وذرّيته حسب ما يستحلّ ممّن كان على غير دين الإسلام؛ إذ لم تجرِ الأحكام بذلك،

---

(١) انظر: تفسير التستري ١: ١٦٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦.

(٣) انظر: الكافي ٢: ٤١٥ / ١، باب أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً، كتاب سليم بن قيس ٢: ٦١٥.

ولكنّه ممّا لايستحقّ اسم التوحيد من كان عليه ويكون ناقصُ إيمانه، ولوكان كلّ من وحّد الله بلسانه وشهد بأنّه واحد لاشريك له يكون موحّداً بالحقيقة لكان أكثر الناس من أهل التوحيد وفي هذا كلام يطول. وفي بعض ما ذكرناه منه بلاغ لمن وفّق إن شاء الله.

وقوله: «فكلّ موجود في الخلق لايوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه، لاتجري فيه الحركة ولاالسكون، ولايمكن فيه التجزّي ولاالاتّصال، وكيف يجري عليه ما هوأجراه، ويعود عليه ما هوابتداه، ويحدث فيه ما هوأحدثه، إذاً لتفاوت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للأزل معنى غير معنى الحدث، ولاللباري إلّا معنى المبرؤ، ولكان له وراء إذا وجد له أمام، ولالتمس له التمام إذا لزمه النقصان، وكيف يستحقّ اسم الأزل من لا يمتنع من الحدث، ويستأهل الدوام من تنقله الأحوال، وينشيء الأشياء من لايمتنع من الإنشاء، إذاً لقامت فيه آية[1] المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، ولاقترنت ذاته بالصفات اقتران كلّ ما دونه بصفاته»

قد تقدّم تفسير الكنه والأزل.

فأمّا قوله: «الباري». فالباري في اللغة[2] الخالق، والبريّة الخلق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم.

وقد تقدّم تفسير الآلة والذات، وما سوى ذلك ممّا في هذا الفصل فجماع

---

(١) في «ب»: (آلة).

(٢) انظر: العين ٨: ٢٨٩.

القول فيه نفي صفات المخلوقين عن الخالق - جلّ وعزّ - وأنّ من وصفه بصفات مخلوقاته فقد ألزمه ما يلزم المخلوق ونفى عنه صفة الخالق، وهذا هو الكفر به وعبادة المخلوق الموصوف من دونه إذا اعتقد الواصف عبادة موصوف وهو غير الله سبحانه.

وقوله: «ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، بل هو لله تثبيت، وللقدرة تحقيق؛ لامتناع معنى الممتنع من معنى الإمكان، ومعنى الإمكان من معنى الامتناع، لامتناع الأزليّ[1] أن يثنّى، ولما لا بدي له أن يبتدأ، ولإبطال معنى الأزل معنى الابتداء إذ[2] معنى الابتداء أن يثنّى، وكيف يكون المبتدى مثلاً لما هو ابتدى مثلاً، ويكون امتناع ما لا يمكن فيه المثل من تمثيله عجزاً؛ إذاً لزال معنى الأزل والحدث، وللحق معنى الأزل بمعنى الحدث، ولبطل معنى لا مثل له؛ إذ كان مقدوراً على تمثيله، ولكان وجود من لا بدي له هو المزيل عدم مثله ومعنى الامتناع من إمكانه فيه، بل هو كما لم يزل لا يمكن في الأزل العدم كذلك لم يزل لا يمكن في مثله الوجود؛ لأنّ في إثبات الوجود الأزليّ بطلان وجود مثله كما أنّ وجود أزله إبطال الأزليّة، ولو كان امتناع ابتداء مثله عجزاً ممّن لا بدي له لم يحقّ له الأزل الممتنع من حدثه ولو كان امتناعه من الحدث تقصيراً بقدرته لما امتنع من الحدث أزله، ولكان معنى التقصير أزليّاً، ولكنّه من حيث امتنع أزله من الحدث امتنع إحداث مثله؛ لمشاركته إيّاه في أزله، ولو أمكن في الواحد الأزلّي أن يثنّى أمكن أن يكون في

---

(١) في النسخ: «الأزل»، والصحيح ما أثبتناه كما ورد في الكتب الأخر.

(٢) في هامش (أ): «الأصل: و»

الأزل شركة، ولما ثبت معنى الأزل الممتنع من الحدث، ولما فرّق العقل بين معنى الأزل والحدث، ولما كان بين معنى المبتدي والمبتدى فرقٌ، ولا بين معنى الامتناع والإمكان حدّ. ولو جرى على تسمية الأحد عدد لجرى عليه الطول وَالعرض، ولتعاقبه الضدّان البسط والقبض. ولو كان تأويل تسمية الصمد على تأويل المصمت لم يمتنع من الحدث معناه، ولو كان معنى تسميته شيئاً يدخله في شبه شيء غيره جاز أن يكون معنى لم يزل ممتنعاً من الحدث مشبهاً لمعنى ممتنع من الأزل، ولثبت لغيره أزل كان له موجوداً كوجوده؛ لأنّ ما ثبت لشيء ثبت لشبهه»

[تفسير المحال]

قوله: «ليس في محال القول حجّة»

اختلف المتكلّمون في المحال ما هو فيه، فقال قوم[١]: المحال هو كاجتماع القيام والقعود في حال، فأمّا الكلام قالوا فلا يكون محال؛ لأنّ الكلام[٢] قد يوجد ويسمع.

وهذا القول مخالفٌ لما جاء في هذا الفصل عن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ لقوله: «ليس في محال القول حجّة»، فأثبت أنّه قد يكون من القول محالٌ.

وقال آخرون[٣]: المحال هو الكلام الذي لا معنى له، وقد يجوز أن يكون له حقيقة تفهم.

---

(١) راجع شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١: ١٨٧.

(٢) قوله: (قالوا فلا يكون محال؛ لأنّ الكلام) لم يرد في «أ».

(٣) لم نعثر عليه.

وهذا موافقٌ لما جاء عن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ.

والذي قيل في القول الأوّل: إنّ اجتماع القعود والقيام هو المحال، وإنّ الكلام لايكون محالاً فقد يقول القائل: فلان قائم قاعد في حال، فيكون معنى قوله ذلك محالاً، وإذا بطل معنى الشيء بطلت كلّيّته.

وقال قوم: المحال لايكون كذباً والكذب لايكون محالاً.

وقال قوم: كلّ محال كذب وكلّ كذب محال[1].

وقال قوم: المحال كلّه كذب، ومن الكذب ما ليس بمحال.

وفي قول عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «ليس في محال القول حجّة» ما بيّن به أنّ الكذب المحالُ؛ لأنّ الكذب[2] لايقوم به حجّة، وكذلك ما لا يصحّ معناه من الكلام فليس يقوم أيضاً به حجّة[3]، ولافي المسألة عنه جوابٌ؛ لأنّ من قال: القائم قاعد، والحقّ باطل، والنهار ليل، والخالق مخلوق، والنور ظلمة، وأشباه هذا من القول يحتجّ به لم يكن ذلك حجّة له، وكذلك من كذب على الله أو على رسوله واحتجّ بما كذب به عليهما لم يقم له بذلك حجّة كما أنّه إذا كذب على إنسان فنسب إليه ما لم يفعله أو يقول عليه ما لم يقله وثبت ذلك لم يقم به حجّة لقائله.

ومعنى قوله: «ولافي المسألة عنه جوابٌ» يعني أنّ قائلاً لو قال: لِمَ لايكون الحقّ باطلاً والباطل حقّاً والخالق مخلوقاً وأشباه ذلك من الفاسد المحال

---

(١) قوله: (وقال قوم كل محال كذب وكل كذب محال) لم يرد في «ب».

(٢) قوله: (المحال لأن الكذب) لم يرد في «ب».

(٣) قوله: (وكذلك ما لا يصحّ معناه من الكلام فليس يقوم أيضاً به حجّة) لم يرد في «أ».

الذي لا شكّ فيه لم يلزم المسئول عن ذلك جوابٌ عنه؛ لأنّ ذلك لو وجب لاطّرد القول فيه، وكان للسائل أن يسأل عن كلّ ما أجيب به لِمَ كان ذلك، وكان على المسئول أن يجيبه عن ذلك، وكان له أيضاً أن يعكس السؤال عليه ويسأله لِمَ كان ذلك، ويصير السؤال عن ذلك فيسأله عن مثل ذلك لِمَ كان إلى ما لا نهاية له، وهذا هو المحال[١] بعينه.

وكذلك كلّ ما ذكر في هذا الفصل من التغاير، وما لا يكون ولا يصحّ فهو من المحال، وذلك كما قال عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «لله ـ عزّ وجلّ ـ تثبيت، وللقدرة تحقيق»؛ لامتناع معنى الممتنع من معنى الإمكان، ومعنى الإمكان من معنى الامتناع كما قال عليه السلام، وبذلك يصحّ الحقّ ويبطل الباطل، وبفساد الشيء يصحّ ضدّه، وبصحّته يبطل ما خالفه. وعلى هذا المعنى جرى ما جاء في هذا الفصل، وأوضح فساد ما يخالف الحقّ فيه بفساد معناه.

وقوله: «له تأويل الأسماء لا بغيور، ومعاني الصفات لا بإضافة، ومعنى الأفعال على معنى تأويل العبارة»

يقول: له معنى الأسماء بالحقيقة لا بغيور كما تتغاير معاني أسماء المخلوقين وصفاتهم، فيسمّى حسناً من هو قبيحٌ وصالحاً من هو طالح وجميلاً من هو سمجٌ. ومعاني الصفات لا بإضافة كما يضاف صفات المخلوقين إليهم، فيقال: فلان أدم وأسمر[٢] وأسود وسباط ومربوع، ويوصف ويحلّى بصفته وحليته، وذلك

---

(١) قوله: (كان إلى ما لا نهاية له، وهذا هو المحال) لم يرد في «أ».

(٢) قوله: (واسمر) لم يرد في «أ».

ما لا يلحق الخالق ـ جلّ وعزّ ـ، ولا يضاف صفاته إليه ـ سبحانه ـ كما يضاف صفات المخلوقين إليهم.

وقوله: «ومعنى الأفعال على معنى تأويل العبارة» يعني أنّ أفعال الله ـ جلّ وعزّ ـ التي ذكرها في كتابه لا يجوز أن تشبّه بأفعال خلقه، ولا أن توصف بصفاتهم في حالات أفعالهم؛ لأنّ ذلك من التشبيه، وإنّما معنى ذكر أفعاله عبارة عن مفعولاته وأنّه هو ـ جلّ وعزّ ـ فاعلها[1]، لا على أنّه يوصف الله ـ جلّ وعزّ ـ بما فعل ممّا وصف به المخلوق في حين فعله ما يفعله، وقد بيّن ذلك فيما يتلو هذا القول.

وقوله: «وفي مفعولاته وقع تأويل فعله، وبمصنوعه[2] اقترن صنعه، وإلى ما أحدث نسب معنى إحداثه إيّاه. إن قيل خلق فالمخلوق عني، وإن قيل قدّر فالمقدور عليه وصف، وإن قيل علم فعلى المعلوم أحيل، كما إذا قيل لا إله غيره فغيره حدّ، وإنّما حدث غير مع حدوث الخلق؛ لامتناع ما لا غير له أن يكون غير غيره، ولمّا امتنع من هذا امتنع[3] أن يكون غيراً، ولو أمكن أن يكون غيراً لقارنه غير كلّ حدث ومحدث، ولبطل معنى لم يزل لا غير، ولاستوى معنى لم يزل ممتنعاً من غير غيره، ومعنى لم يزل ممكناً أن يكون له غير»

فهذه إبانة ما تقدّم به القول من نفي[4] صفات الله ـ جلّ وعزّ ـ عن صفات

---

(١) قوله: (وإنّما معنى ذكر أفعاله عبارة عن مفعولاته وأنّه هو جلّ وعزّ فاعلها) لم يرد في «أ».

(٢) في «أ»: (وبمصنوعاته).

(٣) في «أ»: (امتنع هذا امتنع من) بدلا من: (امتنع من هذا امتنع).

(٤) في «أ»: (فأبان) بدلا من: (فهذه إبانة ما تقدّم به القول من نفي).

خلقه، ومعاني أفعاله عن معاني أفعالهم؛ إذ ذلك من حقيقة توحيده ونفي التشبيه والصفات عنه لاشريك له.

وقوله: «وإنّما تسمية الله ـ عزّوجلّ ـ بالعلم كتسميته بسائرأسمائه لايوجب منها شيء عليه له غيراً كما توجب لأنفسها ويوجب بعضها لبعض، وليس امتناع الأسماء أن توجب له غيراً بإبطال معناه ولامعاني أنفسها، إذاً لبطل كلّ معنى ببطلان معناه، ولامتنعت المعاني أن تكون معاني أنفسها، ولما كان لحقٍ ولا باطل ولاخالق ولالمخلوق معنى، ولكن معاني الأشياء ممتنعة من البطلان[1] كما يمتنع معنى الخالق والمخلوق من أن يمكن فيهما إثبات بعضهما لبعض، الغيور ممتنعة أن تعدوا بالغيور أنفسها، غير ممكنة أن توجب للممتنع ما يمكن فيها من الغيور؛ لامتناعه من كلّ ما يمكن فيها».

يقول: قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: إنّه عليم كقوله: إنّه خبيرٌوبصيروسميع. وقد تقدّم بيان ذلك وأنّه ـ عزّوجلّ ـ وما يجري مجراه من الأسماء والصفات التي وصف بها نفسه وسمّى بها في كتابه ليس كمعاني صفات المخلوقين وأسمائهم لهم؛ إذ لايشبه ـ جلّ وعزّ ـ بشيء من مخلوقاته، ولايلزمه ما يلزم خلقه من الإضافات والأشباه والصفات، وامتناعه من كلّ ما يمكن في مخلوقاته من الأسماء وساير الأشياء.

وقوله: «ومن قبل امتناع الكلام أن يمكن فيه الامتناع ممّا لايمتنع منه الأسماء وسائرالأشياء اضطررنا إلى هذا المضيق؛ لامتناعه أن يمكن فيه ما يمكن في الأسماء

---

(١) في «ب»: (التطول) بدلا من: (البطلان).

وسائر الأشياء، ولو أمكن فيه ما أمكن في الأسماء وسائر الأشياء لخرج الكلام إلى سلطان الامتناع من أن يمكن فيه ما يمكن في الحدث من الأسماء وسائر الأشياء ولضاهى الكلام بالامتناع فيما يمتنع منه الجميع ممّا يمكن في الأسماء وسائر الأشياء»

هذا كلام بيّن فيه ـ صلوات الله عليه ـ فرق ما بين الكلام والأسماء وسائر الأشياء ممّا تقدّم قبله من أنّ ذكر تسمية الله ـ جلّ وعزّ ـ بالعلم كتسمية سائر أسمائه وأنّ ذلك لايوجب عليه غيراً.

وقد تقدّم بيان ذلك وما قبله من بيان أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وإيضاح ذلك بجزالة ألفاظه التي لاتخفى على من عرفها، ولايخفى ما[1] أضيف إليها من غيرها؛ إذ لايروم أحد بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم على آله ـ أن يأتي بمثل معاني ألفاظه، وجزالة كلامه إلّا من اختاره الله ـ جلّ وعزّ ـ لمقامه من صفوة ذرّيته، وإنّما قصدنا في هذا الشرح غرائب ألفاظه وما عسى أنّه يعجز عن فهمه من قصر علمه، على إقرارنا بأنّا لم نبلغ عن ذلك حقيقة ما نحا إليه وأراده، واعتراف بالعجز والتقصير عن ذلك.

[المواعظ بعد التوحيد]

وأمّا قوله في المواعظ بعد التوحيد الذي مضى ذكره: «متاع الدنيا حطام وتراثها رمام»

---

(١) في النسخ: «من»، والصحيح ما أثبتناه.

[متاع الدنيا]

فالحطام من الحطم وهو كسر الشيء اليابس كالعظام ونحوها، والحطام ما يحطم أي: يكسر من ذلك. شبّهه لقلبه وهوانه بمتاع الدنيّ، وهو ما فيها ومن الذي[1] يكتسبه البشر منها.

والتراث الميراث، وأصله وُراث فأبدلوا الواو تاء، كما قالوا تجاه وأصلها وجاه، وتخمة وأصلها وخمة. وكلّ متاع الدنيا ميراث يتوارثه قوم عن قوم بتنقّل الأملاك، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَأَوۡرَثۡنَاهَا قَوۡمًا آخَرِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَارَهُمۡ﴾[3] يعني أنّه ملك ذلك قوم عن قوم.

ويقال: رمّ العظم والحبل، وكلّما يبلى رمّة ورماماً إذا بلي فصار رميماً، شبّه أيضاً ما يملك من الدنيا بذلك وهو قليل ما ينتفع به.

وقوله: «وبلغتها أنمى وقلعتها أزكى»

يقال: في هذا الشيء بلاغ وبلاغة أي: كفاية، يقول: إنّ قدر الكفاية ـ وهو ما يكتفى به من الدنيا ـ أنمى وهو من النموّ، يقال: نما الشيء إذا كثر، وهو أنمى من غيره إذا كان أكثر نموّاً أي زيادة وكثرة ـ، يقول: القليل الذي يكفي من الدنيا هو أكثر زيادة في الخيرات فيها من الكثير الذي يبطر من كان له.

والقلعة بمعنى الترك، يقال من ذلك للأمير المعزول مقلوع، وقد قلع قَلعةً

---

(١) قوله: (شبّهه لقلبه وهوانه بمتاع الدني، وهو ما فيها ومن الذي) لم يرد في «أ».

(٢) سورة الدخان: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٧.

وقِلعة ـ بفتح القاف وكسرها ـ وأقلع الرجل عن الأمر إقلاعاً إذا تركه.

يقول: ترك الدنيا أزكى ـ من الزكاء[1] ممدود، وكلّ شيء يزداد وينمو فهو يزكو[2] أزكى من غيره أي: أكثر نموّاً وزيادة ـ وذلك بمعنى ما قبله من قوله: «وبلغتها أنمى».

وقد يجوز أن يكون المراد بذلك التزكية من الزكاة، والزكاة الصلاح، يقال من ذلك: رجلٌ زكيٌّ نقيٌّ، وفلان أزكى من فلان أي: أصلح منه، وهذا الأمر أزكى من غيره أي: أصلح منه.

وقوله: «حكم بالفاقة على مكثريها»

الفاقة الفقر، يعني أنّ المكثر من الدنيا إذا لم يقنع بالقليل منها كان فقيراً إلى ما يريد أن يزداده، ومن ذلك قول بعض الحكماء[3]: «مَن عدِم القنوع لم يزده المال إلّا فقراً»، قال أبو الحسن التمامي[4]:

نَزدَادُ فَقراً كُلَّمَا زَادَدنَا غِنَىً ... فَالفَقرُ كُلُّ الفَقرِ فِي الإِكثَارِ[5]

---

(١) في «ب» زيادة قوله: (وهو أزكاء).

(٢) في «ب» زيادة قوله: (أزكاء، وهو).

(٣) نقل عن بعض العارفين. البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية ٢: ٣٤٢، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤: ٤٢٠.

(٤) علي بن محمّد بن نهد التهامي، أبو الحسن شاعر مشهور، من أهل تهامة بين الحجاز واليمن، وله ديوان شعر، توفي سنة ٤١٦هـ تاريخ بغداد ١٩: ٣٧، تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٢٢٠، الوافي بالوفيات ٢٢: ١١٦، الأعلام ٤: ٣٢٧.

(٥) جواهر الأدب ٢: ٣٨٥، الكشكول للبهائي ٢: ٢٠٦، ديوان علي بن محمد التهامي ١: ٢٨٣.

وقوله: «من راقه رواءُها»

راقه أعجبه، والروق الإعجاب، تقول: راقني هذا الأمر أي: أعجبني، والرواء ممدوداً حسن المنظر في البهاء والجمال، يقال من ذلك: امرأة لها رواء وسناء.

وقوله: «أعقبت ناظريه كمهاً»

قال أصحاب التفسير[١] في قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ﴾[٢] قالوا: الكمه العمى الذي يولد به الإنسان. وجاء في الشعر أنّه يكون العمى من عارض يعرض للإنسان، قال الشاعر[٣]:

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ لَمَّا ابيَضَّتَا ... فَهُوَ يَلحَى نَفسَهُ لَمَّا نَزَعَ[٤]

وهذا من معنى قول أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «من راقه رواءها أعقبت ناظريه كمهاً»؛ لأنّ ذلك في قوله لم يكن إلّا بعد نظرٍ إلى الدنيا وإن كان ذلك إنّما هو مثلٌ ضربه.

وقوله: «ومن استبشع دواها ملأت قلبه أشجاناً»

استبشع بمعنى استكره، يقال منه: رجل بشع وامرأة بشعة، وهو الكريه رائحة الفم، والمصدر منه البشع والبشاعة، والفعل منه بشع، واستفعل استبشع

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٦: ٤٢٩، معاني القرآن وإعرابه ١: ٤١٤.

(٢) سورة المائدة: ١١٠.

(٣) أبو سعد سويد بن أبي كاهل ابن حارثة بن حسل، الذبيانيّ الكناني اليشكري، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام. عدّه ابن سلام في طبقة عنترة. الأعلام ٣: ١٤٦، طبقات فحول الشعراء ١: ١٥٢، الشعر والشعراء ١: ٤١١.

(٤) انظر: العين ٣: ٣٨٣.

بمعنى استكره، والبشع ما كان كريهاً فيه مرارة كطعم الإهليلجة البشعة، وذلك يستبشع أي يستكره.

والدواء ما يتداوى به من العلّة، وأصل الدواء في اللغة[١] الشفاء. والأشجان جمع شجن، الهمّ والحزن، والأشجان الأحزان.

وقوله: «لهنّ رقيص في سويداء قلبه كرقيص الوقدة على أعراض المدرجة»

الرقيص هاهنا الاضطراب والغليان، يقال للنبيذ إذا جاش وغلا في دنّه[٢] رقص، وللسراب إذا اضطرب كذلك رقص، قال لبيد[٣] في رقص السراب:

حَتَّى إِذَا رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى   وَاجتَابَ أَردِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا[٤]

وقال حسّان بن ثابت[٥] في رقص النبيذ:

بِزُجَاجَةٍ رَقَصَت بِمَا فِي قَعرِهَا   رَقصَ القُلُوصِ بِرَاكِبٍ مُستَعجَلِ[٦]

وسويداء القلب داخله وهو سواده يقولون رميته فأصبت سواد قلبه وسويداء قلبه إذا صغّروه لا يقولون في سواد قلبه كذا.

---

(١) انظر: العين ٨: ٩٣.

(٢) الدنّ ما عظم من الرواقيد كهيئة الحبّ، العين ٨: ٩.

(٣) تقدّم ترجمته.

(٤) العين ٥: ٦٢، جمهرة أشعار العرب للقرشي: ١٣٤.

(٥) حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام مشهور بشاعر رسول الله ﷺ وهو الّذي نظم حديث الغدير، وَقال النبيّ ﷺ له: «لا تزال مؤيّدا بروح القدس ما دمت ناصرنا» وَقيّد النبيّ ﷺ دعاءه، لأنّ حسّان رجع بعده عن أمير المؤمنين ؈. الأعلام ٢: ١٧٥، الشعر والشعراء ١: ٢٩٦، معجم الصحابة ٤: ١٥٢٣، الأغاني ٤: ٣٥٢.

(٦) العين ٥: ٦٢.

والوقدة من وقود النار، يقدو، قودا، ووقدا، ووقيدا[1]، والوقود ما بدا من لهبها، وهو اسم الوقدة وهو الفعلة منه، يقال: وقدة الصيف أشدّ حرّاً.

والمدرجة ممرّ الريح، ويقال: ريح دروج للتي تؤثّر في وجه الأرض آثاراً كالدرج، قال العجاج[2]:

أَمسَى لَهَا فِي الرَّامِسَاتِ مَدرَجاً[3]

يقول: من كره ما يزعه عن باطل الدنيا ملأت الدنيا قلبه بما يبطله من ذلك أحزاناً تشتعل فيه كاشتعال النار إذا هبّت بها الريح.

وقوله: «همّ يغمره وهمّ يشعره»

يغمره يقول: يغطّيه بأسره، يقال للغريق: قد غمره الماء.

وقوله: «يشعره» من الشعار، وهو ما استشعره من اللباس تحت اللباس[4]، وهو الذي يلي الجسد، وقيل: إنّه سمّي بذلك؛ لأنه يلي شعر الجسد. أي همّ يغطّيه وهمّ يليه لما يفوته من مطالب الدنيا وتعترض عليه فيه الآفات فيها.

وقوله: «حتّى يؤخذ بكظمه وينقطع أبهراه»

الكظم مخرج النفس، يقال: أخذ بكظمه إذا أخذ بمنافسه فلم يستطع أن

---

(١) في «ب»: (يقال منه: وقدت النار نقل وقوداً ووقداً) بدلا من: (يقدو، قودا، ووقدا، ووقيدا).

(٢) العجاج الراجز، واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف، ويكنّى أبا الشعثاء، وكان يعرف بعبد الله الطويل، وولد في الجاهليّة، وقال فيها أبياتاً من رجزه، ومات في أيّام الوليد بن عبد الملك. طبقات فحول الشعراء ٢: ٧٣٨، طبقات الشعراء ١: ٢٠٠، الإصابة في تمييز الصحابة ٥: ٦٨.

(٣) انظر: جمهرة اللغة: ٢: ١٠٤٥، تهذيب اللغة ١٠: ٣٣٩.

(٤) قوله: (تحت اللباس) لم يرد في «أ».

ينفّس، ويوصف بذلك المكروب الشديد الكرب ويقال هو مكظوم وكظيم أي: مكروب.

والأبهران: عرقان، قيل: هما الأكحلان، وقيل: هما عرقان تكتنفان الصلب من الجانبين[1]، وقيل: إنّهما عرقان على القلب. وجاء عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ: أنّه قال: «ما زالت أكلة خيبر تعادّني في كلّ عام فهذا أوان قطعت أبهري»[2]، يعني الأكلة التي سمّته اليهودية فيها، وقال الشاعر[3]:

وللفُؤادِ حَبِيبٌ تَحتَ أَبهَره ... لَدمَ الغُلَامِ وَرَاءَ البَيتِ بِالحَجَرِ[4]

وقال النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ: «تعادّني» من العداد[5] وهو السمّ الذي يقتل للوقت، وكذلك الشيء الذي يأتيك لوقتٍ، وأصله من العداد مثل الحمّى الغبّ والربع. قال الشاعر[6]:

تُلَاقِي مِن تَذَكُّرِ آلِ لَيلَى ... كَمَا يَلقَى السَّلِيمُ مِن العِدَادِ[7]

---

(١) العين ١: ٨٠.

(٢) انظر: العين ١: ٨٠، غريب الحديث ١: ٧٣.

(٣) هو أبو كعب تميم بن أبيّ بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية، عاش نيفا ومائة سنة، وعدّ في المخضرمين. الأعلام ٢: ٨٧، طبقات فحول الشعراء ١: ١٤٣، الشعر والشعراء ١: ٤٤٦.

(٤) العين ٤: ٤٨.

(٥) انظر: التنبيه والإشراف ١: ٢٢٤، جمهرة اللغة ١: ٣٣٢.

(٦) لم يذكر قائله في المصادر.

(٧) العين ١: ٨٠.

وقوله: «ويسلب منّته»

المنّة قوّة القلب، يقال من ذلك: فلان ضعيف المنّة وليست لقلبه منّةٌ، قال الشاعر[1]:

وَلَا تَقعُدُوا وَبِكُم مِنَّةٌ كَفَى بِالحَوادِثِ لِلمَرءِ غَولاء[2]

وقوله: «ويلقي هامّته بالفضاء»

الهامّة: الرأس، وهامّة كلّ شيء من الحيوان رأسه.

والفضاء: المكان الواسع.

وقوله: «هيّناً على الله مداه، وعلى الأبرار ملقاه»

مدى الشيء: منتهاه.

وملقى الشيء: المكان الذي يلقى فيه.

وقوله: «إذا قيل أثرى قيل أكدى»

أثرى كثر ماله، والمثري الرجل الكثير المال، وَالثراء ممدوداً عدد المال.

والكدي قطع العطاء، قال الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَأَعطَى قَلِيلاً وَأَكدَى﴾[3] وقيل: إنّ ذلك أخذ من كدية البئر وهي صلابة تكون في الأرض إذا بلغها الحافر لم

---

(١) هو بشامة بن الغدير بن عمرو بن ربيعة بن هلال بن سهم بن مرّة بن عوف من شعراء المفضليات. خال زهير بن أبي سلمي، جاهلي. طبقات فحول الشعراء ٢: ٧١٨، الأعلام ٢: ٥٣، جمهرة النسب ١: ٤٤٢، طبقات الشعراء ١: ١٩٦.

(٢) العين ٨: ٣٧٤، الأغاني ١٢: ٤٥٨.

(٣) سورة النجم: ٣٤.

يستطع حفرها فترك الحفر، فقيل لكلّ من طلب شيئاً ولم يدركه أو أعطي ثمّ قطع العطاء: أكدى،

وقيل: أكدى أعطي يسيراً. وقالت خنساء[١] في أخيها صخر:

فَتَى الفِتيَان مَا بَلَغُوا مَدَاهُ ... وَلَا يُكدِي إِذَا بَلَغَت كُدَاهَا[٢]

وقوله: «و إذا غبط بالسلامة»

من الغبطة والغبطة حسن الحال، يقال من ذلك: فلان مغتبط في غبطةٍ.

وقوله: «عبط بالندامة»

من العبطة وذلك موت الشابّ صحيحاً سليماً، يقال من ذلك: مات فلان عبطةً واعتبطه الموت. قال أميّة بن أبي الصلت[٣]:

مَن لَم يَمُت عبطَةً يَمُت هَرَمَاً ... لِلمَوتِ كَأسٌ فَالمَرءُ ذَائِقُهَا[٤]

وقوله: «ولم يأت يوم فيه يبلسون»

يبلسون ييأسون، والإبلاس اليأس، يقال: أبلس الرجل إذا يئس، وقيل: إنّ

---

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السّلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر، لقبها: خنساء. أشهر شواعر العرب، وَأشعرهن على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وَأدركت الإسلام فأسلمت. طبقات فحول الشعراء ١: ٢٠٣، الشعر والشعراء ١: ٣٣١، الأغاني ١٥: ٥٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ١٠٩.

(٢) العين ٥: ٣٩٦، تهذيب اللغة ١٠: ١٧٧، الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٨٨.

(٣) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهمّ، فكتبتها قريش. أدرك النبي ﷺ ولم يسلم حتى مات في الخامسة من الهجرة. الشعر والشعراء ١: ٤٥٠، الأغاني ٤: ٣٤٢، تاريخ مدينة دمشق ٩: ٢٥٥، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٩٣، الأعلام ٢: ٢٣.

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤: ١٨٩٠، أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين ١: ٩٩.

إبليس اشتقّ من ذلك؛ لأنه يئس من رحمة الله، وقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَخَذنَاهُم بَغتَةً فَإِذَا هُم مُبلِسُونَ﴾[١] أي: آيسون.

[ذكر بعض التوحيد عن الإمام زين العابدين عليه السلام]

ذكر بعض هذا التوحيد المتقدّم ذكره من رواية أخرى.

جاء: «أنّ نجدة الحروري وصاحبه عبد الله بن الأزرق أتيا عبد الله ابن عبّاس، فقال له نجدة: يا بن عبّاس، ما معرفتك بربّك؟ فإنّ مَن قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال ابن عبّاس: يا نجدة، إنّ من نصب نفسه للقياس، لم يزل الدهر في التباسٍ، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً[٢] في اعوجاج. اعرفه ـ جلّ ذكره ـ بما عرّف به نفسه من غير رويّة، واصفه بما وصف[٣] به نفسه من غير صورة ولا تشبيه، فالخلق إلى علمه منقادون، وعلى ما سطر في كتابه المكنون ماضون، لا يعلمون إلّا ما علّمهم، ولا يفهمون إلّا ما فهّمهم.

هو ـ جلّ ذكره ـ بعيد غير مفترق، قريبٌ غير ملتصق، يوحّد ولا يحدّ[٤]، ويحقّق ولا يمثّل، لا تزول ديموميّته، ولا يشبّه بخلقه، ولا يعرف بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، يعرف بالآيات، وينسب بالعلامات، ذلك الله الكبير المتعال.

فقال نجدة: يا بن عبّاس، أنت اليوم سيّد بني هاشم، فقال ابن عباس: معاذ

---

(١) سورة الأنعام: ٤٤.

(٢) في «ب»: (طاعيا).

(٣) قوله: (به نفسه من غير رويّة، واصفه بما وصف) لم يرد في «أ».

(٤) في «أ»: (يوجد ولا يجد).

الله، سيّد بني هاشم اليوم عليّ ابن الحسين عليه السلام، بقيّة أعقاب النبيّين وسلالة المرسلين، له الولادة والقرابة والطهارة يوم الكساء، فقال ابن الأزرق لنجدة لمّا انصرفا من عند ابن عبّاس: يا نجدة، هل لك أن نمضي إلى عليّ بن الحسين؟ فهو حدث فلعلّنا أن نستظهر عليه بحجّة. فأتياه عليه السلام، فوجداه في الحجر مع نفر من أصحابه، فقال له نجدة: يا بن الحسين، ما أوّل العبادة وسبيل المعرفة؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أراك جئت إلينا متعنّتاً.

ثمّ قال: الحمد لله، متاع الدنيا حطامٌ، وتراثها رمامٌ، وقلّتها أزكى، وبلغتها أنمى، حكم بالفاقة على مكثريها، من راقه رواءها أعقبت ناظريه كمهاً، ومن استشغف لذاذتها ملأت قلبه أشجاناً لهنّ رقيص على سويداء قلبه كرقيص الوقدة على أعراض المدرجة، همٌّ يشعره وهمّ يغمره حتّى يؤخذ بكظمه وينقطع أبهراه ويسلب منّته، ويلقى هامّته بالفضاء، هيّناً على الله مداه، وعلى الأبرار ملقاه.

إنّما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار، ويقتات منها من وجه الاضطرار، ويسمع منها بأذن المقت، إن قيل أثرى قيل أكدى، وإن قيل أعسر قيل أهذر، هذا ولمّا يأت يوم فيه يبلسون، والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ قال عليه السلام: إنّ أوّل عبادة الله ـ جلّ وعزّ ـ معرفته، وأصل معرفته توحيده ونفي الصفات عنه[1]؛ بشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف

---

(١) في «أ»: (و أصل معرفة الله توحيده ونظام توحيده ومعرفته نفي الصفات عنه) بدلا من: (وأصل معرفته توحيده ونفي الصفات عنه).

بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث.

وليس المعرفة بالله ـ جلّ جلاله ـ من ذاته، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه، ولا صدّق به من شبّهه، ولا حقيقة أصاب من مثّله، ولا صمّده من أشار إليه، ولا له تذلّل من بعّضه[1]، ولا إيّاه أراد من توهّمه.

كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول. بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته. خلق الخلق حجاباً حجب خلقه عن رؤيته، وأدوُه إيّاهم دليلهم على أن لا أداة فيه؛ بشهادة الأدوات بفاقة المأدوّين إلى جاعل الأدوات فيهم.

وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه. قد جهل الله من استوصفه، وتعدّاه من أسماه، وأخطأه من اكتنهه.

فمن قال: «كيف» فقد شبّهه، ومن قال: «لِمَ» فقد أعلّه، ومن قال: «متى» فقد وقّته، ومن قال: «فيمَ» فقد ضمّنه، ومن قال: «أين» فقد بوّاه، ومن قال: «ثَمّ» فقد نهّاه، ومن قال: «حتّامَ» فقد غاياه[2]، ومن غاياه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد ألحد فيه.

لا يتغيّر الله بتغيير الخلق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، هو أحد لا

---

(١) من قوله: (ولا إيّاه وحّد من اكتنهه) إلى هنا لم يرد في «أ».

(٢) قوله: (ومن قال تمّ فقد نهاه، ومن قال حتّامَ فقد غاياه) لم يرد في «أ».

بتأويل عدد، صمد لا بإثبات جسد، باطن لا باستتار، ظاهر لا بإسفار، دانٍ لا بملاصقة، ناي لا بمزايلة، قريب لا بمداناة، بعيد لا بمسافة، لطيف لا بتحديد، عظيم لا بتجسيد، هو موجود[1] لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بروية، مدبّر لا بحركة، مريد لا بهمّة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّه الأماكن، ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السنات، ولا تفيده الأدوات. سبق الأوقات كونه، والعدم[2] وجوده، والابتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عرف ألّا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف ألّا ضدّ له[3]، وبمقارنته بين الأمور عرف ألّا قرين له.

ضادّ النور بالظلمة، والجلاء بالبهمة، والخشونة باللين، والصرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]، فرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها ألّا غريزة لمغرّزها، دالّة بتفاوتها ألّا تفاوت في مفوّتها، مخبرة بتوقيتها ألّا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم ألّا حجاب بينه وبينها.

له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الألوهيّة إذ لا مألوه، ومعنى العالم إذ لا معلوم، وحقيقة الخالق إذ لا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع. ليس مذ

---

(١) في «ب»: (عظيم لا يتجسّد بتجسيم، موجودٌ).

(٢) في «ب»: (والقدم) بدلا من: (والعدم).

(٣) قوله: (وبمضادّته بين الأشياء عرف ألّا ضدّ له) لم يرد في «أ».

(٤) سورة الذاريات: ٤٩.

خلق الخلق استحقّ اسم الخالق، ولا بإحداثه البرايا استوجب اسم الباري. كيف ولا يغيبه «منذ»، ولا يدنيه «مذ»، ولا يدبيه، ولا يحجبه «بعد»، ولا يوقّته «متى»، ولا تشمله «هو»[1]، ولا يقارنه «مع». إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، والأشياء توجد في أمثالها، يمنعها منذ القدم، ويحميها مذ الأزل.

افترقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فأوضحت عن مباينها، تجلّى صانعها للعقول، وبها حجب خلقه عن رؤيته، وإليها حاكم الأوهام، ومنها أثبت غير، ومنها انبسط الدليل، وبها عرف الاقتران.

لا ديانة إلّا بعد معرفة، ولا معرفة إلّا بتوحيد، ولا توحيد إلّا بإقرار، ولا إقرار إلّا بإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات، لا إقرار ببعض من الإنكار، ولا ينال الإخلاص بشيء دون التوحيد.

وكلّ موجود في الخلق لا يوجد في خالقه، لا تجري عليه الحركة ولا السكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه، أو يجوز عليه شيء من أحداثه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للأزل معنى غير معنى الحدث، ولا للباري غير معنى المبرؤ. ولو وجد له وراء لوجد له أمام، ولو التمس له التمام للزمه النقصان.

كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، أم ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الأشياء، إذاً لقامت عليه آية المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه.

ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه لله

---

(١) من قوله: (ولا يدنيه مذ) إلى هنا لم يرد في «أ».

تعظيم، ولافي إبانته عن الخلق مرية، ولافيه لقدرة الله تقصير، بل هو لله تثبيت، ولقدرته تحقيق، ولامتناع الأزليّ[١] من أن يثنّى[٢]، ولما لا بدي له أن يبتدى، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾[٣] إذ الوالد موروث ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ إذ الولد محدَث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]، ولو كان له كفواً لانتقص التدبير ولما تمّ له تدبير؛ إذ الكفو هو الضدّ المنافر والشكل المحاذي، وذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥].

سبحان من ألهم العباد تمجيده، وعرّفهم توحيده، واله العقول إليه، وفطر الأوهام بذكره[٦] فوصل معرفتها بذكرها، وأحالها عن فطرها، ثمّ أبدلها بغيرها، ونبّهها لفطرها، وعمر ما بينه وبين الأوهام بذكره[٧]، ووصل خواطر القلوب بأمره، فهي والهة إلى معرفته، مشيرة إلى ذاته، لا بتحديد منها له، ولا إحاطة بكيفيّته، بل استدلالاً بآياته عليه واتّصالاً بها إليه، موسومة بآيات قدرته، مسترقّة في ذلّ صنعته، معتبرة بغيب برهانه، ناطقة شاهدة علاماته[٨]، أعدل من شهادة

---

(١) في النسخ: «الأزل»، والصحيح ما أثبتناه كما ورد في الكتب الأخر.

(٢) في «أ»: (يتناول) بدلا من: (يثنى).

(٣) سورة الإخلاص: ٣.

(٤) سورة الإخلاص: ٤.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٦) في «أ»: (عليه) بدلا من: (بذكره).

(٧) من قوله: (فوصل معرفتها بذكرها) لم يرد في «ب».

(٨) في «أ»: (موسومة مسترقة في ذل صنعته متعبدة لقدر برهانه ناطقة بشاهد علاماته) بدلا من: (موسومة بآيات قدرته، مسترقة في ذل صنعته، معتبرة بغيب برهانه، ناطقة شاهدة علاماته).

الألسن، وأبين من بواطن[١] الأعين.

ممتنعة من الأبصار رؤيته، ومن الكيفيّة ذاته، ومن الإحاطة كنهه، ومن الأشياء صفته، ومن الأوقات وجوده، ومن المشاعر حينه[٢]، ومن الأدوات الإحاطة به، وذلك قوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿لَا تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾[٣].

فسبحان من أبدع البرايا وأنشأها وأمارها وشيّأها وألّفها[٤] وأصارها، لا من شيء كان قبلها، ولا على مثال احتذاه لها، ولا شبه استمالها[٥]، ولا برويّة فكر فيها، ولا على استفادة، بل بقدرته على الأشياء وإمكان من الابتداء.

وأبدع البرايا أصنافاً وفرّعها أنواعاً، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين مجتمعاتها، مفارقاً بين أوقاتها، ملائماً بين أدواتها، كلّ لكلّ مفارق، وبعضٌ لبعض موافق، مختلفات في اتّفاقهنّ، متّفقات في اختلافهنّ، جعلهنّ ـ سبحانه ـ دلائل على ربوبيّته، وشواهد على قدرته، ونواطق عن غيبته، وعلامات لحقايقه، ومبيّنات لأزليّته، وبراهين على نفاذ مشيّته، ومعرّبات عن عظم سلطانه.

ينطقن بكونهنّ على حدثهنّ، ويخبرن بوجودهنّ عن عدمهنّ، ويعلنّ

---

(١) في «أ»: (نواظر).

(٢) في «أ»: (حسه).

(٣) سورة الأنعام: ١٠٣.

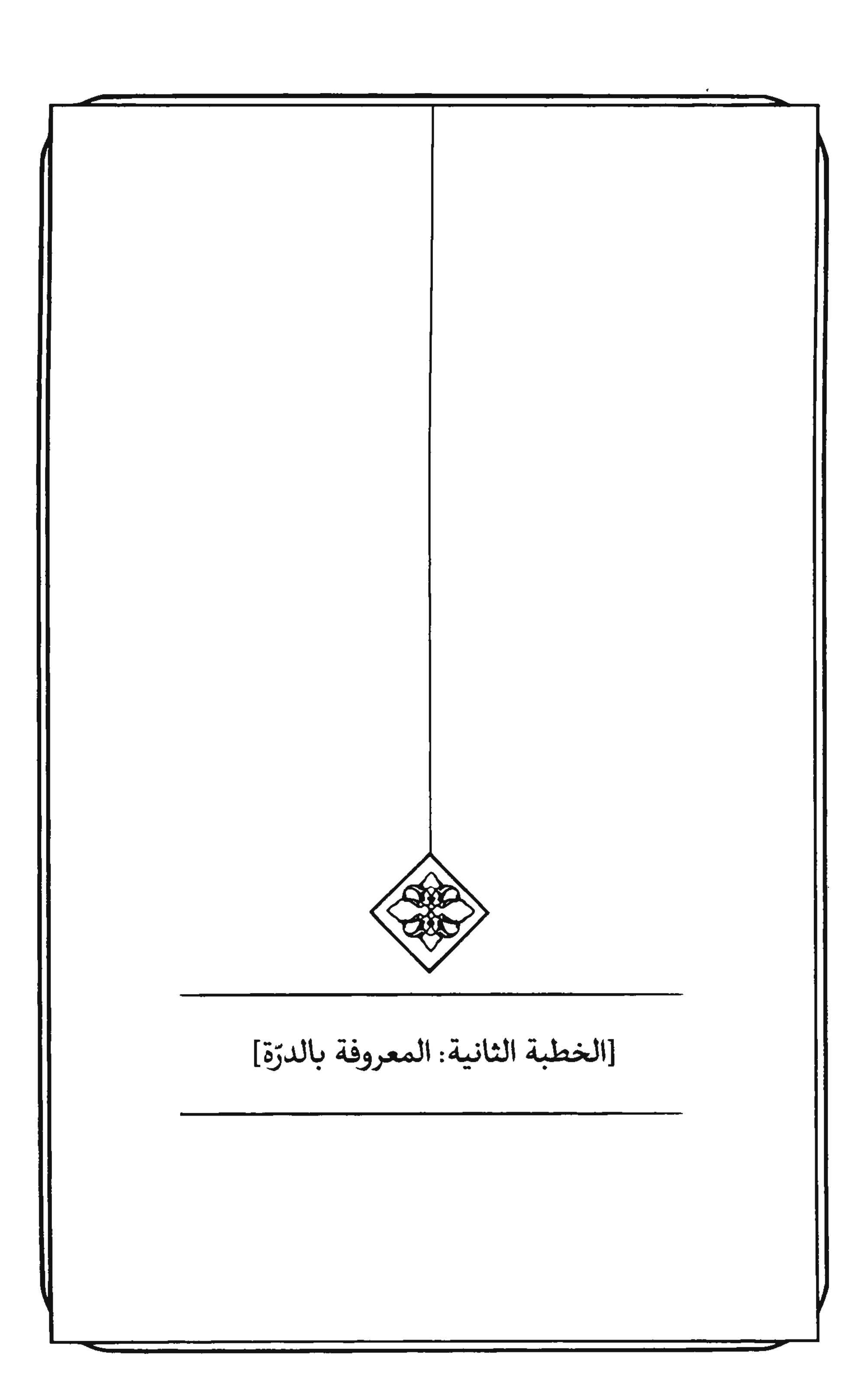
(٤) في «ب» زيادة قوله: (اجازها).

(٥) في «أ»: (ولا شبه استمالها).

بتضادّهنّ ألّا ضدّ لخالقهنّ، ويعلمن بأفولهنّ ألّا أفول لبارئهنّ، ويؤذنّ بتنقّلهنّ ألّا انتقال لصانعهنّ، وذلك قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿صُنعَ الله الَّذِي أَتقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفعَلُونَ﴾[1]».

فانصرف نجدة وابن الأزرق وقد تحيّرا وأفحما لما سمعا من عليّ بن الحسين عليه السلام، فأتيا ابن عبّاس فأخبراه الخبر، فقال ابن عبّاس: الله يعلم حيث يجعل رسالاته. فقالا: يابن عبّاس، أولستم أهل بيت يتقدّم كبيركم صغيركم؟ قال: أجل ذلك في عامّتنا، فأمّا الربّانيّون منّا فصغارهم كبار، وعليّ بن الحسين ـ صلوات الله عليه ـ منهم.

(١) سورة النمل: ٨٨.



[الخطبة الثانية: المعروفة بالدرّة]



خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ

تعرف بالدرّة اليتيميّة في التوحيد.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

«الحَمدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الأَروَاحَ وَالأَجسَامَ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ، وَالمَوتَ وَالحَيَاةَ، وَالسُّكُونَ وَالحَرَكَةَ، وَالذِّكرَ وَالنِّسيَانَ. وَأَلزَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَالَةَ الحَدَثِ؛ إِذِ القِدَمُ لَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي بِالحَيَاةِ قِوَامُهُ فَالمَوتُ يَعدِمُهُ، وَالَّذِي بِالجِسمِ ظُهُورُهُ فَالعَرَضُ يَلزَمُهُ، وَالَّذِي بِالأَدَاةِ اِجتِمَاعُهُ فَقُوَاهُ تُمسِكُهُ، وَالَّذِي يُؤَلِّفُهُ وَقتٌ يُفَرِّقُهُ وَقتٌ، وَالَّذِي سَبَقَ العَدَمَ[1] وُجُودُهُ فَالخَالِقُ إِسمُهُ، وَالَّذِي يُقِيمُهُ غَيرُهُ فَالضَّرُورَةُ تَمَسُّهُ، وَالَّذِي يَنقَسِمُ بِالأَعضَاءِ يَكتَنِفُهُ شَبَحُهُ، وَالَّذِي يَتَشَبَّثُ بِهِ الوَصفُ يَحُدُّهُ صِفَتُهُ، وَالَّذِي لَهُ الطُّولُ وَالعَرضُ فَلَهُ مَسَاحَةٌ، وَالَّذِي يَتَجَزَّأُ فَمِنَ الجِبِلَّةِ نَصِيبُهُ، وَالَّذِي يَحوِيهِ الهَوَاءُ فَفِي الهَوَاءِ حَدُّهُ، وَالَّذِي الحَدَثُ يَلحَقُهُ فَالأَزَلُ يُبَايِنُهُ، وَالَّذِي الصِّفَةُ يَحكِيهِ فَالعَجزُ يَصحَبُهُ، وَالَّذِي المِثَالُ يَقفُوهُ فَالعَقلُ يُبصِرُهُ، وَالَّذِي الوَهمُ يَظفَرُ بِهِ

(١) في «ب»: (القدم).

فَالتَّصَوُّرُ يَلحَقُهُ، وَالَّذِي الأَرجَاءُ تَكتَنِفُهُ فَالأَسبَابُ تُظهِرُهُ، وَالَّذِي يَسكُنُ جَوّاً يَغِيبُ عَنهُ جَوٌّ، وَالَّذِي لَهُ جِسمٌ لَهُ وَزنٌ، وَالَّذِي يَسكُنُ يَتحَرَّكُ، وَالَّذِي يَرتَفِقُ بِشَيءٍ لَهُ فَاقَةٌ، وَالَّذِي بِالذُّكرِ يَذكُرُ لَهُ نِسيَانٌ، وَالَّذِي بِالحُرُوفِ يَقُولُ فَمُضطَرٌّ، وَالَّذِي يَتَفَكَّرُ وَيَتَدَبَّرُ فَمَشغُولٌ، وَالَّذِي بِمُشَاوَرَةٍ يُحَدِّثُ فَنَاقِصٌ. تَبَارَكَ مِن كُلِّ مَا ذَكَرنَاهُ. خَلَقَهُ وَلَا تَعدُو صِفَةُ خَلقِهِ إِلَيهِ.

وَسُبحَانَ مَن الجِهَاتُ لَا تَضُمُّهُ، وَالسِّنَاتُ لَا تَأخُذُهُ، وَالأَوقَاتُ لَا تَتَدَاوَلُهُ، وَمَصنُوعُهُ لَا يُحَاوِلُهُ، وَالتَرجِمَةُ لَا تَحكِيهِ، وَالأَدِلَّةُ لَا تُؤَدِّيهِ، وَالإِشَارَاتُ لَا تَعنِيهِ، وَلَم تَلتَبِس بِهِ حَالٌ[1]، وَلَا نَازَعَهُ بَالٌ، وَلَا الذَّاتُ ذَيَّتَتهُ، وَلَا المَملَكَةُ مَلَكَتهُ، وَلَا الصِّفَاتُ أَوجَدَتهُ. بَل هُوَ مُوجِدٌ لِكُلِّ مَوجُودٍ، وَخَالِقٌ لِكُلِّ صِفَةٍ وَمَوصُوفٍ، وَعَارِفٍ وَمَعرُوفٍ، وَكُلِّ شَيءٍ مَشِيءٍ أَو حَالٍ مَهيَّأ.

مَن اشتَمَلَ عَلَى وَصفِهِ حَالٌ خَطَرَ مَحسُوساً عَلَى بَالٍ، وَمَن آوَاهُ مَحَلٌّ أَدرَكَهُ الأَينُ، وَمَن ضَمَّهُ جَوهَرٌ أَدَّاهُ حِينٌ، وَمَن حَاصَرَهُ أَمرٌ رَاكَضَهُ الفَوتُ، وَمَن كَانَ لَهُ جِنسٌ طَالَبَهُ كَيفٌ، وَمَن زَالَ زَاوَلَهُ[2] التَّغيِيرُ.

وَكُلُّ قَائِمٍ فِي شَيءٍ فَهُوَ بَعضُهُ، وَكُلُّ مُتَبَعِّضٍ فَهُوَ خَلقُهُ، وَكُلُّ خَلقٍ فَهُوَ فِعلُهُ[3]. فِعلُهُ مِن غَيرِ مُبَاشَرَةٍ، وَتَفهِيمُهُ مِن غَيرِ مُلَاقَاةٍ، وَهِدَايَتُهُ مِن غَيرِ إِيمَاءٍ، وَكَلَامُهُ مِن غَيرِ اعتِقَابٍ.

---

(١) في «ب»: (حدّ).

(٢) في «ب»: (زواله).

(٣) في هامش «أ»: (في نسخة بدل: من ضياء البصائر: وكل شيء خلق فهو غيره).

وَجهُهُ حَيثُ تَوَجَّهتَ، وَقَصدُهُ حَيثُ أَمَّمتَ، وَطَرِيقُهُ حَيثُ استَقَمتَ. مِنكَ يُفهِمُكَ وَعَنكَ يُعَلِّمُكَ. ارتَبَطَ كُلَّ شَيءٍ بِضِدِّهِ، وَقَطَعَهُ حَدُّهُ. النُّطقُ لَايُبرِزُهُ، وَالمَعنَى لَايَبلُغُهُ.

لَيسَ شَيءٌ بِغَيرِهِ عَن اللهِ استَتَرَ، وَلَابِسِوَاهُ[1] عَنهُ احتَجَبَ، لَكِنَّهُ مَستُورٌ بِفِطرَتِهِ، مَحجُوبٌ بِخَلْقِهِ، جِسماً كَانَ ذَلِكَ الخَلقُ أَو عَرَضاً، سَاكِناً كَانَ أَو مُتَحَرِّكاً.

مَا تُخُيِّلَ فَالتَّشبِيهُ لَهُ مُقَارِنٌ، وَمَا تُوُهِّمَ فَالتَّنزِيهُ لَهُ مُبَايِنٌ، وَمَن كَانَ لَهُ سَبَبٌ ظَفَرَ بِهِ الطَّلَبُ. كُلُّ مَا «ذُو» مَأغُوهٌ، وَكُلُّ مَا «لَو» مَألُوهٌ، وَكُلُّ مَوهُومٍ مَوصُوفٌ. وَاللهُ فَاتَ الوَهمُ نَيلَهُ، وَجَازَ الغَايَةُ قَدرَهُ، وَالِاعتِبَارُ غَيبَهُ، وَالفِطنَةُ كُنهَهُ، وَالظَّنُّ حَقِيقَتَهُ، وَالقِيَاسُ عَظَمَتَهُ، وَالتَّشبِيهُ تَنزِيهَهُ؛ إِذ كُلُّ مَشعُورٍ بِهِ غَيرُهُ، وَكُلُّ مَفطُونٍ بِهِ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَمثُولٍ فَهُوَ خَلقُهُ، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[2].

لَايَتَضَادَدُهُ «مِن»، وَلَاتُوَافِقُهُ «عَن»، وَلَاتُلَاصِقُهُ «إِلَى»، وَلَايَصِلُهُ «فَوق»، وَلَا يَقطَعُهُ[3] «تَحت»، وَلَايُقَابِلُهُ «حَدٌّ»، وَلَايُزَاحِمُهُ «عِندَ»، وَلَايَأخُذُهُ «خَلفٌ»، وَلَا يَحُدُّهُ «أَمَامٌ»، وَلَايُظهِرهُ «قَبلٌ»، وَلَايَغِيبُهُ «بَعدٌ»، وَلَم يَجمَعهُ «كُلٌّ»، وَلَم يُوجِدهُ «كَانَ»، وَلَم يُفقِدهُ «لَيسَ»، وَلَم تَكشِفهُ عَلَانِيَةٌ، وَلَم يَستُرهُ خَفَاءٌ.

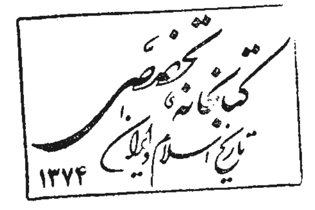
النَّعتُ لِبَاسُ غَيرِهِ لِبَاسُ مَربُوبٍ مِن خَلقِهِ، وَمَاكَانَ مِن مُلكِهِ فَفِي مُلكِهِ يَدُورُ، وَمَاكَانَ مِن خَلقِهِ فَإِلَى خَلقِهِ يَحُورُ. وَصفُهُ لَاصِفَةَ لَهُ، وَشَأنُهُ لَاحَدَّ لَهُ[4]،

(١) في «ب»: (سواه).

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) في هامش «أ»: (يقله تحت. من ضياء البصائر).

(٤) في «أ»: (وثباته لا حالة له).



وَفِعلُهُ لَاعِلَّةَ لَهُ، وَكَونُهُ لَاأَمَدَ لَهُ. لَيسَ لَهُ مِن خَلقِهِ دَرَّاكٌ، وَلَالِغَيبِهِ هَتَّاكٌ[1]. لَهُ مِن أَسمَائِهِ مَعنَاهَا، وَلِلحُرُوفِ مَجرَاهَا؛ إِذِ الحُرُوفُ مَبدُوعَةٌ، وَالأَنفَاسُ مَصنُوعَةٌ، وَالعُقُولُ مَوضُوعَةٌ، وَالأَفهَامُ مِن خَلقِهِ.

ضَمَّنَ[2] الوَقتَ غَايَتَهُ، وَالحَدَّ نِهَايَتَهُ؛ تَفرِقَةً بِهَا بَينَ خَلقِهِ، وَإِيقَاعاً لِلمَعَارِفِ بَينَهُم، وَإِبرَازاً لِتَقَدُّمِ مَن قَدَّمَتْهُ غَايَتُهُ عَمَّن أَخَّرَتْهُ عِلَّتُهُ. فَكَيفَ يَكُونُ لَهُ غَايَةٌ وَالغَايَةُ مِن صَنعَتِهِ، الصِّفَةُ عَلَى نَفسِهَا تَدُلُّ وَفِي مِثلِهَا تَحُلُّ.

لَاتُلهِيهِ الآمَالُ، وَلَاتُجذِيهِ الأَشغَالُ، وَلَايُذَمُّ بِذَمِيمٍ، وَلَايُعَابُ بِمَعِيبٍ. خَلَقَ الخَيرَوَالشَّرَّوَلَيسَ يُسقِطُهُ وَاحِدٌ مِنهُمَا؛ لِأَنَّ الَّذِي يُسقِطُهُ حَالٌ يَرفَعُهُ حَالٌ[3]، وَالَّذِي مِنَ الصِّحَّةِ عَافِيَتُهُ فَمِنَ السُّقمِ عِلَّتُهُ، وَلَايَتَعَاوَرُالأَضدَادُ إِلَّامُيِّزُوا مِثلَهَا أَضدَادٌ مَخلُوقَةٌ. تَنَزَّهَ عَن ذَلِكَ مَنِ الأَحوَالُ خَلقُهُ وَالأَقطَارُصَنعَتُهُ.

لَيسَ لَهُ مِن خَلقِهِ مِزَاجٌ، وَلَافِي فِعلِهِ بِهِم مِن عِلَاجٍ. بَايَنَهُم بِصَنعَتِهِ رَبّاًكَمَا بَايَنُوهُ بِحُدُوثِهِم خَلْقاً. وَمَن وَصَفَ فَقَد شَبَّهَ، وَمَن لَم يَصِفْ فَقَد نَفَى، وَصِفَةُ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ وَلَاصِفَةَ لِسَمعِهِ. لَم يُوَحِّدْهُ مَن خَالَفَهُ، وَلَاعَرَفَهُ مَن أَنكَرَهُ، وَلَاآمَنَ بِهِ مَن جَحَدَ أَمرَهُ.

إِن قُلتَ: «مَتَى» فَقَد سَبَقَ الوَقتَ كَونُهُ، وَإِن قُلتَ: «قَبلُ» فَالقَبلُ بَعدَهُ، وَإِن قُلتَ: «كَيفَ» فَقَدِ احتَجَبَ عَنِ الوَصفِ ذَاتُهُ، وَإِن قُلتَ: «أَينَ» فَقَد تَقَدَّمَ

---

(١) في «ب»: (هناك).

(٢) في هامش «أ»: (سبق. ضياء البصائر)

(٣) قوله: (وليس سقطه واحد منهما؛ لأنّ الذي يسقطه حال يرفعه حال) سقط من «أ»، وورد في الهامش من ضياء البصائر.

المـَكَانَ وُجُودُهُ، وَإِن قُلتَ: «مَا هُوَ» فَقَد بَايَنَ الأَشيَاءَ هُوَهُوَ، وَإِن قُلتَ: «مَا هُوَ هُوَ»[1] فَالهَاءُ وَالوَاوُ مِن خِلقَةِ كَلَامِهِ، صِفَتُهُ صِفَةُ استِدلَالٍ عَلَيهِ لَاوَصفُ تَكيِيفٍ لَهُ، وَإِن قُلتَ: «حَدّاً» فَالحَدُّ لِغَيرِهِ، وَإِن قُلتَ: «الهَوَاءُ يَمَسُّهُ» فَالهَوَاءُ مِن صَنعَتِهِ.

رَجَعَ مَعنَى الوَصفِ فِي الوَصفِ، وَعَمِيَ العَقلُ عَن الفَهمِ، وَالفَهمُ عَن الدَّركِ، وَالدَّركُ عَن الاِستِنبَاطِ. وَدَارَ المـُلكُ فِي المـُلكِ، وَانتَهَى المـَخلُوقُ إِلَى مِثلِهِ، وَأَسنَدَهُ الطَّلَبُ إِلَى شَكلِهِ، وَهَجَمَ بِهِ الفَحصُ عَلَى العَجزِ، وَالشَّأوُ عَلَى الفَقدِ، وَالجَهدُ عَلَى اليَأسِ، وَالبَلَاغُ عَلَى القَطعِ.

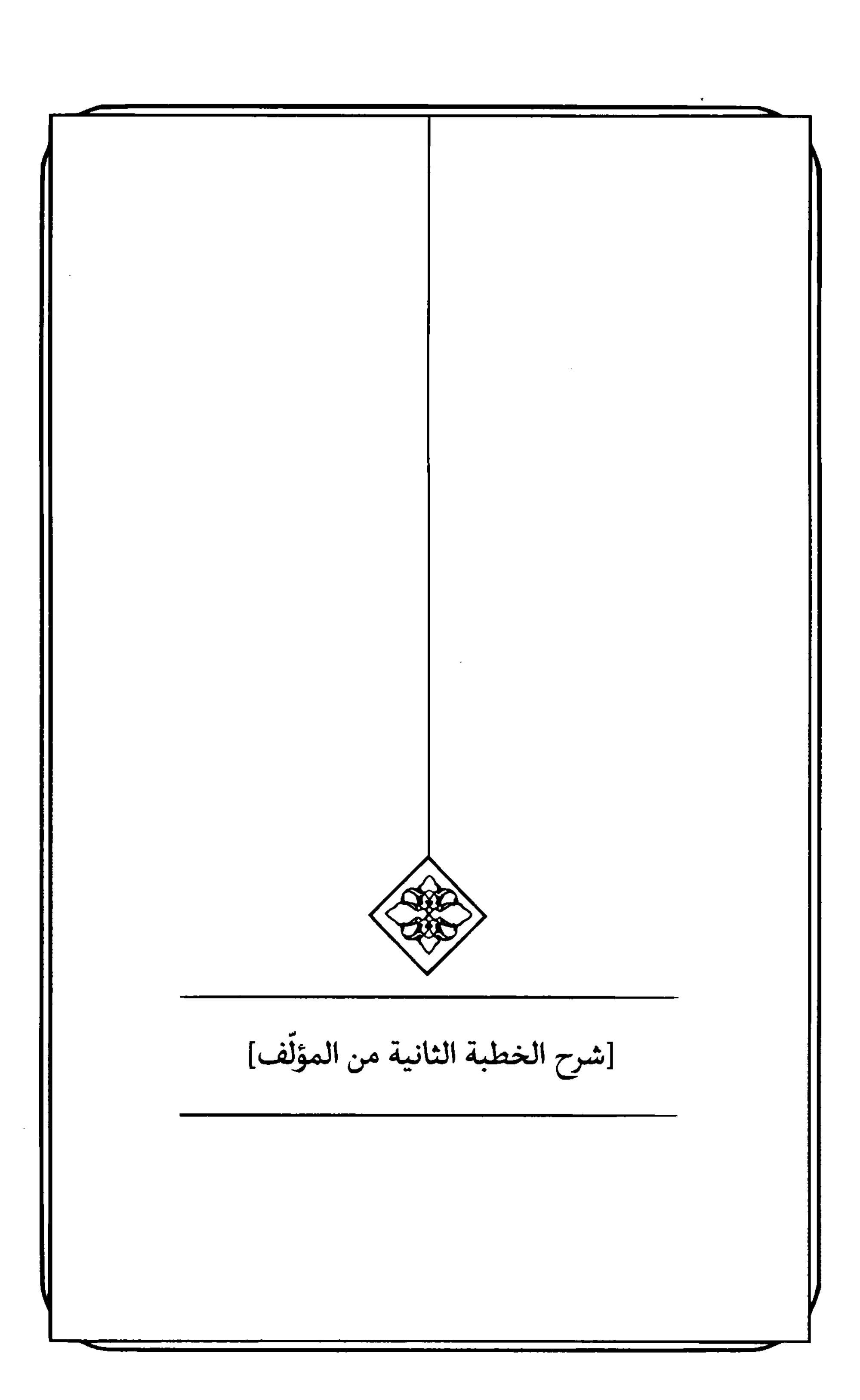
فَالسُّبُلُ مَسدُودَةٌ، وَالمـَطَالِبُ مَردُودَةٌ. دَلِيلُهُ آيَاتُهُ، وَوُجُودُهُ إِثبَاتُهُ، وَمَعرِفَتُهُ تَوحِيدُهُ، وَتَوحِيدُهُ تَمييزُهُ مِن خَلقِهِ، وَحُكمُ التَّمييزِ البَينُونَةُ، وَتَأوِيلُ البَينُونَةِ بَينُونَةُ صِفَةِ أَنَّهُ رَبٌّ وَغَيرُهُ خَلقٌ، لَابَينُونَةٌ عَزلَت مَا تُصُوِّرَ فِي الأَوهَامِ، وَمَا تُصُوِّرَ فِي الأَوهَامِ فَهُوَ خِلَافُهُ. وَلَيسَ بِرَبٍّ مَا انطَرَحَ تَحتَ البَلَاغِ، وَلَابِمَعبُودٍ مَن وُجِدَ فِي وِعَاءٍ هَوَاءٍ أَوغَيرِ هَوَاءٍ. وَلَيسَ لِـ«كَانَ» كَانَ، وَلَكِنَّهُ قَبلَ كَونِ «الكَانِ» كَانَ، وَإِنَّمَا «كَانَ» حُرُوفٌ تَتَئلِفُ وَتَفتَرِقُ. ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَيسَ لِقِدَمِهِ ابتِدَاءٌ، وَلَالِدَيمُومِيَّتِهِ انتِهَاءٌ، لَاإِلَهَ إِلَّاهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ»[2].

---

(١) قوله: (فقد باين الأشياء هوهو، وإن قلت ما هوهو) سقط من «أ»، وورد في الهامش من ضياء البصائر.

(٢) قد وردت هذه الرواية في كتاب تاج العقائد من الكتب الإسماعيليّة. انظرتاج العقائد ومعدن الفوائد: ٣٣.





[شرح الخطبة الثانية من المؤلّف]



قال القاضي النعمان ابن محمّد ـ قدّس الله روحه ـ[1] قد ذكرت في تفسير الخطبة المعروفة بالوحيدة المبتدأ بذكرها في أوّل هذا الكتاب من غريب الكلام وغامضه ما جاء بعضه في هذه الخطبة، فأسقطت شرحه هاهنا اكتفاء بما تقدّم ولئلّا يكون مكرّراً. وأنا أشرح بتأييد الله وعونه ومادّة وليّه ما جاء من مثل ذلك في هذه الخطبة المعروفة بالدرّة ما لم يتقدّم ذكره فيما قبلها إن شاء الله[2].

أمّا قوله: «الحمد لله الذي خلق الأرواح والأجسام، والسماوات والأرض، والموت والحياة، والسكون والحركة، والذكروالنسيان، وألزم كلّ ذلك حالة الحدث إذ القدم له»

هذا كلام مختصرٌ أجمل فيه ـ صلوات الله عليه ـ جملاً من التوحيد بإخباره عمّا ذكره ممّا خلقه الله ـ جلّ ذكره ـ، وأنّه ألزم كلّ ذلك الحدث وتفرّد ـ

---

(١) قوله: (قال القاضي النعمان ابن محمّد قدّس الله روحه) لم يرد في «أ».

(٢) في «أ»: (المعروفة بالدرة وأما ما لم يتقدم ذكره فيما قبلها فأنا أبينه وأشرحه إن شاء الله) بدلا من: (فأسقطت شرحه هاهنا اكتفاء بما تقدّم ولئلّا يكون مكرّراً. وأنا أشرح بتأييد الله وعونه ومادّة وليّه ما جاء من مثل ذلك في هذه الخطبة المعروفة بالدرّة ما لم يتقدّم ذكره فيما قبلها إن شاء الله).

سبحانه ـ وحده بالبقاء والقدم، فنفى عن الله ـ جلّ وعزّ ـ بهذا القول أن تلحقه الروحانيّة أو الجسمانيّة[١]، ولاأن يشبّه ولاأن يوصف بهما ولابشيء ممّا في السماوات والأرضين ولابهنّ، ولاأنّ شيئاً من ذلك يدركه أو تحيط به؛ لما تقدّم القول به في البيان قبل هذا من[٢] عجز المخلوقات عن إدراك خالقها وعن الإحاطة به ـ جلّ ذكره ـ ومن نفي صفاتها عن صفاته لا شريك له.

وكذلك لا يدركه الموت، ولايوصف بحياة الحيوان، ولابالحركة ولا بالسكون؛ لأنه ـ سبحانه ـ خالق كلّ شيء من ذلك ومحدثه ومكوّنه بعد أن لم يكن، وقد مضى القول في ذكر الحيّ وما وصف الله ـ جلّ وعزّ ـ به نفسه من ذلك في كتابه، وإبانة صفته بذلك عن صفات خلقه ـ لا شريك له ـ، وإبانة القدم الذي بان به ـ سبحانه ـ عن قدم مخلوقاته.

[القوام بالحياة]

وقوله: «لأنّ الذي بالحياة قوامه فالموت يعدمه»

قول بيَّن فيه ـ صلوات الله عليه ـ ما قدّمت ذكره من فرق ما بين الحياة المنسوبة إلى الله ـ جلّ وعزّ ـ التي وصف بها نفسه وبين حياة الخلق التي بها قوامهم.

والقِوام في اللغة[٣] ـ بكسر القاف ـ من العيش ما يقيم الحيّ المخلوق في

---

(١) في «أ»: (ولاالجسمانية).

(٢) من قوله: (ولاأن يشبّه ولاأن يوصف) إلى هنا لم يرد في «أ».

(٣) انظر: العين ٥: ٢٣١.

حياته، فبحياة الحيّ المخلوق يكون قوامه ذلك.

والقَوام ـ بفتح القاف ـ ما استقام به الشيء الذي يضاف إليه، فقَوام كلّ شيء ما استقام به.

وكلا الوجهين يدخل في هذا المعنى؛ لأنّ قِوام عيش المخلوق وقَوام أمره إنّما يكونان بحياته. ومن كانت هذه صفته فالموت ـ كما قال ﷺ ـ يعدمه، فيصير بعد الوجود عدماً.

وهذا يتنافى عن الله ـ جلّ وعزّ ـ، ويشهد بإبانة صفات خلقه عن صفاته وحياتهم عن حياته التي وصف بها نفسه في كتابه[1] وأن لا قِوام ولاقَوام له بشيء، كما يكون ذلك على ما ذكر في خلقه؛ لما جبلهم عليه من الفاقة إلى ذلك وغيره ممّا أحوج إليه خلقه، وتفرّد ـ سبحانه ـ بالغنى عن جميع الأشياء.

[الجسم]

وقوله: «والذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه»

عنى بذلك المخلوق المجسّم الذي يظهر للحواسّ المخلوقة في المخلوقين بجسمه، وإذا ظهر بذلك لزمته أعراض الواصفين والصفات من اللون وغيره ممّا يوصف به، وفي هذا القول إبطال قول المشبّهين والواصفين لله[2] ـ جلّ وعزّ ـ بالجسم، وقد ذكرت قولهم فيما مضى ـ قاتلهم الله ـ وبيّنت فساده.

---

(١) انظر: سورة البقرة: ٢٥٥، وسورة الفرقان: ٥٨.

(٢) في «أ»: (قول الواصفين المشبّهين لله).

[الأداة والقوى]

وقوله: «والذي بالأداة اجتماعه فقواه تمسكه»

قد تقدّم ذكر تفسير الأداة وأنّها من المخلوق جوارحه التي يعمل بها ويبطش بها، وهو بها يجتمع فيكون جسماً، ويتمّ بتمامها وينقص بنقصها وقواه تمسكه.

وقوى الإنسان في اللغة[1] شدّة خلقه، وقوى الحبل طاقته التي يفتل منها، واحدتها قوّة. فهذه من صفات المخلوقين التي ذكرنا أنّها تتنافى عن الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وفي هذا القول أيضاً مع ذلك فساد قول المشبّهين الذين وصفوا الله ـ جلّ وعزّ ـ بالجوارح والأعضاء، وقد ذكرت قولهم وأثبتُّ فساده فيما تقدّم قبل هذا في هذا الكتاب.

[الوقت]

وقوله: «والذي يؤلّفه وقت يفرّقه وقت»

يؤلّفه يعني يجمعه ويضمّه، وكلّ ما جمعته فقد ألّفته، والمخلوق يجمعه الوقت الذي يكون فيه، والوقت الذي يفرّقه هو الوقت الذي يموت فيه ويتلاشى ويفنى، وهذه صفة المخلوق، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تجمعه الأوقات؛ لأنه خالقها ومحدثها، وكان ولا وقت ولا مكان ولا زمان.

---

(١) انظر: العين ٥: ٢٣٦.

وقوله: «والذي سبق العدم[1] وجوده فالخالق اسمه»

يعني أزله ـ سبحانه ـ وأنّه سبق كلّ شيء وكان موجوداً بما يوجد به، وقد ذكرنا معنى الوجود قبل هذا، ووجوده ـ جلّ وعزّ ـ كان قبل أن يكون العدم الذي هو ضدّ الوجود.

وقوله: «والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسّه»

يعني بذلك المخلوق فالخالق أقامه وخلق ما أقامه به ممّا هو مضطرّ إليه ممّا جعله قواماً له سبحانه، وتفرّد لا شريك له بالقيام بذاته غير مضطرّ إلى شيء سواه ولا محتاج إليه.

[الأعضاء]

وقوله: «والذي ينقسم بالأعضاء يكتنفه شبحه»

الأعضاء جمع عضوٍ، والعضو بضمّ العين وكسرها لغتان، وهو العضم الوافر من الجسد بلحمه.

والشبح ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق، يقال: شبح لنا أي: مثل، وجمعه أشباح[2]. يقول: ما له أعضاء فله شبح يكتنف تلك الأعضاء التي هي جسمه أي: يجمعها ويحيط بها، وانقسام المخلوق بالأعضاء تجزئته بها، فيقال: له رجلان ويدان وذراعان وعضدان وفخذان وغير ذلك من أعضائه.

---

(١) في «ب»: (القدم).

(٢) في «أ»: (والشبح واحد أشباح) بدلا من: (والشبح ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق يقال: شبح لنا أي: مثل، وجمعه أشباح).

والله ـ جلّ وعزّ ـ باينٌ عن جميع صفات خلقه من ذلك وغيره.

وقوله: «والذي يتشبّث به الوصف تحدّه صفته»

يقول: ما علّق الوصف به ولزمه فصفته تحدّه، والصفة تحديد، والتحديد هو التمييز وقد تقدّم بيانه[١].

[الطول والعرض]

وقوله: «والذي له الطول والعرض فله مساحة»

والمساحة في اللغة[٢] ذرع الأرض، يقول: من كان له عرضٌ وطول يحدّ فله ذرع وقياس يعلم به ما هو، وهذه صفة المخلوق المحدود المرئيّ، والله ـ جلّ وعزّ ـ باين عن ذلك لا يرى ولا يحدّ ولا يوصف.

وفي هذا القول أيضاً ردٌّ على المشبّهة القائلين بالجسم وأنّ الله ـ جلّ وتعالى عن قولهم علوّاً كبيراً ـ عندهم جسم طوله سبعة أشبار، فأثبتوا له صفة ومساحة[٣] لعنهم الله لعناً كبيراً.

---

(١) قوله: (والتحديد هو التمييز وقد تقدّم بيانه) لم يرد في «ب».

(٢) انظر: العين ٣: ١٥٦.

(٣) أبكار الأفكار ٢: ١٢، الملل والنحل ١: ٢١٦، شرح المواقف ٨: ٣٨٧، أصول الإيمان ١: ٦٢. نسبت هذه الفرية إلى هشام بن الحكم، ولمزيد الاطلاع راجع: الشافي في الإمامة ١: ٨٣، ظاهرة الافتراء على الشيعة ١: ٧، الغدير ٣: ٢٠٤، ٣: ١٨٢.

[الأجزاء]

وقوله: «والذي يتجزّأ فمن الجبلّة نصيبه»

يتجزّأ أي: يكون له أجزاء كما يكون كذلك للمخلوق أعضاء على ما تقدّم به القول.

والجبلّة: الخلق، وكلّ أمّة مضت فهي جبلّة على حدّه، وفي القرآن: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[1]، وجبلّة المخلوق سوسه الذي طبع عليه.

يقول: من تجزّأ فهو مخلوق، وذلك نفي منه عن الله ـ عزّ وجلّ ـ ما وصفه به المشبّهون من الأجزاء والأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «والذي تحويه الهواء ففي الهواء حدّه»

نفى عن الله ـ جلّ وعزّ ـ أن يضاف إلى مكان يحويه أي: يشتمل عليه ويحيط به؛ إذ كان كما تقدّم القول ولا مكان.

وقوله: «والذي الحدث يلحقه فالأزل يباينه»

هذه الصفة للمخلوق الذي يناله الأحداث؛ لأنه محدَث، والأزليّ الله الواحد بائن عن ذلك، والمخلوق بائن عن الأزل.

وقوله: «والذي الصفة تحكيه فالعجز يصحبه»

يقول: من كان يدرك فيوصف فهو عاجز عن الامتناع من الإدراك[2]، وهذه صفة المخلوق، والله ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن ذلك، لا تدركه الصفات؛ لامتناعه من إدراك خلقه إيّاه.

---

(١) سورة الشعراء: ١٨٤.

(٢) من قوله: (وقوله: والذي له الطول والعرض فله مساحة) إلى هنا سقط من«أ».

وقوله: «والذي المثال يقفوه»

يقول: يتبعه، يقال من ذلك للقائف: اقتفى الأثر أي: اتّبعه.

[قوله:] «فالعقل يبصره»

يقول: من اتّبعه المثال ـ أي: صحبه وكان مثلَه ـ، فالعقل يدركه بالبصر، فيحدّ كما يكون ذلك يلحق المخلوق، والله ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن الأمثلة والأشباه.

[الوهم]

وقوله: «والذي الوهم يظفر به فالتصوير يلحقه»

الوهم في اللغة[1] ما ذهب إليه القلب وتصوّر فيه، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا تدركه الأوهام. وجاءَ ذلك[2] عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ. والأوهام جمع وهم؛ لأنّ ما توهّم فقد تصوّر في القلب، وذلك يتنافى عن الله ـ عزّ وجلّ ـ، ولا يجوز أن يتوهّمه متوهّم؛ لأنّ الأوهام كما قال رسول الله ـ صلّى الله عليه ـ لا تدركه، فما لا يدركه الوهم لم يجز[3] توهّمه، ومن توهّمه فقد أثبته صورة على ما توهّم.

---

(١) انظر: العين ٤: ١٠٠.

(٢) الكافي ١: ٨١/ ٥، باب حدوث العالم وإثبات المحدث. ١: ٨٢/ ١، باب إطلاق القول بأنه شيء. ١: ٩٩/ ١٠، في قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. التوحيد للصدوق ١: ١٠٦/ ٦، باب أنه تبارك وتعالى شيء. الاحتجاج ٢: ٣٣٢. ولكن ليس منقولا عن النبي ﷺ في مصادرنا، وقال الزمخشري: (في الحديث: «لا تُدركه الأوهام»). أساس البلاغة ١: ٦٩١.

(٣) في «أ»: (فلا يجوز).

[الأرجاء والاكتناف]

وقوله: «والذي الأرجاء تكتنفه فالأسباب تظهره»

الأرجاء في اللغة[١] الجوانب، ونواحي كلّ شيء أرجاؤه، واحدها رجى مقصور، والجمع أرجاء ممدود، والرجى مقصور الناحية والجانب، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَالمَلَكُ عَلَى أَرجَائِهَا﴾[٢]، قال أصحاب التفسير[٣]: «يعني على جوانبها».

والاكتناف للشيء الإحاطة به، وكلّ شيء جعلت حوله ما يحيط به ويحفظه فقد كنفه، وهو مكنوف ومكتنف[٤] وما أحاط به يكتنفه، فما كان على هذه الصفة من المخلوقات فأسباب الأشياء تظهره، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تكتنفه الأرجاء، ولا تحيط به الجهات، فتظهره الأسباب، تعالى الله وتقدّس عن ذلك.

[الجوّ]

وقوله: «والذي يسكن جوّاً يغيب عنه جوّ»

الجوّ في اللغة[٥] الهواء، وكلّ ناحية منه جوّ، فما كان من الخلق في ناحية منه غابت عنه الناحية الأخرى، والله ـ جلّ وعزّ ـ لا تحويه النواحي، ولا تكتنفه الأحوال؛ لأنه خالق ذلك وخالق كلّ شيء وبديعه، وكان ولم يكن شيء معه ولا قبله لا شريك له.

---

(١) انظر: العين ٦: ١٧٦.

(٢) سورة الحاقّة: ١٧.

(٣) انظر: غريب القرآن ١: ٤١٣، مجاز القرآن ٢: ٢٦٨.

(٤) قوله: (ومكتنف) لم يرد في «أ».

(٥) انظر: العين ٦: ١٩٦.

وقوله: «والذي له جسم له وزنٌ»

وكلّ شيء له جسم من الخلق فلجسمه وزن يحيط به القدر[1]، والله ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن ذلك، لا يوصف بصفة الأجسام، ولا يشبّه بالأنام.

[الحركة والسكون]

وقوله: «والذي يسكن يتحرّك»

لأنّ قوله: «يسكن» مضمرة فيه الحركة من قبل ذلك السكون؛ لأنه لم يسكن إلّا بعد حركة، ولو أوقع عليه صفة السكون فقال: والذي هو ساكن كان قد وصفه بضدّ الحركة، والحراك والسكون من صفات المخلوقات، والله ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن صفات مخلوقاته، بالعلي من صفاته.

وقوله: «والذي يرتفق بشيء له فاقة»

[2]الارتفاق بالشيء في اللغة[3] الانتفاع به، فمن انتفع بشيء فهو محتاج إلى نفعه، والفاقة الحاجة، والله ـ جلّ وعزّ ـ غير محتاج إلى شيء ينتفع به، وإنّما يوصف بذلك المخلوق من دونه.

---

(١) في «ب»: (وكلّ مجسّم جسيم من الخلق فلجسمه ذلك وزن تحيط به القدر) بدلا من: (وكل شيء له جسم من الخلق فلجسمه وزن يحيط به القدر).

(٢) في «ب» زيادة قوله: (قال الشاعر تَمُوتُ مَعَ المَرءِ حَاجَاتُه ❊ وَتَبقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ).

(٣) انظر: الصحاح ٤: ١٤٨٢.

[الذكروالنسيان]

وقوله: «والذي بالذكريذكرفله نسيان»

الذكر في اللغة ضدّ النسيان وهو الحفظ، يقول: هو منّي على ذُكربمعنى أنا أحفظه وأعرفه، والذكر أيضاً ما جرى على اللسان من القول، والمخلوق إنّما يذكربلسانه ما يقدم ذكره في قلبه، وقد ينسى كثيراً، والله ـ جلّ وعزّ ـ باين عن صفات خلقه، ولا يوصف بمثل ذلك من الذكروالنسيان.

[التكلّم]

وقوله: «والذي بالحروف يقول فمضطرّ»

يعني: أنّ الإنسان المتكلّم بحروف العجم مضطرّإليها، وذلك أنّه لا يعبّر ما يريد عبارته بالقول إلّا بها، ولا يستطيع ذلك بغيرها، فهو مضطرّ محتاج مفتقر إليها، وذلك يتنافى عن الله سبحانه، فلا يوصف لذلك بقول المخلوقين، وليس بمضطرّإلى الحروف، وهو خالقها ومقدّرها والذي اضطرّالمخلوقين إليها.

وقوله: «والذي يفكّرويتدبّر فمشغول»

الفكر والتدبير من شأن المخلوق لما يغيب عنه، ولا يخفى عليه شيء سبحانه.

[المشاورة]

وقوله: «والذي بمشاورة يحدّث فناقصٌ»

تبارك من كلّ ما ذكرناه من خلقه، ولا تعدو صفة خلقه إليه، والذي يشاور

غيره فمحتاج إلى من يشاوره؛ لما يريد أن يستفيده منه ويأخذه إذا رأى أنّه قد أشكل عليه أو جهل وجه الصواب فيما شاوره فيه. والله ـ جلّ وعزّ ـ بائن عن ذلك بعلمه وقدرته[1]، لأنه لا ندّ له ولا ظهير، ولا شريك له ولا وزير.

وقوله: «وسبحان من الجهات لا تضمّه، والسنات لا تأخذه، والأوقات لا تتداوله، ومصنوعه لا يحاوله، والترجمة لا تحكيه، والأدلّة لا تؤدّيه، والإشارات لا تعنيه، لم يلتبس به حال[2]، ولا نازعه بال، ولا الذات ذيّتته، ولا المملكة ملكته، ولا الصفات أوجدته، بل هو موجد لكلّ موجود، وخالق لكلّ صفة وموصوف، وعارف ومعروف، وكلّ شيء مشيء أو حال مهيّأ»

هذا كلام أورده على ما قدّمه ﷺ قبله، وقد بيّنّا معانيه، وتقدّم تبيانها وشرح غامضها.

[دلالة الصفات على الخالق]

وقوله: «من اشتمل على وصفه حال خطر محسوساً على بال»

يقول: إنّ المخلوق الذي يشتمل على وصفه الأحوال بما فيه منها، وبتغاير صفاته يتغاير[3] أحواله يخطر بتلك الصفات محسوساً على البال؛ إذ كانت الصفات تشتمل عليه وتوضح ما فيه، وهذه إبانة المخلوق من الخالق، وإفراد الخالق ـ جلّ وعزّ ـ بالوحدة من جميع الجهات[4] وبأنّه لا تدركه الصفات، ولو

---

(١) من قوله: (الصواب فيما شاوره) إلى هنا لم يرد في «أ».

(٢) في «ب»: (حدّ).

(٣) في «أ»: (وتتغاير صفاته بتغاير).

(٤) في «أ»: (المخلوقات).

كان مدركاً بها لكان محسوساً مدركاً كالمخلوقين، تعالى الله ربّ العالمين وجلّ سبحانه عن ذلك.

وقوله: **«ومن آواه محلّ أدركه الأين، ومن ضمّه جوهر أدّاه حين، ومن حاصره أمر راكضه الفوت، ومن كان له جنس طالبه كيف، ومن زال زاوله[1] التغيير، وكلّ قائم في شيء فهو بعضه، وكلّ متبّعض فهو خلقه، وكلّ خلق فهو فعله[2]»**

هذه صفات ذكرها ﷺ من صفات المخلوقين، وأخبر أنّها دلائل على خلق الخالق ـ جلّ وعزّ ـ إيّاهم وعلى أنّه بائن عن صفاتهم، فلا يلحقه شيء منها، ولا يضاف إلى مكان يحويه، أو محلّ يؤويه، ولا إلى شيء يجنّه أو يكنّه، ولأنّ له جنساً يوصف به أو يضاف إليه، ولأنّه يزول وينتقل من مكان إلى مكان، ولأنّه قائم في شيء، ولأنّه متبعّض ولا محدود، كما وصفه بذلك العادلون به الملحدون فيه ـ تعالى عن قولهم علوّاً كبيراً ـ بل هو خالق كلّ شيء ومكوّنه والمقيت عليه والمحيط به سبحانه[3].

[الفعل والتفهيم والهداية والكلام]

وقوله: **«فعله من غير مباشرة، وتفهيمه من غير ملاقاة، وهدايته من غير إيماء، وكلامه من غير اعتقاب»**

يقول: ليس فعله ـ جلّ وعزّ ـ كفعل المخلوق ما يفعله بمباشرة منه له كما

---

(١) في «ب»: (زواله).

(٢) في هامش «أ»: (في نسخة بدل: وكل شيء خلق فهو غيره).

(٣) في «أ»: (والمقيت عليه فيه سبحانه).

يكون ذلك من المخلوق، ولكن تعليمه وتفهيمه للعباد بمادّة يمدّهم بها من عنده وجبلّة يجبلهم عليها، كما جبل الحيوان على علم منافعه ومضارّه وما يقيم حياته ويسلبها[١].

وهذا ممّا قدّمنا ذكره من أنّ أفعال الخالق لا تشبه أفعال المخلوق، وهذا كلام الخالق كذلك لا يمثّل بكلام المخلوق، وقد تقدّم بيان ذلك.

وقوله هاهنا: «وكلامه من غير اعتقاب» يقول: لا يتعقّب ما يتكلّم به كما يتعقّب المخلوق كلامه فيتدبّر ما يلفظ به منه، ويتعقّب ما يدخل عليه فيه. وهذا من بعض الشواهد لما تقدّم به القول من أنّ كلام الله ـ سبحانه ـ لا يشبه بكلام خلقه، وكذلك هدايته ـ سبحانه ـ لخلقه إنّما هي بما يمدّهم به من عنده، لا كهداية العباد بعضهم بعضاً بالإيماء والكلام والتقويم.

[التوجّه إلى الله]

وقوله: «وجهه حيث توجّهت، وقصده حيث أمّمت، وطريقه حيث استقمت»

يقول: إنّه ليس ـ كما يقول العادلون به سبحانه ـ في موضع دون موضع، وقد تقدّم ذكر بيان ذلك وأنّه ـ عزّ وجلّ ـ لا يضاف إلى مكان؛ لأنه كان ولا مكان، وهو خالق الأمكنة والمحيط بها، فحيث ما توجّهت فهو هناك بلا تمثيل ولا تحديد، ولا توهّم بأنّه شيء يقع عليه الوهم هناك، كما يتوهّم أنّ ثَمّ جسماً أو شيئاً تدركه الحواسّ، إذ الأوهام لا تبلغه والتمثيل لا يدركه والتحديد لا يناله

(١) في «ب»: (نسله).

سبحانه. وهذا من قوله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[(١)]، وقد تقدّم بيان الوجه بما ينفي الصفة عنه سبحانه.

[التفهيم والتعليم]

وقوله: «منك يفهّمك وعنك يعلّمك»

هو ما تقدّم القول به من أنّ تفهيمه وتعليمه المخلوق على خلاف ما يفهّم هو ويعلّم غيره؛ إذ لا تشبه أفعال الخالق أفعال مخلوقاته، وأنّ تفهيمه المخلوق وتعليمه إيّاه بما يمدّه به، فمنه يتّصل ذلك به، وعنه يتأدّى إليه، وهذا من تفهيم الله ـ عزّ وجلّ ـ وتعليمه العباد، وهو ما جبلهم الله عليه، واحتجّ عليهم به بالقبول عنه والقيام بما كلّفهم إيّاه.

فأمّا علم ما افترضه عليهم فإنّما يكون بإرساله الرسل[(٢)] من عنده كما يشاء سبحانه، وليس ذلك ممّا فوّض فيه إلى العباد، ولا لهم أن يتلقّوه إلّا عن الرسل عليهم السلام.

[الازدواج والتضادّ]

وقوله: «ارتبط كلّ شيء بضدّه، وقطعه حدّه»

هو أنّ كلّ شيء من دون الله ـ سبحانه ـ له ضدّ يضادّه وحدٌّ ينتهي إليه، فضدّ الشيء هو ما تقدّم القول به ممّا خالفه، وزوجه ما زاوجه؛ لقول الله ـ

---

(١) سورة البقرة: ١١٥.

(٢) في «أ» زيادة قوله: (به إليهم وهو يمد بذلك الرسل).

سبحانه ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]، ومن ذلك ما تقدّم ذكره من قوله ﷺ: «ضادّ النور بالظلمة، والجلاء بالبهمة»، وقد ذكرنا بيان الأضداد والأزواج وأنّ الخلق كلّه كذلك متضادد ومتزاوج، وتفرّد الخالق ـ سبحانه ـ بالوحدة والفردانيّة.

ومتى لفظت بشيء دون الخالق ـ سبحانه ـ كان في فحوى لفظك ازدواجه وتضادده وابتداؤه وحدّه وانقضاؤه؛ لأنك إذا قلت: هذا إنسان كان في فحوى قولك أنّه غير بهيمة، وأنّه جسم وروح، وأنّه مركّبٌ من حارّ وبارد ورطب ويابس، وأنّه لم يكن فكان بخلق الخالق إيّاه، وأنّه يموت ويفنى؛ لأنّ ذلك كلّه معلوم منه لازم له، مع غير ذلك من اللوازم له والمعلومات منه.

وإذا قلت: هذا نورٌ كان في فحوى قولك أنّه ضدّ الظلمة، أو حارٌّ كان في فحوى قولك أنّه خلاف البارد، أو رطب كان فيه أنّه غير اليابس، فهذا معنى قوله ﷺ: «ارتبط كلّ شيء بضدّه» أي: لزمه، فإذا ذكرت الباري ـ جلّ ذكره ـ لم يكن في فحوى كلامك إلّا أنّه واحد لا ابتداء له ولا انتهاء له، وذلك ممّا بان وانفرد به عن الخلق سبحانه.

وقوله: «قطعه حدّه» يعني: المخلوق إنّ له حدّاً ينتهي إليه لا يتجاوزه، فهو يقطعه عن أن يتعدّاه إلى ما سواه، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا حدّ له ولا غاية ولا نهاية، وهو على كلّ شيء قدير.

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

[النطق عن الله والمعنى في الله]

وقوله: «النطق لا يبرزه، والمعنى لا يبلغه»

يعني: الباري ـ جلّ ذكره ـ إذا قلت الله كان في فحوى قولك أنّه لا يظهر لمخلوقاته؛ لأنّ ذلك معلومٌ منه، كما أنّك إذا قلت إنسان كان في فحوى قولك أنّه ظاهرٌ مدركٌ؛ لأنّ ذلك معلوم منه، لأنّ ذلك كذلك يشاهد فيه.

وأمّا قوله: «المعنى لا يبلغه» فمعنى الشيء في اللغة[1] محنته[2] وحاله التي يصير إليها أمره، يقول: معنى كذا كذا إذا أنت تدبّرته فظهر لك معناه، وتقول: هذا قول لم يتمعّن لي إذا لم يظهر لك معناه، وهذا شيء يتمعّني على معانٍ إذا كان يخرج على وجوه إذا صرِّف ونزِّل. وهذا إنّما يجري على المخلوق، فأمّا الخالق فلا تبلغه المعاني ولا تجري عليه سبحانه.

[احتجاب الله عن الخلق]

وقوله: «ليس شيء بغيره عن الله استتر، ولا بسواه[3] عنه احتجب، لكنّه مستورٌ بفطرته، محجوب بخلقه، جسماً كان ذلك الخلق أو عرضاً، ساكناً أو متحرّكاً»

هذا قول تقدّم بيانه، وليس لله ـ عزّ وجلّ ـ كما يزعم المشبّهون حجاب ضربه بينه وبين عباده ستره عنهم كما يشاهدون مثل ذلك من أنفسهم، لكنّه فطر الخلق ـ سبحانه ـ محجوبين عنه؛ إذ لم يجعل في فطرتهم رؤيته ولا البلوغ

---

(١) انظر: العين ٢: ٢٥٣.

(٢) في «أ»: (مخه).

(٣) في «ب»: (سواه).

بشيء من حواسّهم إليه سبحانه، كما أنّهم لا يرون ولا يسمعون إلّا ما قرب منهم دون ما بعد عنهم، ولا يعرفون كثيراً ممّا هو في أنفسهم فضلاً عمّا هو في سواهم؛ لما جبلوا عليه من ذلك، وحجبوا بذاتهم عنه، فكيف بأن ينالوا خالقهم جلّ وتعالى عن أن تناله الأوهام؟!

[التخيّل والتوهّم]

وقوله: «**ما تخيّل فالشبيه له مقارن، وما توهّم فالتنزيه له مباين**»

الخيال في اللغة[1] كلّ شيء يراه كالظلّ، وكذلك خيال الإنسان في المرآة، وخياله في المنام، وصورة تمثاله، وربما مرّبك الشيء شبه الظلّ وهو خيال، وذلك أن يكون إنسان في بيت يغلق عليه بابه فيمرّ من وراء الباب عن بعد ما مرّ من شيء فيرى في حائط البيت خيال ما رءا كالظلّ، وكلّ هذه الأشياء فإنّما يتخيّل عن المخلوقات التي يقارنها التشبيه، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا يتخيّل ولا يشبهه شيء.

وقوله: «ما توهّم فالتنزيه له مباين» التوهّم ما يتمثّل ويتصوّر في القلب، وقد جاء[2] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لا تدركه الأوهام» يعني: الربّ تبارك وتعالى.

والتنزيه في اللغة[3] رفع النفس عن الشيء تكرّماً ورغبة عنه، وتسبيح الله ـ جلّ وعزّ ـ تنزيهه عمّا يقول فيه الملحدون، فما توهّم فلم ينزّه عن صفة المخلوق.

---

(١) انظر: العين ٤: ٣٠٤.

(٢) تقدّم سابقاً.

(٣) انظر: العين ٤: ١٥.

[الأسباب]

وقوله: «ومن كان له سبب ظفربه الطلب»

والسبب إلى الشيء ممّا يوصل به إليه وذلك سببه، وكذلك ما يتوسّل به إلى الإنسان من رحم أو يد أو دين. ومنه قول رسول الله ﷺ: «كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي»[١]، وقوله: «الإسلام أقوى سبب وأقرب نسب»[٢]. والأسباب التي تجري على المخلوقات، ومن علّق به السبب ظفربه الطلب، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا تناله الأسباب ولا تعلّق به.

وقوله: «كلّ ما «ذو» مأغوه، وكلّ ما «لو» مألوه، وكلّ موهوم موصوف، والله ـ عزّ وجلّ ـ فات الوهم نيله، وجاز الغاية قدره، والاعتبار غيبه، والفطنة كنهه، والظنّ حقيقته، والقياس عظمته، والتشبيه تنزيهه؛ إذ كلّ مشعور به غيره، وكلّ مفطون به سواه، وكلّ ممثول فهو خلقه، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٣]

قوله: «كلّ ما ذو» يعني كلّ ذي جوارح، وهي من أدوات المخلوقات، وقد مضى بيان ذلك. و«مأغوه» يعني من له غاية ينتهي إليها.

وقوله: «كلّ ما لو» أي: كلّ ما يلحقه لو، وقد مضى بيان ذلك، فهو «مألوه» أي: له إله. وهذه صفة المخلوق، والخالق ـ سبحانه ـ لا غاية له ولا يناله لو؛ لأنها من صفات النقص، يقال: لو كان فلان كذا لكان أحسن منه أن يكون كذا، ولو أنّ كذا كان في فلان لكان أفضل منه ممّا هو عليه.

---

(١) انظر: مصنّف عبد الرزّاق الصنعاني ٦: ١٦٣، مجاز القرآن ٢: ١٧٨.

(٢) انظر: مجاز القرآن ٢: ١٧٨

(٣) سورة الشورى: ١١.

وقد مضى شرح الاعتبار وهو هاهنا بمعنى الفحص عن الشيء.

وقوله: «لا يضادده «من»، ولا يوافقه «عن»، ولا يلاصقه «إلى»، ولا يصله «فوق»، ولا يقطعه[1] «تحت»، ولا يقابله «حدّ»، ولا يزاحمه «عند»، ولا يأخذه «خلف»، ولا يحدّه «أمام»، ولا يظهره «قبل»، ولا يغيبه «بعد»، ولم يجمعه «كلّ»، ولم يوجده «كان»، ولم يفقده «ليس»، ولم تكشفه علانيّة ولم يستره خفاء»

هذا فصل أخبر عليه السلام فيه عن نفي التحديد والتجسيم والحلول عن الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وقوله: «النعت لباس غيره لباس مربوب من خلقه، وما كان من ملكه ففي ملكه يدور، وما كان من خلقه فإلى خلقه يحور، وصفه لا صفة له، وشأنه لا حالة له، وفعله لا علّة له، وكونه لا أمد له، ليس له من خلقه درّاك، ولا الغيبه هتاك[2]»

يقول: ما ملكه فليس يخرج عن ملكه كما تخرج أملاك المخلوقين عن بعضهم إلى بعض.

وقوله: «يحور» يعني يرجع.

وقوله: «له من أسمائه معناها، وللحروف مجراها؛ إذ الحروف مبدوعة، والأنفاس مصنوعة، والعقول موضوعة، والأفهام من خلقه»

يقول: له معاني أسمائه التي تسمّى به سبحانه، فأمّا ما لفظ به بالحروف فذلك مخلوق مصنوع لا يقع عليه ولا يضاف إليه سبحانه؛ إذ هو فعل المخلوق بأدواته.

---

(١) في «أ»: (ولا يقله).

(٢) في «ب»: (هناك).

وقوله: «ضمّن[1] الوقت غايته، والحدّ نهايته؛ تفرقة بها بين خلقه، وإيقاعاً للمعارف[2] بينهم، وابرازاً لتقدّم من قدّمته غايته عمّن أخّرته علّته، فكيف يكون له غاية والغاية من صنعته، الصفة على نفسها تدلّ وفي مثلها تحلّ. لا تلهيه الآمال، ولا تجذيه الأشغال، ولا يُذمّ بذميم، ولا يُعاب بمعيب»

يقول: إنّ الله ـ سبحانه ـ خلق الغايات للمخلوقات وتفرّد بالديموميّة وحده وبان عن الصفات سبحانه.

[الخلق]

وقوله: «خلق الخير والشرّ وليس يسقطه واحدٌ منهما؛ لأنّ الذي يسقطه حال يرفعه حال»[3]

قوله: «خلق الخير والشرّ» يقول: قدّرهما، والخلق في اللغة[4] التقدير، يقولون: خلق الأديم إذا هو قدّره[5]، قال الشاعر[6] شعراً:

وَلَأَنتَ تَفرِي مَا خَلَقتَ ... وَبَعضُ القَومِ يَخلُقُ ثُمَّ لَا يَفرِي[7]

---

(١) في هامش «أ»: (سبق. من ضياء البصائر).

(٢) في هامش «أ»: (للتفاوت معها. من ضياء البصائر).

(٣) من قوله: (وقوله خلق الخير) إلى هنا سقط من «أ».

(٤) انظر: العين ٤: ١٥١.

(٥) في «أ» زيادة قوله: (ليقطعه).

(٦) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. الشعر والشعراء ١: ١٣٧، الأعلام ٣: ٥٢، جمهرة النسب ١: ٢٨٨، طبقات فحول الشعراء ١: ٥١، الأغاني ١٠: ٤٤٣.

(٧) معاني القرآن للأخفش ٢: ٤٥٤، جمهرة اللغة ١: ٦١٩، عيار الشعر ١: ١٧٧.

يقول: أنت ما قدّرت من شيء قطعته وأمضيته، وغيرك يقدّر ولا يقطع أي: لا يمضي على ما قدّره ودبّره، وقد قال الله -عزّ وجلّ من قائل-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

[الصحّة والسقم]

وقوله: «والذي من الصحّة عافيته فمن السقم علّته، ولا يتعاور الأضداد إلّا ميّزوا مثلها أضدادٌ[2] مخلوقة، تنزّه عن ذلك مَن الأحوال خلقه، والأقطار صنعته. ليس له مِن خلقه مزاج، ولا في فعله بهم من علاج، باينهم بصنعته ربّاً كما باينوه بحدوثهم خلقاً»

نفيه عن الله -عزّ وجلّ- ما يوصف به خلقه من الصحّة والسقم وأنّ الأضداد لا تتعاوره ردٌّ لقول الملحدين فيه -سبحانه-؛ لأنهم زعموا أنّ الله -تعالى عن قولهم علوّاً كبيراً- اعتلّ بالرمد[3]، وأنّ جبريل عاده، لعن الله القائلين ذلك فقد قالوا قولاً عظيماً.

وذكر ﷺ بأنّ الله -عزّ وجلّ- لم يمازجه شيء من خلقه وأنّه بان عنهم ربّاً خالقاً وبانوا عنه مربوبين مخلوقين.

---

(١) سورة القمر: ٤٩.

(٢) في «أ»: (أضدادا).

(٣) هذا قول المشبهة اقتبسوه من اليهود. الملل والنحل ١: ١٢١، ١: ٢٥٩، الإيضاح لابن شاذان ١: ١٧، بحوث في الملل والنحل ٢: ٩٦، نهج الحق وكشف الصدق ١: ٥٦.

[توصيف الله]

وقوله: «ومن وصف فقد شبّه، ومن لم يصف فقد نفى، وصفه بأنّه سميعٌ ولا صفة لسمعه»

يقول: «من وصف» الله - عزّ وجلّ - بصفات خلقه فقد شبّهه بهم، «ومن لم يصف» يعني: لم يصف الله - جلّ ذكره - بما وصف به نفسه «فقد نفى» عنه صفاته، ثمّ بيّن ذلك بأن قال: وصفه بأنّه سميع ولا صفة لسمعه، يعني: أنّه قد وصف نفسه - سبحانه - بأنّه سميع[1]، وأخبر أنّه لا كفو له[2] والكفو المثل، وأن ليس كمثله شيء[3]. فلا ينبغي أن يوصف سمعه بما يشاهد به من سمع المخلوق بجارحة السمع التي فيه، ولا ما وصف به - عزّوجلّ - نفسه من أنّه بصير بما يبصر به المخلوق.

وكذلك سائر ما وصف به - عزّوجلّ - نفسه فلا يشبه ذلك بشيء من صفات مخلوقه؛ إذ أخبر - جلّ من مخبر - أنّه لا شيء مثله، ولأنّ هذه الصفات في المخلوقين سبيلها سبيل المجاز؛ لأنّ المخلوق لا يبصر إلّا ما انتهى إليه نظره، ولا يسمع إلّا ما قرب منه صوته، ثمّ قد يعمى فلا يرى شيئاً، ويصمّ فلا يسمع، وكذلك سبيله في جميع صفاته، ثمّ يموت فلا يبقى شيءٌ من ذلك فيه.

وصفات الله - جلّ وعزّ - بذلك صفات حقيقيّة تامّة دائمة غير صفات المخلوقين.

---

(١) انظر: سورة البقرة: ١٣٧، ١٨١، و...

(٢) سورة الإخلاص: ٤.

(٣) سورة الشورى: ١١.

ثمّ قد وجدنا هذه الصفات في المخلوقين[1]، قد تجري على غير ظاهر اللفظ بها فيقال: فلان بصير إذا كان يبصر بعينه وهو يبصر، وهذا هو المعروف في ظاهر اللفظ، ويقال: فلان بصير بالأمور وبصير بكذا أي: عالم بذلك، فيصير البصر هاهنا العلم. وكذلك يقال: هو سميع يسمع، يعنون سمعه بأذنيه، وكذلك هو ظاهر ما يعرف بهذا اللفظ، ثمّ يقال: فلان يسمع ما يؤمر به أي: يطيع، ولا يسمع أي: لا يطيع، فيصير السمع هاهنا الطاعة.

وكذلك يجري كثير من صفاته على مثل هذا، فإذا كان مثل هذا يتصرّف في صفة المخلوق فمن أين ينبغي أن يلزم الخالق ظاهر صفة المخلوق منه وحده ولا يتنزّه عمّا لا يليق به من ذلك سبحانه.

وقوله: «لم يوحّده من خالفه، ولا عرفه من أنكره، ولا آمن به من جحد أمره»

هذا بيّنٌ من القول مستغنٍ عن الشرح، وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّ من يُدين بقول قائل بما لم يأت عن الله فقد أشرك بالله، وذلك خلاف أمره وإنكاره وجحده ـ عزّ وجلّ ـ الذي جاء في هذا الفصل.

[عجز المخلوق عن الإدراك]

وقوله: «إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت قبل فالقبل بعده، وإن قلت كيف فقد احتجب عن الوصف ذاته، وإن قلت أين فقد تقدّم المكان وجوده، وإن قلت ما هو فقد باين الأشياء، هو هو، وإن قلت ما هو هو فالهاء والواو من

---

(١) قوله: (ثم قد وجدنا هذه الصفات في المخلوقين) لم يرد في «ب».

خلقه، كلامه صفته صفة استدلال عليه، لا وصف تكييف[1]، وإن قلت حدّاً فالحدّ لغيره، وإن قلت: الهواء يمسّه فالهواء من صنعته، رجع معنى الوصف في الوصف، وعمي العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وأسنده الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص على العجز، والشأو على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع»

هذا فصل بيّن فيه ـ صلّى الله عليه ـ عجز المخلوق عن إدراك الخالق. والمخلوق مع ذلك عاجز عن إدراك ما فيه من الخلق وفي غيره من المخلوقات، فكيف به أن يدرك الخالق ـ عزّ وجلّ ـ؟ فليس إلّا الإقرار بألوهيّته ووحدته، ونفي جميع صفات المخلوقات عنه، ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه، وتنزيهه عن التوهّم والتكييف والحلول والتشبيه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقوله: «وهجم به الفحص على العجز، والشأو على الفقد»

الفحص في اللغة[2] الطلب خلال كلّ شيء، يقول: فحصت عن فلان وفحصت عن أمره لأعلم كنه حاله، وفحصت عن كذا إذا استجثت عنه وكشفت عن علم خبره، والشأو الغاية، يقال: شأوت القوم إذا سبقتهم إلى الغاية، وبلغ فلان شأوه أي: غايته.

وقوله: «والسبل مسدودة، والمطالب مردودة، دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز البينونة، وتأويل

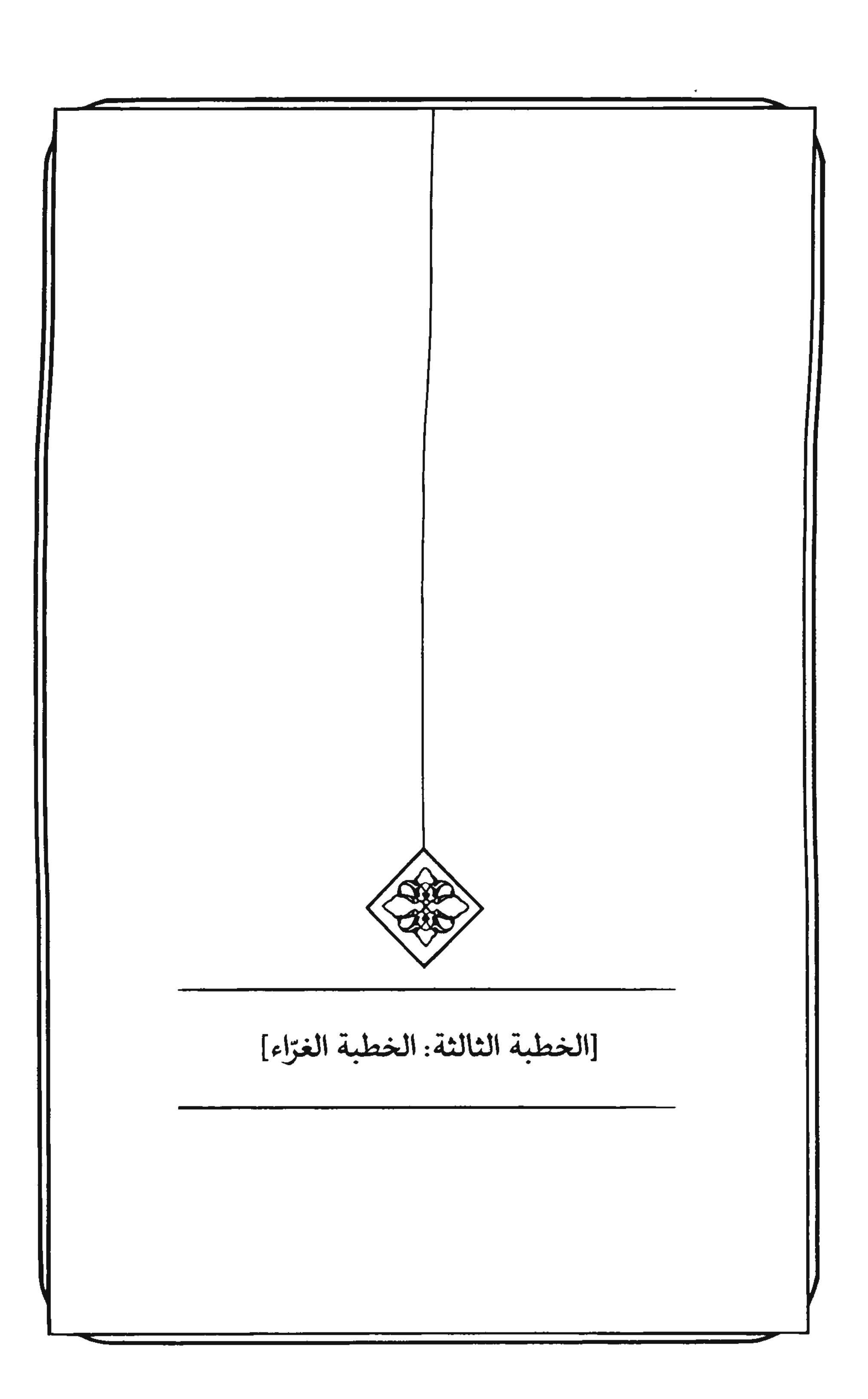
---

(١) في «ب»: (يكتنف).

(٢) انظر: العين ٣: ١٢٣.

البينونة بينونة صفة أنّه ربٌّ وغيره خلق، لا بينونة عزلة ما تصوّر في الأوهام، وما تصوّر في الأوهام فهو خلافه، وليس بربّ ما انطرح تحت البلاغ، ولا بمعبود من وجد في وعاء، هواء أو غير هواء، وليس لكان كان ولكنّه قبل كون الكان كان، و إنّما كان حروف تئتلف وتفترق، ذلك الله الذي ليس لقدمه ابتداء، ولا لديموميّته انتهاء، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم»

هذا فصل أبان فيه ـ صلوات الله عليه ـ معاني ما تقدّم من قوله بياناً أوضح ذلك بما لا مستزاد فيه، وقد تقدّم بيان كثير من ذلك، والله الموفّق والمعين للصّواب.



[الخطبة الثالثة: الخطبة الغرّاء]



وهذا خطبة لأميرالمومنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ تعرف بالغرّاء.

وروي عنه ـ صلوات الله عليه ـ أنّه كان يوماً جالساً في مسجد الكوفة إذ وقف عليه رجل، فقال: يا أميرالمؤمنين، صف لنا ربّنا لنزداد له حبّاً، فغضب ـ صلوات الله عليه ـ غضباً احمرّت له عيناه، ودوّجت له أوداجه حتّى تقطّعت أزراره، ثمّ قام مغضباً فرقى المنبر، فقال:

«الحَمدُ للهِ الَّذِي لَاتُدرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحوِيهِ المَشَاهِدُ، وَلَاتَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الَّذِي عَلَا بِكُلِّ مَكرُمَةٍ، وَبَانَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الأَفَاعِيلِ، وَبَانَ القَبِيحَةَ، وَصَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارتَفَعَ عَن ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالقِسطِ فِي خَلقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيهِم فِي حُكمِهِ، وَأَحسَنَ إِلَيهِم فِي قِسمِهِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا[1] اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ العَزِيزُ الجَبَّارُ.

ذَلِكَ اللهُ[2] الَّذِي لَم يَتَنَاهَ فِي الأَوهَامِ بِتَحدِيدٍ، وَلَم يُتَفَكَّرْ فِي الأَفكَارِ بِتَصوِيرٍ، وَلَم

---

(١) في «أ» زيادة قوله: (هو).

(٢) قوله: (الله) لم يرد في «أ».

تَنَلهُ مَقَائِيسُ المَقَادِيرِ فَتُقَدِّرَهُ مُتَكَيِّفاً فِي عُقُولِ النَّاظِرِينَ، وَلَا استَخرَجَتهُ نَتَايِجُ الأَفكَارِ فَأَوجَدَتهُ شَبَحاً مَحدُوداً وَلَا شَخصاً مَشهُوداً، وَلَا وَقَّتَهُ الأَوقَاتُ فَأَجرَت عَلَيهِ الأَزمِنَةُ[1]، وَلَا أَحَاطَتهُ الجِهَاتُ فَضَمِنَتهُ الأَمكِنَةُ، وَلَا سَبَقَتهُ حَالٌ فَيَجرِيَ عَلَيهِ الزَّوَالُ.

سُبحَانَهُ مِن عَظِيمٍ عَظُمَ أَمرُهُ، وَكَبِيرٍ كَبُرَ قَدرُهُ، لَيسَ بِذِي عِظَمٍ امتَدَّت بِهِ الغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجسِيداً، وَلَا بِذِي كِبَرٍ اتَّجَهَت بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتهُ تَجسِيماً. عَلَا عَنِ التَّجسِيدِ وَالتَّجسِيمِ وَالتَّصوِيرِ عُلُوّاً كَبِيراً رَفِيعاً. لَكِنَّهُ سُبحَانَهُ عَظِيمُ الشَّأنِ، عَزِيزُ السُّلطَانِ، المُتَوَحِّدُ بِعُلُوِّ الحَمدِ، المُتَفَرِّدُ بِرَفِيعِ المَجدِ، الَّذِي لَم تَبلُغ العُقُولُ كُنهَ صِفَتِهِ، وَلَم تَهتَدِ القُلُوبُ لِجَمِيلِ نَعتِهِ، وَكَيفَ تَبلُغُ العُقُولُ لِذَلِكَ غَايَةً أَو يَنقَضِي مِنهُ نِهَايَةً، وَالمَوصُوفُ بِذَلِكَ لَيسَ بِذِي غَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ.

شَوَاهِدُهُ بِذَلِكَ عَادِلَةٌ، وَأَحكَامُهُ فِيهِ فَاصِلَةٌ، وَقَضَايَاهُ فِي ذَلِكَ نَافِذَةٌ. قَد هَجَمَت عَلَى العُقُولِ بِجَلَالَتِهَا، وَظَهَرَت عَلَيهَا بِنُورِ حِكمَتِهَا حَتَّى جَلَتْ عَنِ المُرتَابِينَ البُهَمَ وَكَشَفَت عَنهُم الظَّلَامَ[2]. فَلَا أَحَدَ مِنَ العَالَمِينَ يَلتَفِتُ فِي أَقطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ إِلَّا وَهُوَ يَرَى دَوَاعِيَ الحَقِّ المُبِينِ لَهُ مُنَبِّهَةً، وَإِلَى مَعرِفَةِ مَن ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾ دَاعِيَةً، تَدعُوهُ إِلَى مَعرِفَةِ خَالِقٍ بَانَ عَن صِفَةِ المَخلُوقِينَ، وَجَلَّ عَن شُبَهِ المُلحِدِينَ. لَيسَ بِمُقَدَّرٍ فِي الأَفكَارِ، وَلَا بِمَرئِيٍّ فِي الأَبصَارِ، وَلَا بِمَحوِيٍّ فِي الأَقطَارِ، وَلَا بِمَحجُوبٍ بِالأَستَارِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ الجَبَّارُ.

---

(١) في «أ»: (فأخرجته الأزمنة).

(٢) في «أ»: (الظلم).

ذَلِكَ اللهُ الَّذِي قَصُرَت العُقُولُ عَن صِفَتِهِ، وَكَلَّت الأَوهَامُ عَن التَّقَصِّي لِمِدحَتِهِ، وَعَجَزَت[١] الحُكَمَاءُ عَن إدرَاكِ كَيفِيَّةِ صِفَتِهِ، فَكَيفَ بِإِدرَاكِ مَن بَانَ عَن مَعَانِي بَرِيَّتِهِ، وَجَلَّ عَن شُبَهِ خَلِيقَتِهِ.

سُبحَانَهُ مِن جَلِيلٍ جَلَّ عَن جَلِيلِ تَقدِيرِ المُتَوَهِّمِينَ، وَمِن لَطِيفٍ لَطُفَ عَن لَطِيفِ بَحثِ المُتَوَسِّمِينَ، فَلَم تَقَعْ لَطَائِفُ الأَفهَامِ مِنهُ عَلَى تَكيِيفٍ، وَلَاحَصَلَت دَقَائِقُ الأَفكَارِ مِنهُ عَلَى تَضيِيقٍ.

وَلَو تَعَلَّقَتْ صَحِيحَاتُ الأَبحَاثِ غَامِضَاتٍ فِي عَمِيقَاتِ مَهَاوِي الأَفكَارِ، وَتَجَلجَلَتْ بِمَكنُونِ لَطِيفِ النَّظَرِ فِي دَوَاجِي بِحَارِ الأَوهَامِ، ثُمَّ ارتَفَعَت مُتَصَاعِدَاتٍ إِلَى ذَرِيّ شَوَاهِقِ الضَّمَائِرِ، وَهَبَتْ مُتَعَالِيَاتٍ فِي أَهوِيَةِ الخَوَاطِرِ، لِتَهجُمَ عَلَى إِدرَاكِ كَيفِيَّةِ ذَرَّةٍ أَنشَأَهَا الجَبَّارُ فِي قِلَّتِهَا، وَدَبَّرَهَا بِلَطِيفِ التَّركِيبِ وَصَوَّرَهَا، دُونَ جَلِيلِ مَا يَرَى مِن خَلِيقَتِهِ، لَارتَطَمَتْ تَاءِهَاتٍ[٢] فِي دَوَاجِي تِلكَ البِحَارِ، وَلَاختَبَطَتْ حَائِرَاتٍ فِي غَمَرَاتِ صَيَاخِيدِ تِلكَ الجِبَالِ، غَيرُ صَائِرَةٍ فِي تِلكَ المَهَاوِي إِلَى قَرَارٍ استَقَرَّتْ عَلَيهِ، وَلَافِي ذَلِكَ العُلُوِّ إِلَى مَدَى انتَهَت إِلَيهِ، فَكَيفَ بِإِدرَاكِهِ ذِي الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، وَالأَسمَاءِ العِظَامِ، وَالعِزِّ الَّذِي لَايُرَامُ.

ذَلِكَ اللهُ القَدِيمُ الدَّائِمُ فِي قِدَمِهِ[٣] لَابِمَجَارِي الأَوقَاتِ، فَقِدَمُهُ لَهُ دَائِمٌ لَاتَلحَقُهُ فِيهِ الغَايَاتُ، البَاقِي الَّذِي لَاتَجرِي عَلَيهِ النِّهَايَاتُ، وَلَايَتَقَدَّمُهُ وَقتٌ فَيَكُونَ مَعَهُ

---

(١) في «أ» زيادة قوله: (آراء).

(٢) في «ب»: (لارطمت صحيحات نابهات) بدلاً من: (لارتطمت تاءهات).

(٣) قوله: (في قدمه) لم يرد في «أ».

مَا قَبلَهُ، وَلَم يَسبِقهُ فِي ذَلِكَ زَمَانٌ، وَلَم يَستَولِ عَلَيهِ دَهرٌ، وَلَاكَانَ فِي مَكَانٍ، بَل هُوَ القَدِيمُ[1] الدَّائِمُ الَّذِي لَيسَ لَهُ غَايَةٌ، الآخَرُ البَاقِي إِلَى غَيرِ نِهَايَةٍ، وَالظَّاهِرُ لَا مِن اجتِنَانٍ، وَالبَاطِنُ لَا بِاكتِنَانٍ، وَالعَلِيُّ لَا بِافتِرَاقٍ، وَالقَرِيبُ لَا بِالتِصَاقٍ، وَالمُحِبُّ لَا بِضَمِيرٍ، وَالمُرِيدُ لَا بِتَفكِيرٍ، وَالمُتَكَلِّمُ لَا بِآلَةٍ، وَالفَعَّالُ لَا بِحَرَكَةٍ، وَالعَالِمُ لَا بِاستِفَادَةٍ، وَالقَادِرُ عَلَى مَا يُرِيدُ بِلَا مُعِينٍ.

ذَلِكَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، العَزِيزُ الجَبَّارُ، الكَبِيرُ[2] المُتَعَالُ، الَّذِي عَلَا عَن الأَشبَاهِ وَالأَشبَاحِ وَالتَّجسِيمِ، وَالجَوَاهِرِ وَالأَعرَاضِ، وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ، فَتَقَطَّعَتْ دُونَهُ الأَبصَارُ، وَدَنَا فَشَهِدَ نَجوَى الأَسرَارِ، فَلَم يَنأَ فِي عُلُوِّهِ بِمُفَارَقَةٍ، وَلَادَنَا فِي قُربِهِ بِمُجَاوَرَةٍ، بَل عَلَا لَا بِزَوَالٍ، وَدَنَى لَا بِانتِقَالٍ.

وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا تَعتَورُهُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقصَانُ، وَلَا تَضُمُّهُ الأَمكِنَةُ، وَلَا تَشتَمِلُ عَلَيهِ الأَزمِنَةُ، وَلَا قَطَعَتْهُ الدُّهُورُ السَّالِفَةُ، وَلَا هَجَمَتْ عَلَيهِ رَوِيَّاتُ الفِكَرِ، وَلَا استَخرَجَتْهُ نَتَائِجُ البَحثِ وَالنَّظَرِ، وَلَم يَهجُمْ عَلَيهِ الاِعتِبَارُ، وَلَم يَتَمَثَّلْ لِلعِبَادِ فِي الأَوهَامِ، وَلَم تُحَرِّرهُ[3] آرَاءُ المُتَفَكِّرِينَ، وَلَم تُدرِكهُ أَبصَارُ النَّاظِرِينَ، تَعَالَى عَن ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً مَن يُمسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ أَن تَزُولَا.

ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا تَضُمُّهُ المَشَاعِرُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الَّذِي سَبَقَ الأَوقَاتَ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ، وَقَدَّرَ الأَقوَاتِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَسبَاباً لِمَعرِفَتِهِ،

---

(١) في «ب»: (القائم) بدلا من: (القديم).

(٢) في «أ»: (المتكبر).

(٣) في «أ»: (ولم تخزن).

وَدَلَائِلَ عَلَى مَن لَاشَيءَ مِثلَهُ. وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[١]، وَالَّذِي سَهَّلَ[٢] لِعِبَادِهِ سُبُلَ الإِنَابَةِ وَالتُّقَى.

ذَلِكَ اللهُ الَّذِي يَدعُو إِلَى دِينِهِ المُرِيدِينَ، وَيُجِيبُ المُضطَرِّينَ، وَيَتُوبُ عَلَى التَّوَّابِينَ، وَيَبتَدِئُ بِالإِحسَانِ إِلَى السَّائِلِينَ، وَيَتَفَضَّلُ بِنَعمَائِهِ عَلَى غَيرِ المُستَحِقِّينَ، وَهُوَ اللهُ المُحسِنُ إِلَى عِبَادِهِ فِي الدُّنيَا وَفِي الدِّينِ، وَلَاتَفقُدُ عَوَائِدُهُ، وَلَا تَنفَدُ خَزَائِنُهُ، وَلَا يَضمَحِلُّ فِيضُ فَضلِهِ، وَلَاتَنقَطِعُ مَوَادُّ عَطِيَّتِهِ.

وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ الَّذِي اقتَطَعَ كُلَّ مَكرُمَةٍ، وَبَانَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَجَلَّ عَن شِبْهِ الخَلِيقَةِ، وَلَاكُفوَ لَهُ فِي عَطِيَّتِهِ، وَلَاشِبهَ لَهُ فِي كَرَمِهِ، وَلَاسَمِيَّ لَهُ فِي جَلَالِهِ، الظَّاهِرُ عَلَى عِبَادِهِ بِعِزِّهِ، وَالبَاطِنُ لَهُم بِجَبَرُوتِهِ. فَلَا تَحجُزُهُ ظُلمَةٌ، وَلَاتَكِنُّهُ جُنَّةٌ.

يَعلَمُ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ، وَمَا أَكَنَّتهُ الصُّدُورُ، وَمَا كَانَ فِي سَوَالِفِ الدُّهُورِ. يَعلَمُ مَثَاقِيلَ الجِبَالِ، وَمَكَايِيلَ البِحَارِ، وَمَا أَظلَمَ عَلَيهِ اللَّيلُ، وَمَا أَشرَقَ عَلَيهِ النَّهَارُ، وَيَعلَمُ ﴿مَا تَغِيضُ الأَرحَامُ وَمَا تَزدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ﴾[٣] وَ﴿يَعلَمُ الجَهرَ مِنَ القَولِ وَيَعلَمُ مَا تَكتُمُونَ﴾[٤]، ﴿يَعلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُم فَاحذَرُوهُ﴾[٥]، ﴿وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعلَمُهَا وَلَاحَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلَارَطبٍ وَلَايَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٦]، يَعلَمُ مَا

---

(١) سورة الأعلى: ٢ ـ ٣.

(٢) في «أ»: (أوضح) بدلا من: (سهل).

(٣) سورة الرعد: ٨.

(٤) سورة الأنبياء: ١١٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٦) سورة الأنعام: ٥٩.

كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُن إِذَا كَانَ كَيفَ يَكُونُ.

لَا تَخفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ، وَلَا تَعزُبُ عَنهُ عَازِبَةٌ، وَلَا يُضَيَّعُ لَدَيهِ مِثقَالُ ذَرَّةٍ، أَحصَى. ذَلِكَ رَبُّنَا غَيرَ مُستَزِيدٍ وَلَا مُستَفِيدٍ، وَلَا بِرَوِيَّاتٍ أَجَالَهَا، وَلَا بِالفِكرِ وَالعِبَرِ أَدرَكَهَا سُبحَانَهُ. عِلمُهُ بِهَا قَبلَ كَونِهَا كَعِلمِهِ بِهَا بَعدَ كَونِهَا، لَم يَزدَدْ بِكَونِهَا خُبراً وَلَا أَفَادَ بِهَا عِلماً، جَلَّ عَن ذَلِكَ وَتَعَالَى مَن لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى وَالصِّفَاتُ العُليَا[١].

وَ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾ مِنَ الأَشيَاءِ سُبحَانَهُ، لَيسَ بِمَحدُودٍ فَيُحوَى، وَلَا بِمُكَيَّفٍ فَيُرَى، وَلَا بِذِي غَايَةٍ فَيَتَنَاهَى، وَلَا بِمُحدَثٍ فَينصَرِفَ، وَلَا بِمُجَزَّئٍ فَيَتَكَيَّفَ، وَلَا بِمَرئِيٍّ فَيُوصَفَ، وَلَا بِذِي حُجُبٍ فَتَحوِيَهُ سَعَتُهَا[٢]، وَلَا أَمَاكِنَ فَتُجِنَّهُ بِكَثَافَتِهَا، وَلَا حَمَلَةٍ فَتَرفَعَهُ بِقُوَّتِهَا[٣].

بَل هُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ، العَدلُ الكَرِيمُ، الَّذِي عَلَا بِالقُدرَةِ خَلقَهُ، وَأَسبَغَ عَلَيهِم رِزقَهُ، الظَّاهِرُ عَلَيهِم بِعِزَّتِهِ، البَاطِنُ فِيهِم بِجَبَرُوتِهِ، المُتَكَبِّرُ عَن ظُلمِهِم بِعَظَمَتِهِ، البَائِنُ مِن خَلقِهِ بِالسُّلطَانِ وَالتَّدبِيرِ وَالإِحسَانِ، العَوَّادُ عَلَيهِم بِزَوَائِدِ[٤] الإِمتِنَانِ، المُبدِعُ[٥] بِلَا رَوِيَّةٍ، وَالمَعرُوفُ بِلَا كَيفِيَّةٍ، وَالمُتَنَزِّهُ عَن كُلِّ دَنِيَّةٍ، البَعِيدُ مِن حَدسِ القُلُوبِ، المُتَعَالِي عَنِ الأَشبَاهِ وَالضُّرُوبِ، الوِترُ عَلَّامُ الغُيُوبِ.

فَمَعَانِي الخَلقِ عَنهُ مَنفِيَّةٌ، وَأَفَاعِيلُهُم عِندَهُ مُحصِيَّةٌ، وَسَرَائِرُهُم عَنهُ غَيرُ مَخفِيَّةٍ،

---

(١) قوله: (من له الأسماء الحسنى والصفات العليا) لم يرد في «ب».

(٢) في «أ»: (لسعتها).

(٣) في «ب»: (هواها).

(٤) في «أ»: (بمرافد).

(٥) في «أ»: (المبتدع).

لَايُدرَكُ بِالحَوَاسِّ، وَلَايُقَاسُ بِالنَّاسِ، وَلَايَخفَى عَلَيهِ عَدَدُ الأَنفَاسِ. فَالخَلقُ لَهُ دَاخِرُونَ، وَفِي مِلكِهِ مُتَقَلِّبُونَ، وَإِلى أَمرِهِ صَائِرُونَ. ابتَدَعَهُم بِلَامُشِيرٍ، وَصَوَّرَهُم بِلَاتَفكِيرٍ[1]، وَقَدَّرَأُمُورَهُم أَحسَنَ التَّقدِيرِ. وَقَّتَ الأَوقَاتَ، وَقَدَّرَالأَقوَاتَ، وَأَنبَتَ مِن الأَرضِ نَبَاتاً.

وَابتَدَأَهُم نُطَفاً ابتِدَاءً، وَأَنشَأَهُم إِنشَاءً، ثُمَّ نَقَلَهُم مِن طَبَقٍ إِلَى طَبَقٍ، فَجَعَلَهُم مُضَغاً بَعدَ العَلَقِ، ثُمَّ جَعَلَ المُضغَةَ عَظْماً، ثُمَّ كَسَا العِظَامَ لَحماً، ثُمَّ أَنشَأَهُ خَلقاً آخَرَ ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ﴾[2].

وَبَسَطَهُ[3] تَبسِيطاً، وَخَطَّهُ تَخطِيطاً، وَشَقَّ فِيهِ الشُّقُوقَ، وَخَرَقَ فِيهِ الخُرُوقَ، وَأَدمَجَ مِنهُ القَصَبَ، وَمَدَّ فِيهِ العَصَبَ، وَجَعَلَ العُرُوقَ السَّارِيَةَ كَالأَنهَارِ الجَارِيَةِ، فَبَيَّنَ القِطَعَ المُتَجَاوِرَةَ، وَأَلبَسَهُ جِلْداً، مَدَّهُ عَلَيهِ مَدّاً، ثُمَّ أَولَجَ الرُّوحَ فِي الجَسَدِ الطَّلِيحِ، فَإِذَا الجَوَارِحُ سَلِيمَةٌ، وَإِذَا القَامَةُ تَامَّةٌ، وَإِذَا هُوَبَعدَ أَن كَانَ مَوَاتاً حَيٌّ، وَبَعدَ أَن لَم يَكُن شَيئاً شَيءٌ، مُتَحَرِّكاً بَعدَ السُّكُونِ فِي رِقَّةٍ وَلِينٍ، بَينَ أَحشَاءٍ مُختَرِقَةٍ[4]، وَضُلُوعٍ مُتَّسِقَةٍ، تُقِيمُهُ بِنَفسِهَا، وَتَحمِيهِ أَدنَاسُهَا، يَتَأَتَّى لِصَالِحِ الطَّعَامِ، وَالشَّفَقَةِ[5] وَالاِهتِمَامِ، قَد عَطَفَ عَلَيهِ جَمِيعَ خَلقِهِ، وَهَيَّأَ لَهُ فِي الرَّحِمِ جَمِيعَ رِزقِهِ، فَالقُلُوبُ بِهِ رَحِيمَةٌ، وَالصُّدُورُلَهُ سَلِيمَةٌ، فِي مُستَودَعٍ مَحتُومٍ إِلى قَدَرٍمَعلُومٍ.

---

(١) في النسخ: «بلا تكفير»، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) سورة المؤمنون: ٢٣.

(٣) في «أ»: (فبسطه).

(٤) في «أ»: (محترقة).

(٥) في «أ»: (والسمعة).

ثُمَّ أَخرَجَهُ إِلَى الفَضَاءِ المَدِيدِ، عِندَ الأَجَلِ المَعدُودِ، فَإِذَا هُوَ ذُو حَوَاسٍّ خَمسٍ، لَا يُدرَكُ عِلْمُ كَيفِيَّاتِهِ بِالحَدسِ، مِن نَاظِرٍ يُفَرِّقُ بِهِ الأَلوَانَ فِي صِغَرِ الجُثَّةِ وَعِظَمِ الشَّأنِ، وَسَمْعٍ يَجِدُ بِهِ الأَصوَاتَ، وَيُفَرِّقُ بِهِ بَينَ اللُّغَاتِ، قَد اتَّصَلَ سَبَبُهُ بِمَقَرِّ الجِلدِ فِي الجَسَدِ، وَلَهَوَاتٍ فِي فَمٍ يَعرِفُ بِهَا كُلَّ مَطعَمٍ، وَأَنفٍ وَخَيشُومٍ يَجِدُ بِهِ رِيحَ كُلِّ مَشمُومٍ، وَيَدٍ يَبطِشُ بِهَا وَيُفَرِّقُ بِهَا بَينَ الخَشِنِ وَاللَّيِّنِ.

ثُمَّ أَيَّدَهُ بِلِسَانٍ نَاطِقٍ، يَشهَدُ أَن لَيسَ مِن صَنعَةِ الخَلَائِقِ، أَحوَجَهُ لِلحُرُوفِ المُصَنَّفَةِ إِلَى جَوَارِحَ مُختَلِفَةٍ، فَمَخرَجُ الحَاءِ مِن الحَلقِ، وَمَخرَجُ الجِيمِ بِضَمِّ الشَّدقِ، وَمَخرَجُ الوَاوِ بِضَمِّ الشَّفَتَينِ، وَمَخرَجُ الشِّينِ بِضَمِّ السِّنِينَ[1]، وَمَخرَجُ السِّينِ[2] بِضَمِّ الأَضرَاسِ. حِكمَةٌ أَبَانَهَا لِلنَّاسِ، أَعلَمَهُم بِهَا ضَعفَهُم وَحَاجَتَهُم إِلَى مَا إِلَيهِ أَحوَجَهُم. فَسُبحَانَ مَن أَرَاكَ العَجَبَ العَجِيبَ، فِي مُحكَمِ التَّركِيبِ.

ثُمَّ أَنَالَهُ مِن الثَّدي الرِّزقَ، وَعَطَفَ عَلَيهِ بِالرَّأفَةِ جَمِيعَ الخَلْقِ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَربِيَتِهِ إِلَى كَمَالِ قُوَّتِهِ، وَأَسبَغَ عَلَيهِ النِّعَمَ، وَوَضَعَ عَنهُ القَلَمَ، فَلَم يُشرِفهُ بِالرِّيقِ، وَلَا كَلَّفَهُ مَا لَا يُطِيقُ، وَأَنظَرَهُ[3] فِي الأَمرِ، وَمَدَّ لَهُ فِي العُمرِ، حَتَّى أَكمَلَ لَهُ العَقلَ وَالقُوَى، وَأَحسَنَ مِنهُ الخُلقَ فَسَوَّى.

ثُمَّ كَلَّفَهُ دُونَ الجُهدِ، وَوَضَعَ عَنهُ مَا دُونَ العَهدِ، وَقَد أَطلَقَهُ لِلفِكرِ، وَحَثَّهُ عَلَى النَّظَرِ، بَعدَ وَضْعِهِ لَهُ الأَدِلَّةَ، وَإِزَاحَتِهِ لَهُ كُلَّ عِلَّةٍ. ثُمَّ أَرَاهُ فِي نَفسِهِ العِبَرَ، وَنَقَلَهُ مِن

---

(١) في «أ»: (ومخرج السين بضم السن).

(٢) في «أ»: (الشين).

(٣) في «أ»: (وأبصره).

صِغَرٍ إِلَى كِبَرٍ، فَـ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ، كَلَّا بَل تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ، وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعلَمُونَ مَا تَفعَلُونَ﴾[١]»[٢].

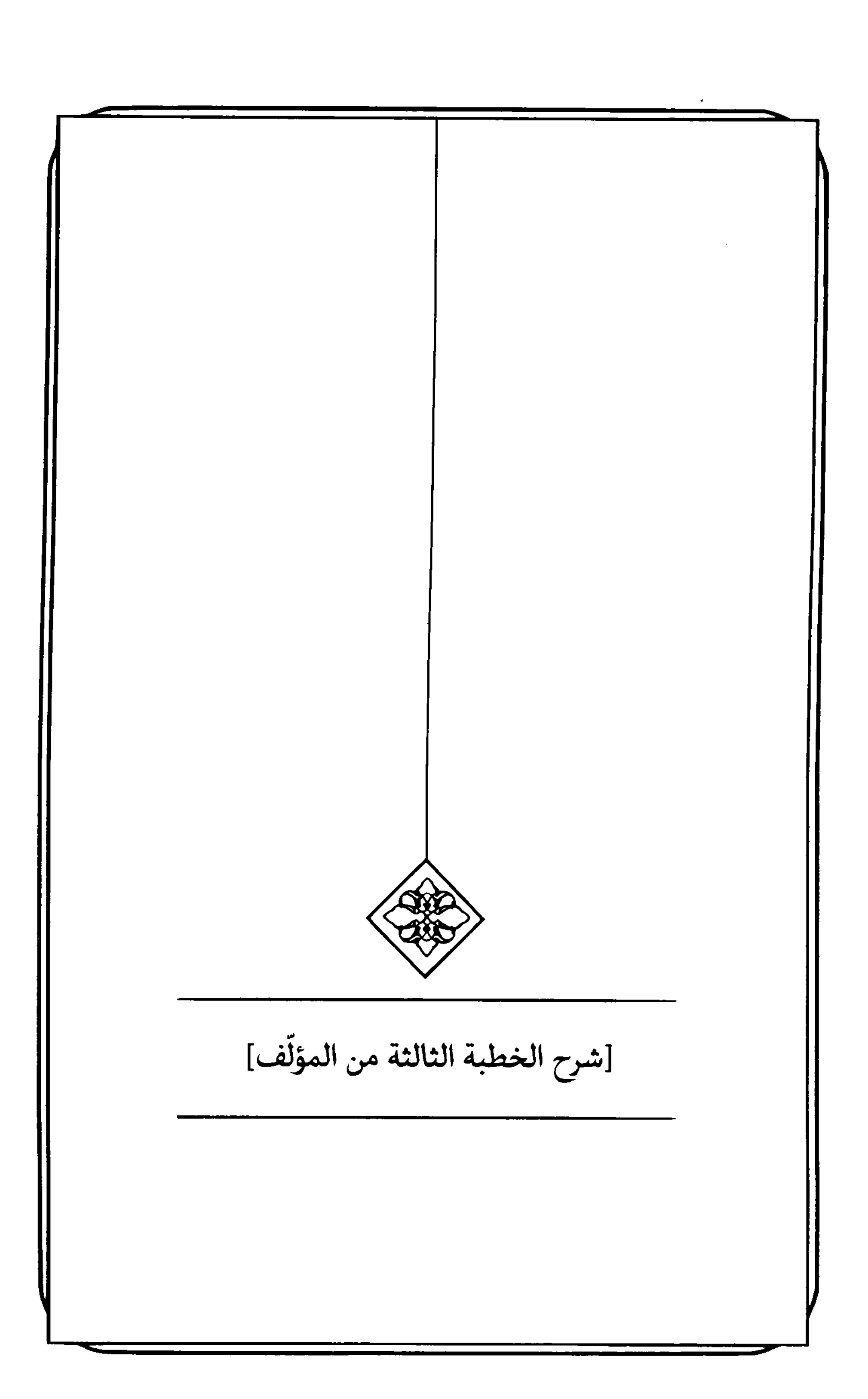
---

(١) سورة الانفطار: ٦ ـ ١٢.

(٢) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:

نهج البلاغة ٢: ١٢، وج ٢: ١١٥، وج٢: ٢٤٢ وتيسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٢٧٣، مجموع السيد حميدان: ٢٦٦، الكافي ١: ١٣٥ / ١، باب جوامع التوحيد، وج١: ١٣٩ / ٤، باب جوامع التوحيد، وج٨: ١٧٠ / ١٩٣، خطبة لأمير المؤمنين، الإقبال بالأعمال الحسنة ٢: ٢١٦، التوحيد: ٤٣ / ٣، باب التوحيد ونفي التشبيه، وص ٢٣٨ / ١، باب تفسير الأذان والإقامة، تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٣٦.





[شرح الخطبة الثالثة من المؤلّف]



الذي جاء في هذه الخطبة من توحيد الله ـ عزّ وجلّ ـ، ونفي الصفات والأشباه عنه، وما يوجب وحدته لا شريك له قد تقدّم معناه فيما أثبتناه في هذا الكتاب وبيانه. وذلك وإن اختلف اللفظ فيه فالمعنى يجمعه ومتى أعدنا بيان ذلك كان تكراراً، ولكنّا نشرح ما جاء في هذه الخطبة من غريب الكلام وما ينبغي شرحه ممّا لم يتقدّم مثله فيما قبلها إن شاء الله.

[الشواهد والمشاهد]

فمن ذلك قوله: «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد»

الشواهد هاهنا حواسّ البشر التي بها يشاهدون ما يدركونه فيعرفونه، وذلك ما لا يدرك به الباري جلّ ذكره.

والمشاهد المواضع التي يجتمع الناس فيها، ومن ذلك مشاهد الحجّ[1]، وقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ﴾[2]، يعني:

---

(١) قوله: (ومن ذلك مشاهد الحجّ) لم يرد في «أ».

(٢) سورة هود: ١٠٣.

يوم القيامة، وواحد المشاهد مشهد، وهذا ممّا تقدّم القول به من أنّ الله ـ سبحانه ـ لا تحويه الأمكنة.

وقوله: «ولا استخرجته نتايج الأفكار فأوجدته شبحاً محدوداً»

الشبح ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق، يقول: شبح لنا أي: مثّل لنا، قال النابغة[1] شعراً:

كَأَنَّمَا الرَّحلُ مِنهَا فَوقَ ذِي جُدَدٍ ... ذبّ الرِّيَادِ إِلى الأَشبَاحِ نَظَّارِ[2]

[الجليل والكبير والعظيم]

وقوله: «سبحانه من عظيم عظم أمره، وكبير كبر قدره، ليس بذي عظم امتدّت به الغايات فعظمته تجسيداً، ولا بذي كبر اتّجهت به النهايات فكبرته تجسيماً، علا عن التجسيد والتجسيم والتصوير علوّاً كبيراً رفيعاً، لكنّه ـ سبحانه ـ عظيم الشأن، عزيز السلطان، المتوحّد بعلوّ الحمد، المتفرّد برفيع المجد»

هذا قولٌ بيّن فيه ـ سلام الله عليه ـ معنى العظيم والكبير، وأنّهما من صفة الله ـ عزّ وجلّ ـ على خلافهما من صفة المخلوقين، والجليل والكبير والعظيم من صفة الله ـ عزّ وجلّ ـ التي وصف بها نفسه في كتابه[3].

وقد قال بعض القائلين بالتوحيد[4]: إنّه إنّما قيل له جليل عظيم؛ لأنه خلق

---

(١) تقدّم ترجمته.

(٢) انظر: جمهرة أشعار العرب ١: ١٩١، العين ٣: ٩٩

(٣) انظر: سورة الحجّ: ٦٢، سورة سبأ: ٢٣، سورة البقرة: ٢٥٥، و...

(٤) لم نعثر عليه.

الخلق الجليل العظيم، قالوا: فاستدلّ لنا على جلالته وعظمته بهذا الخلق الجليل العظيم، وعلّمنا أنّه أجلّ وأعظم ممّا خلق؛ لأنّ هذا الخلق وإن كان جليلاً عظيماً، فإنّ الحواسّ قد أحاطت به والمشاعر قد حوته، والخالق جلّ وتعالى أن تحيط به الحواسّ، وأن تبلغه المشاعر، أو تدركه الأوهام، أو تبلغه الخطرات، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

فعجز الخلق عن دركه، واعترفوا بالعجز عن بلوغ قدرته ودرك كيفيّته، ففزعوا إلى أسمائه، والتجؤوا إلى صفاته، وأقرّوا أنّهم لا يدركون ذاته لتعاليه عنهم، واستعانوا باسم الله، ثمّ وصفوه بالجلال والتعالي والعظمة، فقالوا: لا حول لنا إلى درك معرفته إلّا باسمه والالتجاء إليه وإلى صفاته، واسمُه الله ومن صفاته الجليلُ العليّ العظيم، فقالوا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

والجليل من الجلال، والجلال هو العظمة، فكأنّ الخلق لمّا عرفوا جلاله وعظمته، ولم يقدروا على بلوغ صفته، أقرّوا بالعجز وذلّوا بالخضوع، فقالوا: يا ذا الجلال والعظمة. والعليّ من العلوّ.

فهذا قول نحا به قائله نحو التوحيد، وأصله الذي أصّله عليه يوجب التشبيه؛ لأنه زعم أنّه إنّما قيل لله ـ عزّ وجلّ ـ جليل عظيم؛ لأنه خلق الخلق الجليل العظيم، واستدلّ على جلالته وعظمته بهذا الخلق الجليل العظيم، وعُلم أنه أجلّ منه وأعظم.

وهذا القول يوجب ظاهره القول بالجسم؛ لأنّ الخلق الجليل العظيم إنّما يوصف جلالته وعظمته بتعظيم ما يشاهد منه من أجسامه، وإذا كان ذلك ـ

كما زعم ـ هو الدليل على جلالة الله وعظمته، وأنّه أجلّ من ذلك الخلق وأعظم، فهل رجع الوصف للباري على قوله إلّا على صفة الخلق الذي استدلّ به بزعمه على صفته، عزّوجلّ عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً.

والذي بيّنه أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ من وصف الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنّه عظيم كبير كما وصف بذلك نفسه في كتابه[1]، ومن أنّ ذلك ليس ممّا يوصف به الخلق من كبر التجسيم والتجسيد وعظمتهما، فذلك وجه التوحيد ونفي الصفات عن الله عزّوجلّ.

وقد يوصف المخلوق بمثل ذلك لا يراد بصفته به تجسيمه ولا تجسيده، فيقال: فلانٌ كبير قومه وعظيمهم، ولا يراد بذلك أنّه أكبرهم جسماً ولا أعظمهم جسداً، وإنّما يراد بذلك فضله عليهم وشرفه فيهم، فإذا كان هذا ممّا يوصف به المخلوق فالخالق ـ عزّوجلّ ـ أحق بأن لا يوصف بالكبر ولا بالعظم وصف تجسيد ولا تجسيم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

[اللطف واللطيف]

وقوله: «ومن لطيف لطف عن لطيف بحث المتوسّمين، فلم تقع لطائف الأفهام منه على تكييف»

قال الله ـ عزّوجلّ ـ: ﴿الله لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ﴾[2]، ووصف نفسه

---

(١) انظر: سورة الحجّ: ٦٢، سورة سبأ: ٢٣، سورة البقرة: ٢٥٥، و...

(٢) سورة الشورى: ١٩.

باللطيف في مواضع من كتابه[1]. واللطف في اللغة[2] البرّ والتكرمة، يقال من ذلك: أمٌّ لطيفة بولدها تلطف إلطافاً، واللطف ما ألطف الرجل به أخاه من تحفةٍ ومودّةٍ ورفق في المعاملة، ويقال: فلانٌ لطيف بهذا الأمر أي: رفيق بمداراته. واللطيف أيضاً في اللغة[3] ما لطف عمّا خفي وعظم، واللطيف ما خفي عن أن يرى.

وقال بعض من يقول بالتوحيد من المتأوّلين[4] فيما وصف الله ـ عزّ وجلّ ـ به نفسه في كتابه من أنّه لطيف، قالوا: لأنّه لطف في صنعه لرأفته ورحمته، فلم يدع شيئاً من لطيف صنع إلّا خلقه بحكمته، ولم يعلم شيء من خلقه ما يحتاج إليه لنفسه، ولا قدر على صنعته، فلمّا نظر إليهم وهم محتاجون لطف بهم بأن خلق لهم كلّ ما يحتاجون إليه، ولم يكِلهم في ذلك إلى أنفسهم، بل خلق ذلك ووهبه لهم، فقيل له لطيفٌ لرفقه بهم وعلمه بما يصلحهم.

قالوا: واللطف في معنى الرفق والعلم بالشيء، يقال: فلان لطيف الكفّ أي: رفيق بعلمه عالم به حسن التأنّي له. قالوا: ويقال: لطف لفلان في هذا الأمر أي: يرفق له فيه حتّى انتهى إلى بغيته منه.

والله لطيف بالخلائق كلّهم حتّى وصلوا إلى ما يصلحهم، والله ـ عزّ وجلّ ـ

---

(١) انظر: سورة الأنعام: ١٠٣، سورة الملك: ١٤.

(٢) انظر: العين ٧: ٤٢٩.

(٣) تهذيب اللغة ١٣: ٢٣٥، لسان العرب ٩: ٣١٦.

(٤) لم نعثر على قائله.

كما وصف نفسه في كتابه[1] لطيف بعباده، وما يقتضيه معنى اللطف ممّا ذكرناه من الرفق بالعباد والإحسان اليهم فقد فعل ـ جلّ وعزّ ـ ذلك بهم، فلا يشبّه فعله بفعل المخلوقين، وذلك يدخل في قول أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «ومن لطيف».

فأمّا قوله: «لطف عن لطيف تقدير المتوسّمين فلم تقع لطائف الأفهام منه على تكييف» فمعنى «لطف» هاهنا «خفي»؛ لأنّ ما لطف عن أن تقع عليه الأفهام فهو ممّا خفي عنها. والمتوسّمين المتأمّلين، يقال: توسّمت في فلان الخير أي: تأمّلته وتبيّنته.

وقوله: **«وتجلجلت بمكنون لطيف النظر في دواجي بحار الأوهام، ثمّ ارتفعت متصاعدات إلى ذريّ شواهق الضمائر، وهبّت متعاليات في أهوية الخواطر»**

التجلجل: التحرّك والتموّج.

وقوله: «دواجي» الدواجي جمع داجٍ وهو المظلم، الدجى الظلمة، يقال: ليلة داجية أي: مظلمة.

والذريّ: الأعالي، وذريّ كلّ شيء أعلاه، والذريّ جمع ذروة.

والشواهق: جمع شاهق، والشاهق العالي.

وهبّت يقول: قامت.

وقوله: **«والظاهر لا من اجتنان، والباطن لا باكتنان»**

الاجتنان: الاستتار، يقال من ذلك: استجنّ الرجل إذا استتر بشيء، يقول: إنّ

---

(١) سورة الشورى: ١٩.

الله -عزّ وجلّ- ظاهر بآياته، ظهر بذلك لخلقه لا من استتار كان قد استتر به.

والاكتنان: الاستتار أيضاً بما يكنّ أي: يستر، والكنّ ما ستر، وجمعه أكنّة، وفي القرآن: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدعُونَا إِلَيهِ﴾[١].

يعني: إنّه بطن -عزّ وجلّ- بخلقه لا لشيء[٢] اكتنّ به، فاستتر عنهم بذلك.

[الجبّار]

وقوله: «العزيز الجبّار»

قد وصف الله -عزّ وجلّ- نفسه في كتابه[٣] بالجبّار في غير موضع منه، واختلف المتأوّلون في ذلك.

فقال بعضهم[٤]: الجبّار المتعالي. لأنه يقال في اللغة[٥]: نخلة جبّارة إذا كانت عالية لا تنال طولاً.

وقال آخرون: الجبّار القويّ. كما يقال: ناقة جبّارة وفرس جبّار لما قوي واشتدّ[٦].

وقال آخرون[٧]: الجبّار المتكبّر على الخلق المحتجب عنهم. كما يقال:

---

(١) سورة فصّلت: ٥.

(٢) في «أ»: (لخلقه لا بشيء).

(٣) سورة الحشر: ٢٣.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤: ٢٦٨،

(٥) انظر: العين ٦: ١١٧.

(٦) قوله: (وقال آخرون الجبار القوي كما يقال ناقة جبارة وفرس جبار لما قوي واشتد) لم يرد في «ب».

(٧) تهذيب اللغة ١١: ٤٢، المحيط في اللغة ٧: ٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٤٠٦.

ملك جبّارٌ إذا تكبّر على الناس واحتجب عنهم.

وقال آخرون[1]: الجبّار الله الذي جبر الخلق أي: نعشهم[2] وكفّلهم. كما يقال في الدعاء: اللهمّ اجبرني أي أنعشني، والجبّار قالوا بمعنى الفعّال.

وقال آخرون[3]: الجبّار الله الذي يجبر العباد على ما أراد من حكمه ومشيّته فلم يقدر أحد أن يخالف أمره. ويروى في بعض دعاء عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «اللهمّ جبّار القلوب على فطرتها»[4].

فالله ـ عزّ وجلّ ـ قد علا وارتفع عن أن يناله أو يدركه أحدٌ من خلقه، وملك عباده واحتجب عنهم لفطرته إيّاهم عنه محجوبين، وأنعش عباده، وجبرهم على ما حكم به فيهم وقدّره عليهم من الموت والحياة والنوائب الّتي تنوبهم، ولم يجبرهم على طاعة ولا على معصية. وفعل كلّ ذلك بهم بلا تحديد له في ذلك، ولا تمثيل بأحد من خلقه، ولا تشبيه لما يكون منه بما يكون منهم، تعالى عن التمثيل والتشبيه علوّاً كبيراً.

وقوله: «لا تعتوره الزيادة والنقصان»

يقول: لا يناله هذا مرّة وهذا مرّة، وذلك من التعاور، يقال منه: تعاور القوم فلاناً ضرباً أي: كلّما ضربه هذا فتركه جاء آخر فضربه، وتعاورت الريح المكانَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣: ٣٠٤، إعراب القرآن للنحاس ٤: ٢٦٨.

(٢) نَعَشه الله فانتعش إذا سدّ فقره. العين ١: ٢٥٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٣: ٣٤، معاني القرآن للزجاج ٥: ١٥١،

(٤) انظر: مصنّف ابن أبي شيبة ٦: ٦٦ / ٢٩٥٢٠، ما جاء عن عليّ عليه السلام، غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٤٣.

إذا اختلفت عليه كلّما مضت ريح جائت أخرى. قال الأعشى[١]:

دَمنَــةُ قَفــرَةٍ تُعَاوِرُهَــا الصَّــيفُ   بِــرِيحَينِ مِــن صَــبا وَشِــمَالِ[٢]

وقوله: «لا تشتمل عليه الأحلية»

الأحليـة جمـع حليـة، وهـي الصـفة، يقـول: هـو ـ سـبحانه ـ لا يحلّـى أي: لا يوصف.

وقوله: «يعلم ﴿مَا تَغِيضُ الأَرحَامُ﴾»

أي: تنقص.

وقوله: «ولاالأماكن تجنّه بكثافتها»

الكثافة الكثرة والثخانة والالتفاف.

وقوله: «وأسبغ عليهم رزقه»

السابغ التامّ، يقال: درع سابغة للتامّة[٣].

وقوله: «ابتعد من حدس القلوب»

الحدس التوهّم والظنّ.

---

(١) في هامش «ب»: (في نسخة بدل: قالت الخنساء الشاعر:

جَــارَ[ى] أَبَــاهُ فَــأَقبَلَا وَهُمَــا   يَتَعَــاوَرَانِ مَــلَاءَةَ الحَضَــرِ

أولَــى فَــأَولَى أن تُسَــاوِيَهُ   لَــولَا جَــلَالُ السِّــنِ وَالكِبَــرِ)

انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣: ٣٦٣، زهرة الآداب ٤: ٩٩٦.

(٢) انظر: العين ٢: ٢٣٩، جمهرة أشعار العرب ١: ٢٠٢.

(٣) قوله: (يقال: درع سابغة للتامّة) لم يرد في «أ».

وقوله: «الوتر»

الوتر الواحد الفرد.

وقوله: «فالخلق له داخرون»

والداخرون جمع داخرٍ، والداخر الصاغر، يقال منه: دخر يدخر دخوراً أي: صغر يصغر صغاراً، وهو الذي يفعل ما أُمر به كُرهاً على صغرٍ ودخورٍ، كما قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَهُم دَاخِرُونَ﴾[1].

وقوله: «ثمّ نقلهم من طبق إلى طبق»

يقول: من حال إلى حال، وفي القرآن: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾[2]، قال المفسّرون[3]: «حالا بعد حال»، وقال الشاعر[4]:

كَذَلِكَ المرءُ أن يَنسَى لَهُ أَجَلٌ ... يُركَبُ بِهِ طَبَقاً مِن بَعدِهِ طَبَقٌ

وقوله: «وأدمج فيه القصب»

القصب العظام. وإدماجها إدخال بعضها في بعض، ومنه إدماج ذوائب المرأة إذا ظفرتها، قال الشاعر:

حَمرَاءَ فِي حَارِكِهَا دُمُوجٌ[5]

---

(١) سورة النحل: ٤٨.

(٢) سورة الانشقاق: ١٩.

(٣) انظر: تفسير مجاهد ١: ٧١٥، غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٤٤٦.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) انظر: العين ٦: ٩٠.

وقوله: «ثمّ أولج الروح في الجسد»

يقول: أدخله في الجسد.

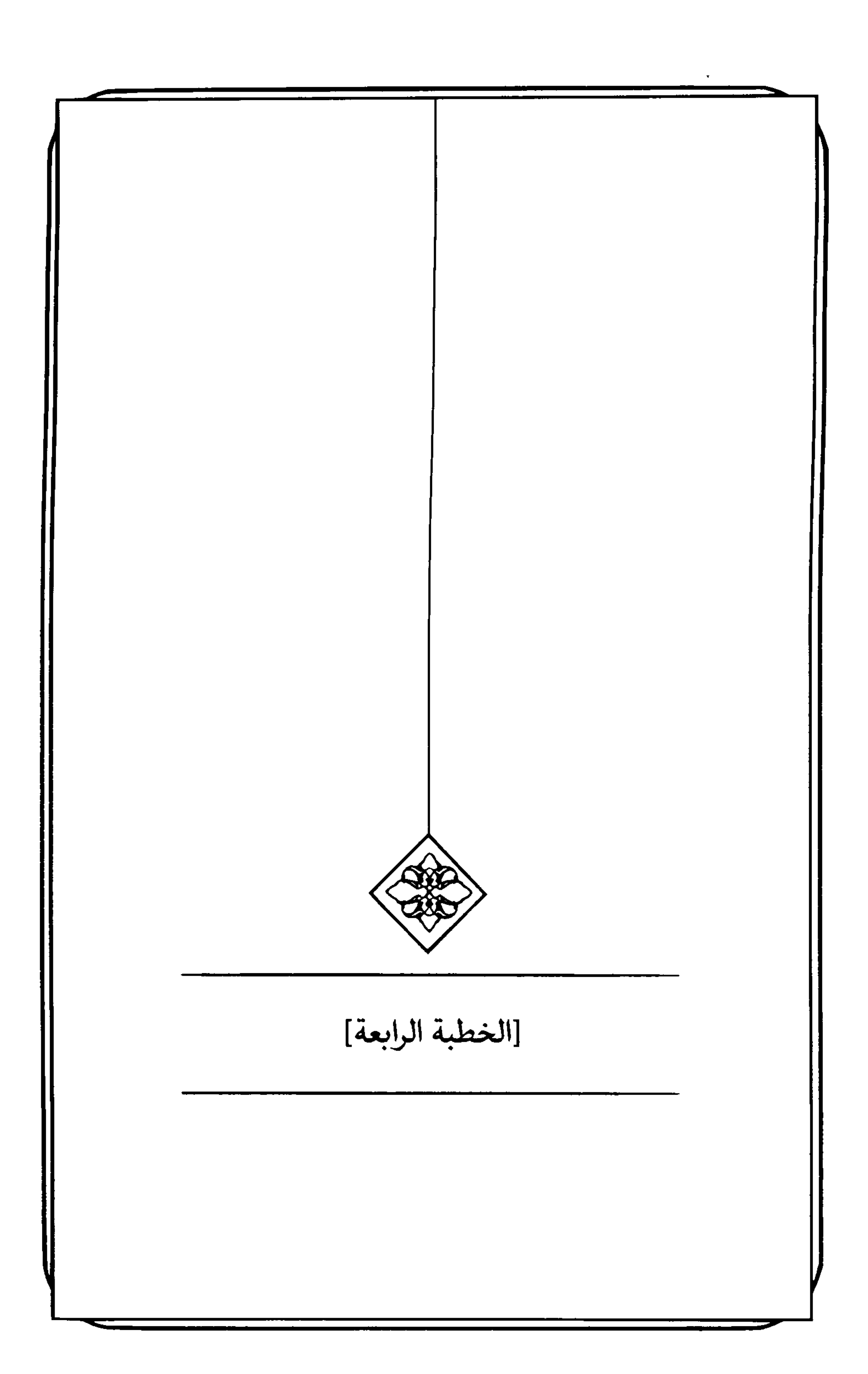
الطليح من الطلحة، والطلاحة الإعياء الشديد، يقال: بعير طليح وناقة طليح.

وقوله: «وضلوع متّسقة»

المتّسق من كلّ شيء ما كان على طريق ونظام واحد، اتّسق الشيء إذا انتظم بعضه إلى بعض.

وقوله: «وخيشوم يجد به ريح كلّ شيء مشموم»

الخيشوم داخل الأنف.



[الخطبة الرابعة]



وهذا توحيد لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام

«الحَمدُ للهِ الَّذي فَاتَت عَظَمَتُهُ الوَصفَ وَالتَّقدِيرَ، فَلَيسَ لَهُ كُفؤٌ وَلَا شَبَهٌ وَلَا نَظِيرٌ، كَلَّتْ الأَلسُنُ عَن صِفَتِهِ، وَانحَسَرَت العُقُولُ عَن كُنهِ مَعرِفَتِهِ، وَرَدَعَت عَظَمَتُهُ الأَوهَامَ، فَلَم تَجِد مَسَاغاً فَرَجَعَت خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ، وَإِنَّمَا أَمرُنَا بِالنَّظَرِ فِيمَا خَلَقَ.

وَإِنَّمَا يُقَالُ: كَيفَ كَانَ لِمَن لَم يَكُن مَرَّةً، فَأَمَّا الدَّائِمُ الَّذِي لَم يَزَل وَلَا يَزَالُ فَلَيسَ يَعلَمُ كَيفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، وَلَستُ أَعنِي بِـ«لَيسَ يَعلَمُ كَيفَ هُوَ إِلَّا هُوَ» بِأَنَّ لَهُ مِثلًا، وَكَيفَ يَذهَبُ إِلَى هَذَا ضَمِيرُ مُوَحِّدٍ! وَلَكِنِّي أَعنِي كَيفَ يَعلَمُ جَبَرُوتَهُ وَدَوَامَ عِزِّهِ وَبَقَاءَ مَلَكُوتِهِ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ الَّذِي لَا شَبِيهَ[1] لَهُ، وَكَيفَ يَعلَمُ قَدرَ مَن لَم يُبدَأْ وَمَن لَا يَمُوتُ وَلَا يَبلَى، وَمَن لَيسَ لِشَيءٍ مِن صِفَتِهِ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ وَلَا مُنتَهَى يَعرِفُهُ عَارِفٌ أَو يَحُدُّهُ وَاصِفٌ، هُوَ اللهُ الحَقُّ المُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبيَنُ مِمَّا تَرَاهُ العُيُونُ.

بَينَنَا وَبَينَ عَرشِهِ مِنَ الحُجُبِ وَالسُّتُورِ، وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، وَالهَوَاءِ وَالمَاءِ، وَمَا سِوَى

---

(١) في «أ»: (شبه).

ذَلِكَ مِن الأَشيَاءِ، مَا لَم يمنَعهُ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَن ﴿يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ﴾[1].

رَبُّ البَرِيَّةِ الَّذِي ابتَدَأَ مِن صُنعِهِ[2]، وَأَظهَرَ مِن عَجَائِبِ قُدرَتِهِ، وَأَزجَى سَحَاباً مَاثِلاً مِن فِطرَتِهِ، فَجَعَلَهُ دَلِيلاً عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ. الأَوَّلُ بِلَا حَدٍّ مَوصُوفٍ، وَالأَبَدِيُّ بِلَا أَمَدٍ مَعرُوفٍ، وَلَا غَايَةٍ مُحصَاةٍ[3]، وَلَا مُنتَهَى لِقَضَائِهِ فَيَكُونَ مُتَنَاهِياً، وَلَم تَبلُغهُ العُقُولُ بِتَحدِيدٍ فَيَكُونَ بِالخَلقِ مُشَبَّهاً، وَلَم تَقَعْ عَلَيهِ الأَوهَامُ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، وَلَم تُدرِكهُ الأَبصَارُ فَيَكُونَ مَوصُوفاً.

الَّذِي كَانَ قَبلَ القَبلِ بِلَا تَحدِيدٍ، لَا يُضَادُّ فِي مَلَكُوتِهِ، وَلَا يُنَازَعُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الَّذِي لَم يَتَقَدَّمهُ وَقتٌ، وَلَم يَسبِقهُ زَمَانٌ، خَضَعَ كُلُّ شَيءٍ لِجَبَرُوتِهِ، وَلَم يَتَكَأَّدهُ صُنعُ شَيءٍ[4] عَلَى غَيرِ مِثَالٍ، وَلَا مِقدَارٍ احتَذَى عَلَيهِ، وَلَا مَشوَرَةِ مُشِيرٍ مِن خَلقِهِ، وَلَا مُعَانَاةٍ وَلَا مُقَاسَاتٍ لِنَصبٍ وَصَلَ إِلَيهِ فِيمَا خَلَقَ، فَتَمَّ خَلقُهُ لِأَمرِهِ، وَأَذعَنَ لِطَاعَتِهِ إِجَابَةً وَلَم يُدَافِعْ، وَانقَادَ وَلَم يُنَازِع، سُلطَانٌ لَا يُستَطَاعُ، وَقَاهِرٌ لَا يُرَامُ.

سُبحَانَهُ مِن مُقَدِّرٍ قَدَّرَ صُنعَ هَذَا العَالَمِ بِعَدلِ حِكمَتِهِ وَعِزَّةِ قُدرَتِهِ، وَإِبدَاعِ فِطرَتِهِ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ نَظَرَ إِلَيهِ وَاحتَذَى عَلَيهِ مِن أَحَدٍ سَبَقَهُ إِلَى صَنعَةِ مَا صَنَعَهُ، وَإِبدَاعِ مَا أَبدَعَهُ حِينَ قَدَّرَ مَوَاضِعَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَحِينَ فَرَّقَهُ فِي الهَوَاءِ وَفِي الأَرحَامِ[5].

---

(١) سورة غافر: ١٩.

(٢) في «أ»: (صنعته).

(٣) في «أ»: (محتفاة).

(٤) في «ب» زيادة قوله: (كان).

(٥) في «أ»: (الآجام).

سُبحَانَهُ مِن مُدَبِّرٍ نُسَبِّحُهُ أَيَّامَ الحَيَاةِ بِتَعظِيمِ الأَفَاعِيلِ الَّتِي أَرَى العُقُولَ النَّاظِرَةَ لِمَا جَعَلَهَا دَلِيلَةً حَتَّى عَقَلَتْ مِن عَجَائِبِ قُدرَتِهِ مَا لَاتُدرِكُهُ الأَبصَارُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الأَوهَامُ، وَلَاتُقَدِّرُهُ العُقُولُ، وَلَاتُحصَى مِنهُ الفُصُولُ.

أَعلَمَنَا أَنَّهُ حَيٌّ قَيُّومٌ، بَنَى فِي الهَوَاءِ الأَعلَى السَّمَاوَاتِ مَطوِيَّاتٍ بِلَا عَمَدٍ تَرَونَهَا، مُكفَهِرَّاتٍ فِي مَحفُوظِ هَذَا الخَلْقِ، ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾[1]. يُمضِيهِ بِالقُدرَةِ، وَلَايَعيَى بِشَيءٍ مِمَّا يُرِيدُ، وَلَيسَ مَا أَرَادَهُ عَلَيهِ بِبَعِيدٍ، وَلَالَهُ مِن خَلقِهِ عَنِيدٌ.

هُوَ الَّذِي أَنشَأَ أَشبَاحَ الأَجنَاسِ لَامِن شَيءٍ، فَأَكمَلَهَا أَشبَاحاً مَاثِلَةً، يُرَكِّبُهَا فِي أَيِّ الصُّوَرِ يَشَاءُ، وَيَمضِي أَمرُهُ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ أَوهُوَ أَقرَبُ[2] كَمَا ذَكَرَ[3].

﴿أَوحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمرَهَا﴾[4]، وَأَقَامَ فِيهَا عِمَادَهَا، وَجَعَلَهَا مَسكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَمَصعَداً لِلكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَطَهَّرَهَا مِن الدَّنَسِ، وَمَلَأَهَا تَسبِيحاً، وَزَيَّنَهَا بِالنُّجُومِ حُرَساً. فَلَا إِلَهَ إِلَّاهُوَ، أَعجَزَ الخَلَائِقَ عَن إِدرَاكِ مَعرِفَتِهِ.

كَيفَ عَشِيَت أَعيُنُ الخَفَافِيشِ أَن تَستَمِدَّ مِن نُورِ الشَّمسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهتَدِي بِهِ إِلَى ابتِغَاءِ مَعَايِشِهَا وَقَصدِ مَوَاضِعِهَا، بَل رَدَعَهَا تَلَالِي نُورِ الشَّمسِ عَن المُضِيءِ إِلَى أَوكَارِهَا، وَالطَّيَرَانِ لِابتِغَاءِهَا، فَهِيَ مُنسَدِلَةُ[5] الجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حَدَقِهَا.

---

(١) سورة الطلاق: ١٢.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمۡرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ الۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾.

(٣) سورة النحل: ٧٧.

(٤) سورة فصّلت: ١٢.

(٥) في «أ»: (مسدلة).

وَجَعَلَ الظُّلمَةَ لَهَا سِرَاجاً تَستَدِلُّ بِهِ فِي غُمُوضِ البُهَمِ إِلَى بُلُوغِ حَاجَتِهَا، فَلَا تَردَعُ أَبصَارَهَا أَسدَافُ غَيَاهِبِهِ، وَلَاتَمتَنِعُ مِن المُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجَاهُ. فَإِذَا أَطبَقَت الظُّلَمُ، وَأَسدَفَتْ السَّدَفُ بِدَيَاجِيهَا، وَأَعشَتْ مِن ذَوَاتِ الأَبصَارِ عُيُونَهَا، مَضَتْ الخَفَافِيشُ طَالِبَةً لِرِزقِهَا، جَادَّةً فِي ابتِغَاءِ مَعَاشِهَا، وَأَلقَت لِأَهلِ الأَرضِ سَترَ قِنَاعِهَا، وَتَوَسَّطَتْ الهَوَاءُ مُشرِفَةً عَلَى الخَلِيقَةِ حَتَّى إِذَا بَدَت آيَاتُ الشَّمسِ وَطَلَعَت مُشرِفَةً، وَلَم يَخفَ إِيضَاحَ نَهَارِهَا[١]، وَدَخَلَ مِن إِشرَاقِ عَلَانِيَةِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي أَوجَارِهَا، عَشَتْ عِندَ ذَلِكَ أَبصَارُ الخَفَافِيشِ، وَأَطبَقَت الأَجفَانَ عَلَى مَا فِيهَا، وَتَبَلَّغَت بِمَا اكتَسَبَ مِن المَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيلِهَا.

فَسُبحَانَ مَن جَعَلَ اللَّيلَ لَهَا نَهَاراً فَتَسِيرُ فِي غَسَقِهِ، وَلَايَردَعُهَا مِن اللَّيلِ البَهِيمِ سَوَادُ شَفَقِهِ، تَتَّصِلُ فِيهِ بِالأَسبَابِ المُمَكِّنَةِ إِلَى مَبلَغِهَا مِن مَعَاشِهَا وَابتِغَائِهَا. وَجَمِيعُ الطَّيرِ غَيرَهَا ذَوَاتُ مَنَاقِيرَ، وَلَهَا خِلَافُ خَلقِهَا.

فَلَو لَم يَرَ الخَلَائِقُ مِن لَطِيفِ حِكمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَجِيبِ أَمرِهِ، وَعَلَانِيَةِ مَا يُشَاهَدُ مِن تَدبِيرِ قُدرَتِهِ، وَظَاهِرِ بُرهَانِ حُجَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ إِلَّا الخَفَافِيشَ الَّتِي لَهَا أَسنَانٌ كَأَسنَانِ المِنشَارِ، وَجَعَلَ لَهَا جُنَاحاً تَعرُجُ بِهِ عِندَ حَاجَتِهَا إِلَى الطَّيَرَانِ خِلَافَ أَجنِحَةِ الطَّيرِ، كَأَنَّهُ شَظِيَّةٌ مِن أُذُنٍ، وَهُوَ مِن لَحمٍ يُرَى مَوَاضِعُ العُرُوقِ فِيهِ، جَمِيعُ سَاعِدِهِ وَذِرَاعِهِ.

لَاتَبِيضُ كَمَا يَبِيضُ الطَّيرُ، لَكِن تَحمِلُ الأُنثَى مِنهَا كَمَا تَحمِلُ ذَوَاتُ الأَرحَامِ،

---

(١) في «أ»: (وإذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاح نهارها) بدلا من: (حتى إذا بدت آيات الشمس وطلعت مشرفة، ولم يخف إيضاح نهارها).

وَتُرضِعُ وَلَدَهَا، وَتَقطَعُ عَنهُ الرِّضَاعَ[1] فِي وَقتِ استِغنَائِهِ عَنهَا، وَيَفتَرِشُ الذَّكَرُ مِنهَا الأُنثَى كَمَا يَفتَرِشُ الرَّجُلُ أَهلَهُ عِندَ الجِمَاعِ، وَجَمِيعُ الطَّيرِ يَبِيضُ مِن دُبُرِهِ، وَيُحضِنُ بِيضَهُ فِي عِشٍّ وَكرِهِ، وَالخَفَافِيشُ تَحمِلُ كَمَا تَحمِلُ ذَوَاتُ الأَرحَامِ، وَتَلِدُ كَمَا تَلِدُ، وَتُرضِعُ وَلَدَهَا بِحُلُمَاتِ ثَديِهَا. لَهَا جِلدٌ أَملَسُ بِلَا رِيشٍ لَهُ وَلَا وَبَرٍ.

وَتَطِيرُ إِذَا طَارَت وَوَلَدُهَا مُتَعَلِّقٌ بِهَا حَيثُ أَمَّتْ أَمَّ، وَإِذَا وَقَعَت وَقَعَ، لَا يُفَارِقُهُ وَلَا يُزَائِلُهُ حَتَّى تَشتَدَّ أَركَانُهُ، وَيَحمِلَهُ لِلطَّيَرَانِ جِنَاحُهُ، وَيَعرِفَ مَذهَبَ عَيشِهِ وَابتِدَاءَ رِزقِهِ، فَيُفَارِقُ الثَّديَ فِي طَلَبِ الرِّزقِ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ فِي الهَوَاءِ وَالشِّعَابِ. وَلَهَا فِي ابتِغَاءِ مَعَاشِهَا عُلُوٌّ وَانتِصَابٌ. وَلَهَا كَفَّانِ يَشبَهَانِ كَفَّا الإِنسَانِ غَيرَ ذَوَاتِ مَخَالِبٍ إِلَّا أَنَّهُمَا لَيسَتَا بِلَطِيفَتَي البَنَانِ.

فَسُبحَانَ مَن خَلَقَ الخَفَافِيشَ عِبرَةً لِلمُعتَبِرِينَ، آيَةً لِلنَّاظِرِينَ، وَاحتَجَّ بِذَلِكَ عَلَى المُتَكَبِّرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَالَمِينَ»[2].

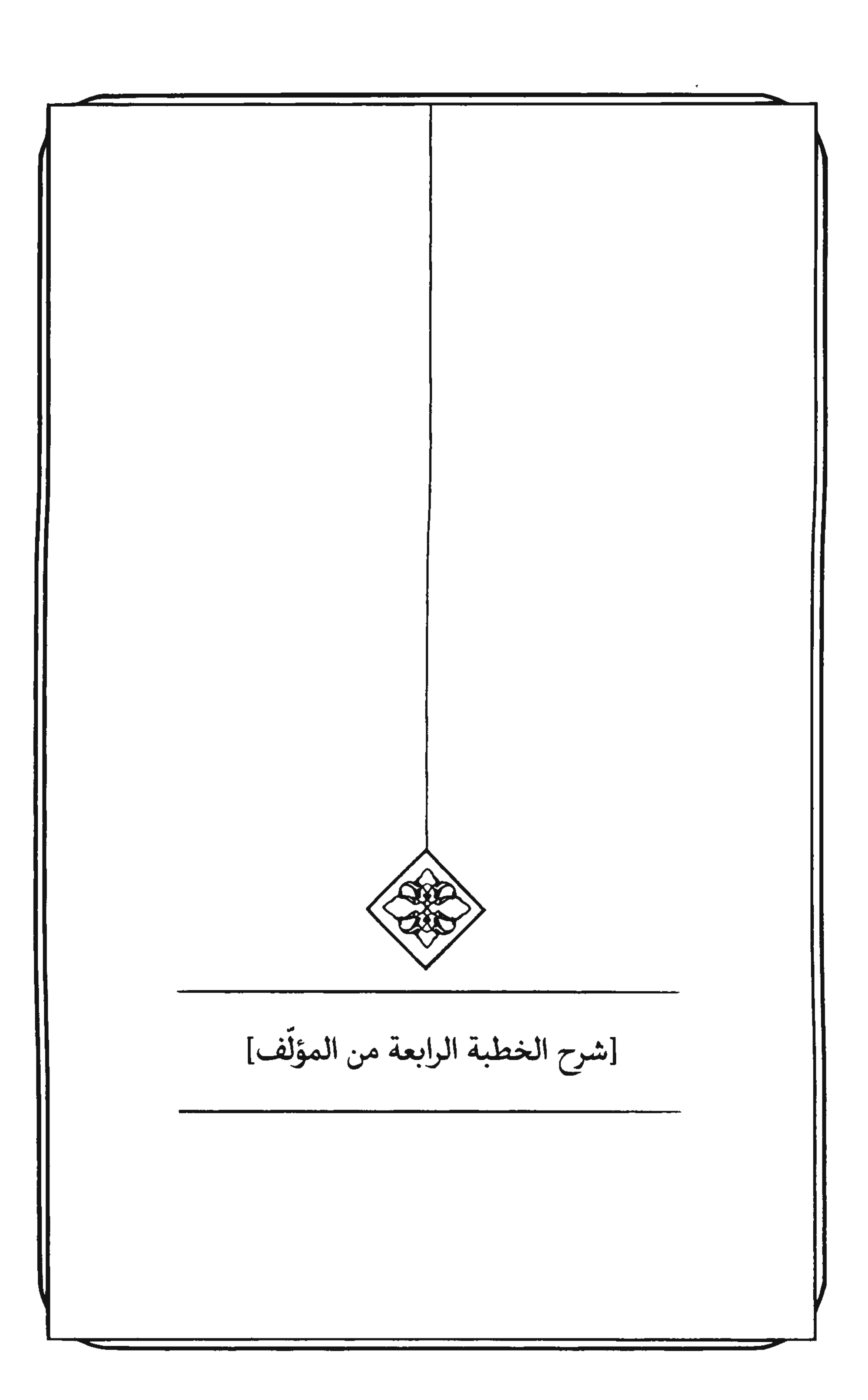
---

(١) قوله: (الرضاع) لم يرد في «أ».

(٢) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:

سير أعلام النبلاء ٧: ١٧، نهج البلاغة: ١٧٧ / ١٥٤ (خطب)، وص٢١٧، الكافي ١: ١٣٥ / ١، باب جوامع التوحيد، وج١: ١٤١ / ٧، باب جوامع التوحيد، التوحيد: ٣١ / ١، باب التوحيد ونفي التشبيه، الغارات ١: ١٠٠.





[شرح الخطبة الرابعة من المؤلّف]



قد جاء في هذا التوحيد ما قد تقدّم مثله وشرحت من ذلك ما يحتاج إلى شرحه، وأبنت منه ما ينبغي بيانه، وحذفت ذلك من شرح ما بقي منه، استغناء بما تقدّم، ولئلّا يكون ذلك مكرّراً. فأمّا ما لم يمض مثله فأنا أبيّنه وأشرحه إن شاء الله.

فمن ذلك قوله: «فرجعت خاسئة وهي حسيرة»

الخاسي: المبعد، ومنه إخساء الكلب وهو إبعاده، وقوله: «إخسأ عنك الشيطان»[1] أي أبعده.

---

(١) قاله رسول الله ﷺ، والقضية هكذا:

قال الزبير: كان شيبة قد خرج مع رسول الله ـ صلّى الله عليه ـ يوم حنين مشركا يريد أن يغتال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ، فرأى من رسول الله صلّى الله عليه وسلم غرّة، فأقبل يريده، فرآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا شيبة، هلمّ لا أمّ لك. فقذف الله في قلبه الرّعب، ودنا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ووضع يده على صدره، ثم قال: اخسأ عنك الشيطان، فأخذه ونزع، وقذف الله في قلبه الإيمان، فأسلم. الاستيعاب ٢: ٧١٢، تاريخ مدينة دمشق ٢٣: ٢٥٠، أسد الغابة ٣: ٧.

والحسير: الكليل المنقطع عن أن يلحق ما رام. يقول: رجعت مبعدة منقطعة عن درك الباري جلّ ذكره.

[النظر في الخلق]

وقوله: «وإنّما أمرنا بالنظر فيما خلق»

هو من قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١]، وقوله: ﴿أَفَلَم يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوقَهُم كَيفَ بَنَينَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالأَرضَ مَدَدنَاهَا وَأَلقَينَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ تَبصِرَةً وَذِكرَى لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ﴾[٢] إلى غير ذلك ممّا ذكره عزّ وجلّ في كتابه من النظر إلى ما خلق والاعتبار به[٣].

وجاء عن رسول الله ﷺ أنّه مرّ على قوم من أصحابه وهم مطرقون متفكّرون، فقال: فيمَ أنتم؟ فقالوا: نتفكّر في عظمة الله، فقال: «لا تتفكّروا في عظمة الله ولكن تفكّروا فيما خلق الله، فإنّ فيه متفكّراً ومعتبراً»[٤].

[الحجاب]

وقوله: «بيننا وبين عرشه من الحجب والستور، والظلمات والنور، والهواء والماء، وما سوى ذلك من الأشياء»

قد ذكرنا فيما تقدّم أنّه لا حجاب ولا ستر بين الله ـ عزّ وجلّ ـ وبين خلقه كما

---

(١) سورة يونس: ١٠١.

(٢) سورة ق: ٦ ـ ٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٢٠، سورة النمل: ٦٩، سورة روم: ٤٢، سورة حشر: ٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٣: ٨٤٢، الكشف والبيان للثعلبي ٨: ٢٦٦.

يشاهد ذلك من المخلوقين الّذين سترتهم الحجب والستور عمّن سواهم من المخلوقين، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا يكنّه شيء، ولا يستره، ولكنّ الحجاب والستر بينه وبين خلقه ما فطرهم وجبلهم عليه من خلقهم محجوبين عنه، فهم بذاتهم الحجاب بينهم وبينه. وقد تقدّم بيان ذلك وشرحه.

وإنّما ذكرنا هاهنا من ذلك ما ذكرناه لقول عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «بيننا وبين عرشه من الحجب والستور» فحسبنا أن يتوهّم من سمع ذلك أنّه خلاف ما تقدّم وإن لم يكن عليه السلام ذكر أنّ الحجب والستور من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإنّما ذكر أنّها بين الخلائق وبين العرش، وذلك أيضاً لخلقهم عن رؤية العرش محجوبين، فهم الحجاب دون ذلك، وهم المحجوبون عنه.

[العرش]

والعرش في اللغة[1] يتصرّف على وجوه كثيرة، فالعرش السرير، قال المفسّرون في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾[2] قالوا[3]: «هو سرير كان لها يعنون ملكة سبأ وهو الذي نقل ـ قالوا ـ إلى سليمان عليه السلام». وقالوا: يقال لسرير الملك عرش. وإلى هذا ذهب المشبّهون[4] في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[5] قالوا: هو جالس على سرير، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً. وكذلك

---

(١) انظر: العين ١: ٢٤٩.

(٢) سورة النمل: ٤١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٩: ٤٦٩.

(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام ١: ٤٧٨، مجاز القرآن ٢: ١٥، غريب القرآن لابن قتيبة ١: ١٣٥.

(٥) سورة طه: ٥.

قالوا[1] في قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾[2] وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[3]، قالوا: إنّ له حملة تحمله. وقد تقدّم ذكر فساد هذا القول.

والعرش أيضاً في اللغة[4] ما عرش من بناء وغيره ممّا يستظلّ به، وهو العرش أيضاً. وقال بعضهم[5]: العرش المظلّة تبنى من قصب، والعرش السقف، ومنه قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[6]، وقالت الخنساء[7] شعراً:

كَانَ أَبُو حَسَّانِ عَرْشاً خَوَى ... مِمَّا بَنَاهُ الدَّهْرُ دَانٍ ظَلِيلُ[8]

وعرشُ الرجل قوام أمره، فإذا زال ذلك عنه قيل: قد ثلّ عرشه. قال زهير[9]:

تَدَارَكْتُمَا عَبساً وَقَد ثُلَّ عَرشُهَا ... وَذُبيَانَ إِذ زَلَّت بِأَقدَامِهَا النَّعلُ[10]

ويقال للقصر عرش. قال الشاعر[11]:

---

(١) انظر: الردّ على الجهميّة ١: ٣٢، مسائل حرب ٣: ١١١٦.

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) سورة الحاقّة: ١٧.

(٤) انظر العين ١: ٢٤٩.

(٥) انظر العين ١: ٢٤٩.

(٦) سورة البقرة: ٢٥٩، سورة الكهف: ٤٢، سورة الحجّ: ٤٥.

(٧) قد تقدّم ترجمته.

(٨) انظر: العين ١: ٢٤٩، غريب الحديث للحربي ١: ١٧٥.

(٩) هو زهير بن أبي سلمى المتقدّم ترجمته.

(١٠) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها ١: ٢٨، غريب الحديث لإبراهيم الحربي ١: ١٧٥.

(١١) هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارميّ التميمي، أبو نهشل، وأبو الجرّاح، شاعر جاهلي، من سادات تميم. من أهل العراق. كان فصيحا جوادا. الأغاني ١٣: ١٣، الأعلام ١: ٣٣٠، الشعر والشعراء ١: ٢٤٨.

كَعَرشِ الهَاجِرِي المطِينِ[1]

وعرشُ القوم: الرجل الذي يكون به قوام أمرهم. قال الكميت[2] في أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ:

وَالوَصيُّ الَّذِي أَمَالَ التَّجُوبِيُّ ... بِهِ عَرشُ أُمَّةٍ لِانهِدامِ[3]

التجوبي ابن ملجم لعنه الله، هو من تجوب قبيلة من حمير[4] حالفوا مراد فنُسب إلى مراد بالحلف.

فهذا الذي جاء في لغة العرب ممّا يسمّى عرشاً. والعرش في التأويل يجمع المعاني كلّها ويشهد له، ويدخل فيما يوجبه حقيقته.

وقوله: «أزجي سحاباً»

أزجى سحابا أرسل، وفي القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَينَهُ﴾[5].

والماثل القائم المنتصب.

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ١: ١٢٠.

(٢) أبو المستهلّ الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الأموي. وَكان عالما بآداب العرب وَلغاتها وَأخبارها وَأنسابها، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم. أعيان الشيعة ٩: ٣٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٠: ٢٢٩، الأغاني ١٧: ٥، الشعر والشعراء ٢: ٥٦٦، قاموس الرجال ٨: ٥٩٣.

(٣) انظر: أنساب الأشراف ٢: ٥٠٧، الكامل في اللغة والأدب ٣: ١٥٠.

(٤) حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد جاهلي قديم، كان ملك اليمن، وَإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وَأقياله) وَكان شجاعا مظفرا، يقول مؤرخو العرب إنه حكم بعد أبيه سبإ، وَعاصمة ملكه صنعاء. نسب معد واليمن الكبير ٢: ٥٣٤، جمهرة أنساب العرب ١: ٤٣٢، المقفى الكبير ٣: ٣٨٨، الأعلام ٢: ٢٨٤.

(٥) سورة النور: ٤٣.

وقوله: «لم يتكأّده صنع شيء»

أي: لم يشقّ عليه، يقال من ذلك: عقبة كؤود أي: ذات مشقّة، وتكأّدَنا هذا الأمر أي: شقّ علينا، قال الشاعر[1]:

وَلَا تَكَأَّدَهُ المجهُودَةُ الكِبَرُ

وقوله: «سبحانه من مقدّر قدّر صنع هذا العالم»

العالَم ـ بفتح اللام ـ جميع الخلق.

[الحيّ القيّوم]

وقوله: «أعلمنا أنّه حيّ قيّوم»

هو من قول الله ـ عزّوجلّ ـ الذي وصف به نفسه الحيّ القيّوم[2]. قال أصحاب التفسير[3]: الحيّ من الحياة، والله ـ عزّوجلّ ـ حيٌّ لا يموت. قالوا: ومنه قيل في التشهّد: التحيّات لله أي: الحياة، قالوا وتقديرها من الفعل تفعلة بمعنى أنّ البقاء لله ـ عزّوجلّ ـ والدوام. وقيل[4]: إنّ الجاهليّة كانوا يمسحون وجوه أصنامهم التي يعبدونها ويقولون: لك الحياة الدائمة الباقية، فأمر المسلمون أن يقولوا: التحيّات لله أي: البقاء لله لا لغيره.

قالوا: والقيّوم القائم، وهو الدائم. وقرأ بعضهم[5] الحيّ القيّام، وقال أصحاب

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) انظر سورة البقرة: ٢٥٥، سورة آل عمران: ٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٥: ٣٨٧.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) تفسير الطبري ٣: ١٠٩، معاني القرآن ٣: ١٩٠، تفسير الماتريدي ٢: ٢٩٨.

اللغة[1]: هو بمعنى فيعول وفيعال من قمت بالشيء إذا وليته. قالوا: ومثله ديّار وديّور. وقيل: أصلها قوّام، فانقلبت الواو ياءً.

وقوله: «مكفهرّات»

يعني إنّ بعضها فوق بعضٍ، ومنه قيل للسحاب مكفهرّة إذا تراكم بعضها فوق بعضٍ.

وقوله: «كيف عشيت أعين الخفافيش»

العشا مقصوراً ضعف البصر من غير عمى، ويقال منه: رجل أعشى، وبه عشيً، وعشى بصره إذا ضعف من غير عمى. والخفافيش طير معروفٌ يستتر في النهار ويطير في الليل.

وقوله: «فهي منسدلة[2] الجفون بالنهار على حدقها»

السدال إرخاء الثوب والستر وما يستر ما أسدل عليه.

وقوله: «وجعل الظلمة لها سراجاً تستدلّ به في غموض البهم»

يقال: من ذلك ليل بهيم أي لا ضوءَ فيه إلى الصباح. والبهم جمع بهمة، وهي هاهنا سواد الليل وظلمته.

وقوله: «ولا تردع بصرها أسداف غياهبه، ولا تمتنع من المضيء لغسق دجاه»

الغياهب: جمع غيهب، والغيهب شدّة سواد الليل، قال الشاعر[3] شعراً:

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٧.

(٢) في «أ»: (مسدلة).

(٣) هذا من أشعار امرؤ القيس المتقدّم ترجمته.

وَإِنَّ اسمَ هَذي الشَّمسِ شَمسٌ مُنيرَةٌ ... وَإِنَّ اسمَ ديجُورِ الغَيَاهِبِ غُيهَبٌ[1]

والأسداف: جمع سدف، والسدف ظلام الليل، قال أبو كثير الهذلي[2]:

يَرتَدنَ سَاهِرَةً كَأَنَّ عَمِيمَهَا ... وَحَصِيدَهَا أَسدَافُ لَيلٍ مُظلِمِ[3]

والغسق: الظلمة، وفي القرآن: ﴿**وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾[4].

والدجى: ظلام الليل.

وقوله: «ودخل من إشراق علانية نورها على الضباب في أوجارها»

الضباب: جمع ضبّ، والضبّ دويبّة يأكلها الأعراب تشبه الورك.

وأوجارها: أحجرتها التي تأوي إليها.

وقوله: «ولم يردعها من الليل البهيم سواد شفقه»

الليل البهيم: الذي لا بياض فيه من نور القمر، وكلّ لون من ألوان الدواب خلص بلا لون غيره يخالطه فهو بهيم.

[الشفق]

والشفق: الحمرة التي تكون في أفق المغرب عند غياب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة. والشفق الثوب الأحمر.

---

(١) انظر: العين ٣: ٣٦١.

(٢) هو أبو كبير عامر بن الحليس الهذلي،، من بني سهل بن هذيل: شاعر فحل. من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام، وأسلم. الأعلام ٣: ٢٥٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥: ٢٦٢، الشعر والشعراء ٢: ٦٥٩.

(٣) انظر: العين ٤: ٧.

(٤) سورة الفلق: ٣.

وقال قوم[١]: الشفق البياض الذي يكون في هذا الأفق، والبياض يلبث هناك كثيراً من أوّل الليل.

والقول الأوّل أصحّ. وإذا ذهبت الحمرة من هناك دخل وقت صلاة العشاء الآخرة، وإذا ذهب الشفق أظلم مكانه واسودّ، وإن بقي فيه بياضٌ يسير فالسواد يغلب عليه.

وقوله: «وجعل لها جناحاً تعرج به عند حاجتها إلى الطيران»

وقوله: «تعرج» يقول تصعد، وأصل ذلك من المعارج، وهي الدرج، فقيل لكلّ من صعد عرج، وفي القرآن: ﴿ذِي المَعَارِجِ تَعرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ﴾[٢] أي: تصعد.

وقوله: «رحب الجناح»[٣]

الرحب الواسع، وبذلك سمّيت الرحبة لسعتها.

وقوله: «في طلب رزقها الذي قدّر لها في الهواء والشعاب»

الشعاب أيضاً جمع شعبٍ، والشعب من ذلك فرجة تنفرج بين جبلين أو نحوهما ممّا يرتفع من الأرض.

وقوله: «ولها ـ يعني للخفافيش ـ كفّان يشبهان كفّا الإنسان إلّا أنّهما ليستا بلطيفتي البنان»

---

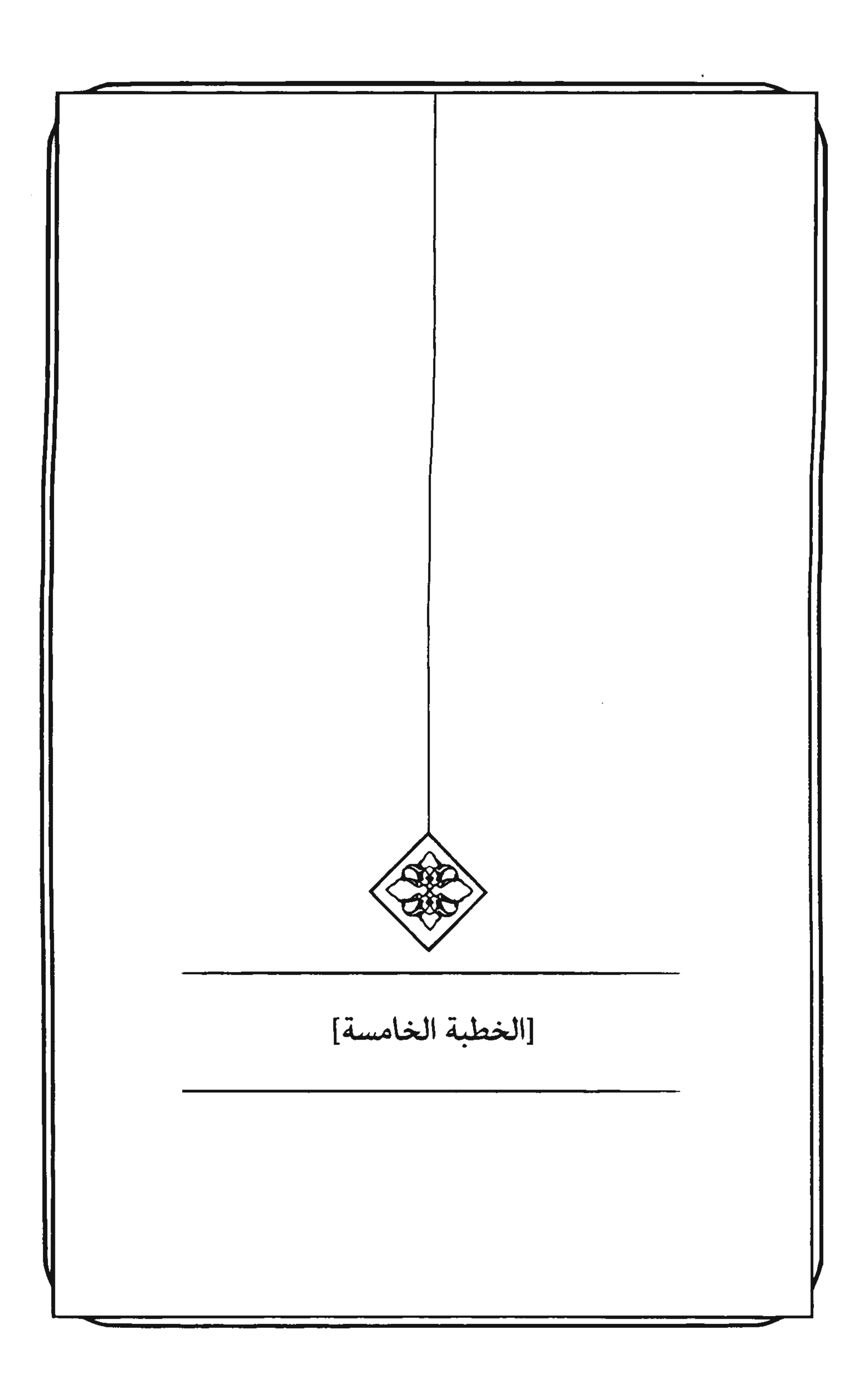
(١) وهو قول عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة، ويروى عن أبي هريرة. شمس العلوم ٦: ٣٥٠١، تهذيب اللغة ٨: ٢٦١، المغرب ١: ٤٤٩.

(٢) سورة المعارج: ٣ ـ ٤.

(٣) هذه القطعة لم ترد في أصل الرواية.

البنان: أطراف أصابع اليدين.

وقوله: «أنّهما ليستا بلطيفتين» ممّا قدّمنا ذكره في شرح اللطيف أنّه يقال للرفيق الكفّ لطيف اليد. يقول: إنّهما وإن كانتا تشبهان كفّي الإنسان، فإنّهما لا تعمل بهما كما يعمل الإنسان بيديه.



[الخطبة الخامسة]



وله ـ صلوات الله عليه ـ في التحميد والتوحيد:

«الحَمدُ للهِ ذِي الأُلُوهِيَّةِ وَالوحدَانِيَّةِ، الَّذِي خَلَقَ الخَلقَ مِن غيرِ رَوِيَّةٍ، وَشَرَّعَ لَهُم الدِّينَ وَالأَحكَامَ، وَبَيَّنَ لَهُم الحَلاَلَ وَالحَرَامَ؛ إِذ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ، وَلَيسَ رَبُّنَا بِذِي ضَمِيرٍ تَلِيقُ بِهِ الرَّوِيَّةُ، العَالِمُ مِن غَيرِ حَاجَةٍ مِنهُ إِلَى العِلمِ، وَلَا هُوَ بِمُضطَرٍّ إِلَيهِ، تَعَالَى عَن ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي فَطَرَ العِبَادَ عَلَى مَعرِفَتِهِ، وَكَلَّ الأَلسُنَ عَن صِفَتِهِ، وَحَسَرَ الأَبصَارَ عَن رُؤيَتِهِ، وَحَصَرَ الأَوهَامَ عَن الإِحَاطَةِ بِهِ. وَكُلُّ بَاطِنٍ أَو ظَاهِرٍ، أَو مُدرَكٍ بِالمَشَاعِرِ، أَو مُتَوَهَّمٍ بِالمَفَاكِرِ دَلِيلٌ عَلَى اللهِ بِفِطرَتِهِ، شَاهِدٌ لَهُ عَلَى نَفَاذِ مَشِيَّتِهِ.

وَالحَمدُ للهِ البَادِي الَّذِي لَا بَدِيَّ لَهُ، وَالفَردِ الَّذِي لَا ثَانِيَ مَعَهُ، لَيسَ لَهُ عِدلٌ وَلَا نَظِيرٌ وَلَا شَرِيكٌ وَلَا وَزِيرٌ، وَلَا تَأخُذُهُ السِّنَاتُ، وَلَا تَمِيلُ[1] بِهِ الغَايَاتُ، وَلَا تَنهِيهِ النِّهَايَاتُ، الَّذِي خَلَقَ الأَرضَ وَالسَّمَاوَاتِ، وَصَدَعَ الأَرضَ بِالنَّبَاتِ، وَجَعَلَ فِيهَا أَقوَاتَ أَصنَافِ البَرِيَّاتِ، وَمَن أَجرَى الرِّيَاحَ المُعصِفَاتِ، وَالسَّحَابَ المُسَخَّرَاتِ، وَلُجَجَ البِحَارِ الزَّاخِرَاتِ، وَمَدَى الدُّهُورِ وَالسَّاعَاتِ، وَالطَّوَالِعَ المُضِيَّاتِ.

---

(١) في «أ»: (ولا تمد).

الَّذِي خَلَقَ الخَلقَ وَأَجَازَهُ(١)، وَأَجرَى عَلَيهِ أَقدَارَهُ، وَفَتَقَ الضِّيَاءَ فَأَنَارَهُ، وَوَطَّدَ القَرَارَ فَأَشَارَهُ، وَقَلَّبَ الخَلقَ أَطوَارَهُ، وَسَوَّى(٢) وَفَتَقَ لَهُ أَسمَاعَهُ وَأَبصَارَهُ.

خَلَقَ الأَشيَاءَ لَا مِن شَيءٍ مَوجُودٍ، وَقَدَّرَهَا لِأَجَلٍ مَعدُودٍ، لَا يَمنَعُهُ مِن سَمعِ أَلفَاظِ خَلقِهِ لُغَطُ أَصوَاتِهَا، وَلَا يَحجُبُهُ عَنِ الإِحَاطَةِ بِهَا سَائِرُ حَالَاتِهَا، وَلَا تَشغَلُهُ عَن مُشَاهَدَتِهَا تَفَاوُتُ أَوقَاتِهَا.

لَم يَكُن مَا خَلَقَ أَهوَنُ عَلَيهِ مِمَّا لَم يَخلُقْ، وَلَا كَانَ مَا لَم يَخلُقهُ أَمنَعَ عَلَيهِ دُونَ مَا خَلَقَهُ، وَلَا كَانَ خَلْقُهُ بَعضَ الخَلقِ أَهوَنُ عَلَيهِ مِن بَعضٍ، وَلَم يَتَفَاوَتْ الخَلقُ عَلَيهِ، بَل ابتَدَى بِقُدرَتِهِ أَصغَرَ البَرَايَا وَأَكبَرَهَا، وَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿مَا تَرَى فِي خَلقِ الرَّحمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارجِعِ البَصَرَ هَل تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَينِ يَنقَلِب إِلَيكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٣).

وَالحَمدُ للهِ المُتَجَلِّي بِخَلقِهِ لِخَلقِهِ، المُحتَجِبِ بِخَلقِهِ عَن خَلقِهِ، الَّذِي عَرَّفَهُم صُنْعَهُ بِصَنعَتِهِ، وَسَاقَهُم بِأَمرِهِ إِلَى أَمرِهِ؛ ذَعَنَتْ لَهُ الجِبَالُ الرَّاسِيَةُ، وَانطَاعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ العَالِيَةُ، وَعَنَت لَهُ الأَرضُونَ المُتَنَاهِيَةُ(٤)، فَهُنَّ رَوَاكِدُ فِي الأَهوِيَةِ، مُذعِنَاتٍ فِي فُتُوقِ الأَجوِيَةِ، لَا يُمسِكُ لَهُنَّ إِلَّا أَمرُهُ، وَلَا نَافِذَ فِيهِنَّ إِلَّا حُكمُهُ، وَلَا حَاكِمَ عَلَيهِنَّ إِلَّا عَدلُهُ، مُستَقِلَّاتٍ بِمَا عَلَيهِنَّ مِنَ البَرَايَا المُتَنَاهِيَةِ وَالأَضدَادِ المُتَعَادِيَةِ، مِن مُتَحَرِّكٍ لَا يَسكُنُ، وَسَاكِنٍ لَا يَتَحَرَّكُ، وَغَامِضٍ لَا يَعلُنُ، وَبَارِزٍ لَا

---

(١) في «أ»: (وأجاره).

(٢) قوله: (وسوى) لم يرد في «أ».

(٣) سورة الملك: ٣ ـ ٤.

(٤) في «ب»: (الأصوات المتناهيات) بدلاً من: (الأرضون المتناهية).

يَكمُنُ، ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَينَهُنَّ لِتَعلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلماً﴾[1]. ذَلِكَ اللهُ جَلَّ ثَنَائُهُ وَذِكرُهُ، وَعَظُمَ شَأنُهُ وَأَمرُهُ وَسُلطَانُهُ وَقُدرَتُهُ.

هُوَ الَّذِي لَم يُمكِنِ الأَوهَامَ أَن تَنَالَهُ، وَلَا العُقُولَ أَن تَختَالَهُ، وَلَا الأَسمَاعَ أَن تَسمَعَهُ، وَلَا الأَبصَارَ أَن تُمَثِّلَهُ. هُوَ الَّذِي لَا قَبلَ لَهُ وَلَا بَعدَ، وَلَيسَ لَهُ أَمَدٌ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا مِيقَاتٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا ابتِدَاءٌ وَلَا انقِضَاءٌ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وَسُبحَانَ اللهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ العَادِلُونَ، وَتَعَالَى عَن وَصفِ الوَاصِفِينَ المُشَبِّهِينَ.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي فَطَرَ العِبَادَ عَلَى مَعرِفَتِهِ، وَأَرَى العُقُولَ بَرَاهِينَ آيَاتِهِ وَحَقِيقَةَ تِبيَانِهِ، وَجَعَلَ مَشَاعِرَهَا دَلَائِلَ عَلَى مَعرِفَتِهِ. فَكُلُّ مَسمُوعٍ تَنَالُهُ الآذَانُ، وَمَنظُورٍ إِلَيهِ تُحِيطُ بِهِ العَينَانِ، وَمَشمُومٍ تَحُدُّهُ الخَيَاشِيمُ، وَمَذُوقٍ تَحُسُّهُ المَطَاعِمُ، وَمَوصُوفٍ تُدرِكُهُ الأَلسُنُ، وَمُتَوَهَّمٍ تَبلُغُهُ الأَفكَارُ، دَلِيلٌ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللهِ وَحَقَائِقِ قُدرَتِهِ، وَشَهِيدٌ لَهُ عَلَى استِعبَادِ عَبِيدِهِ، وَنَاطِقٌ عَن عَظِيمِ شَأنِهِ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ.

وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّبُّ قَبلَ وُجُودِ المَربُوبِ، وَالإِلَهُ قَبلَ تَكوِينِ المَألُوهِ، وَلَيسَ مُذ استَحدَثَ المَربُوبَ استَحَقَّ الرُّبُوبِيَّةَ، وَلَا مُذ أَوجَدَ المَذمُومَ استَوجَبَ المَحمِدَةَ، وَلَا مُذ أَنشَأَ المَقدُورَ عَلَيهِ استَأهَلَ القُدرَةَ، وَلَا مُذ ابتَدَأَ البَرَايَا اكتَسَبَ الإِحَاطَةَ بِالغُيُوبِ، بَل قَبلَ تَكوِينِ المَعلُومِ عَلِمَ المَعلُومَ.

سَبَقَ كُلَّ مَوجُودٍ وُجُودُهُ، وَتَقَدَّمَ كُلَّ مُتَقَدِّمٍ قِدَمُهُ، وَفَاتَ كُلَّ كَائِنٍ كَونُهُ. وَابتَدَأَ خَلقَ البَرَايَا المُختَلِفَةِ، وَالخَلَائِقِ المُؤتَلِفَةِ، لَم يُشهِدهَا خَلقَ أَنفُسِهَا، وَلَم يُمَكِّنهَا

---

(١) سورة الطلاق: ١٢.

مِن إِزَالَةِ كَونِهَا، وَلَم يُمَلِّكهَا دَفْعَ الوَاقِعِ بِهَا. قَرَنَهَا بِالدَّلَائِلِ دَلَالَةً عَلَى ابتِدَائِهَا، وَوَصَلَهَا بِالأَحدَاثِ شَاهِدَةً عَلَى تَدبِيرِهِ إِيَّاهَا، وَفَاوَتَ بَينَهَا لِقُدرَتِهِ عَلَيهَا، وَقَلَّبَهَا إِزَاحَةً لِلشَّكِّ فِي صَانِعِهَا، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي لَم تُحِط بِهِ الأَبصَارُ، وَلَم يَقَس بِمِقدَارٍ، وَلَم يُدرِكهُ الاعتِبَارُ، وَهُوَ المَلِكُ الجَبَّارُ، وَلَا رَأَتهُ وَلَا تَرَاهُ الأَبصَارُ. خَلَقَ الأَشيَاءَ كُلَّهَا مُبتَدَءاً، وَأَجرَى لَهَا مُمضِياً عَلَى غَيرِحَذوٍ وَلَا مِثَالٍ، لَا مِن شَيءٍ خَلَقَ مَا خَلَقَهُ، وَلَا مِن حَاجَةٍ مِنهُ إِلَيهِ ابتَدَعَهُ، وَكَيفَ يَحتَاجُ إِلَى مَن كَانَ عَنهُ مُستَغنِياً، وَكَانَ وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيءٌ. وَلَا يَعتَدِي عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يُعَاجِلُهُم بِانتِقَامِهِ عَلَى ارتِكَابِهِم العَظَائِمَ، وَانتِهَاكِهِم المَحَارِمَ.

الأَوَّلُ الَّذِي لَا بَدءَ لَهُ، وَالفَردُ الَّذِي لَا ثَانِيَ مَعَهُ، وَالوَاحِدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا كُفوَ فَيُضَادِدَهُ، وَلَا نِدَّ فَيُعَادِلَهُ، لَم يَزَلْ سُبحَانَهُ وَلَا شَيءَ مَعَهُ، وَاحِداً أَحَداً أَزَلِيّاً، بِلَا نِهَايَةٍ تُستَقصَى، وَلَا دَهرٍ يُحَدُّ فَيُحصَى، لَا تَبلُغُ العُقُولُ كُنهَ شَأنِهِ، وَلَا تُحِيطُ الأَلبَابُ بِصِفَاتِهِ، أَنشَأَ الخَلقَ إِنشَاءً، وَابتَدَأَهُم ابتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا فِكرَةٍ أَحدَثَهَا، وَلَا هِمَّةٍ اضطَرَبَ لَهَا، لِافتِعَالِ مَا أَرَادَ افتِعَالَهُ، وَتَكوِينِ مَا شَاءَ تَكوِينَهُ.

وَأَنشَأَ الأَشيَاءَ لِغَايَاتِهَا، وَأَجرَى لَهَا أَسبَاباً، وَقَدَّرَهَا أَقوَاتاً، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا وَأَلزَمَ لَهَا أَشبَاحَهَا، لَم يَزَل عَالِماً بِهَا قَبلَ كَونِهَا، مُحِيطاً بِتَحدِيدِهَا وَأَسبَابِهَا [١].

ابتَدَأَ فَتْقَ الأَجوِيَةِ وَرَتْقَ الأَهوِيَةِ، وَأَنشَأَ مَاءً مُتَلَاطِماً، وَجَعَلَ تِيَارَهُ مُتَرَاكِماً،

---

(١) في «أ»: (وانتهاءها) بدلا من: (وأسبابها).

وَموجَهُ مُتَرَادِفاً مُتَقَاذِفاً، فَحَمَلَهُ[١] عَلَى مُتُونِ الرِّيَاحِ العَاصِفَةِ، فَالهَوَاءُ مِن فَوقِهِ فَتِيقٌ، وَالرِّيحُ مِن تَحتِهِ خَرِيقٌ، وَالمَاءُ بَينَ ذَلِكَ مُضطَرِبٌ دَفِيقٌ، فَوَضَعَ عَلَى المَاءِ عَرشَهُ مُتَذَلِّلاً لِعِزَّتِهِ، سَاكِناً لِجَبَرُوتِهِ، بِلَا أَرضٍ مَدحِيَّةٍ، وَلَاسَمَاءٍ مَبنِيَّةٍ، وَلَاخَلْقٍ مَخلُوقٍ، وَلَاشَيءٍ مَحدُودٍ.

ثُمَّ أَنشَأَ الرِّيحَ العَقِيمَ، فَأَمَرَهَا فَشَقَّقَت المَاءَ الزَّاخِرَ، فَمَخَضَتهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَقَلَّبَتهُ تَقلِيبَ الإِنَاءِ، وَعَصَفَت عَصفَهَا عَلَيهِ، فَرَدَّت أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاكِنَهُ عَلَى زَاخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى طَائِرِهِ، حَتَّى صَارَ زَبَداً رُكَاماً، فَدَحَاهُ أَرضاً، وَرَفَعَ الدُّخَانَ السَّامِي مِن البَحرِ النَّامِي فِي هَوَاءٍ مُنفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنخَرِقٍ، فَخَلَقَ مِنهُ سَبعاً طِبَاقاً، طَرَائِقَ حُصراً. فَسُبحَانَ الَّذِي خَلَقَهُنَّ، وَعَلَى غَيرِ عَمَدٍ وَضَعَهُنَّ.

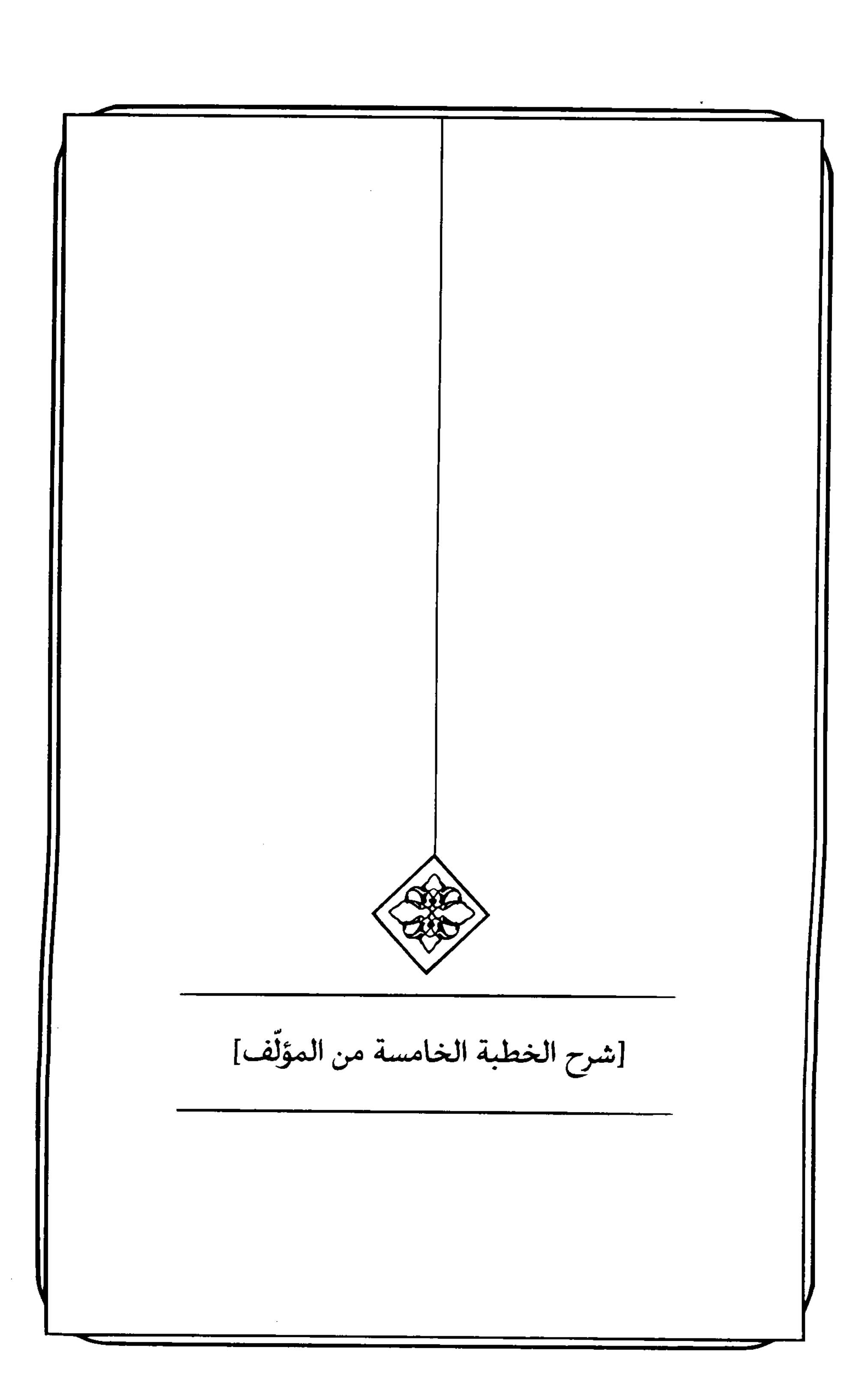
فَأَشهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ دِلَالَاتٌ عَلَيهِ، تُؤَدِّي عَنهُ الحُجَّةَ، وَتَشهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، مُتَوَسِّمَاتٍ بِبُرهَانِ قُدرَتِهِ، وَمَعَالِي تَدبِيرِهِ. أَوصَلَ إِلَى قُلُوبِ المُؤمِنِينَ مَعرِفَتَهُ، وَآنَسَهَا مِن وَحشَةِ الفِكرَةِ وَوَسوَسَةِ الصُّدُورِ، وَعَرَّفَهَا ظَاهِرَ مَا استَدَلَّت بِهِ عَلَى خَفِيِّ بَاطِنِهِ، فَهِيَ عَلَى اعتِرَافِهَا بِهِ شَاهِدَةٌ لَهُ أَنَّهُ لَاتَنَالُهُ الصِّفَاتُ، وَلَاتُدرِكُهُ الأَوهَامُ، وَأَنَّ حَظَّ الفِكرِ مِنهُ الاعتِرَافُ بِهِ، وَاليَأسُ مِن أَن تَكشِفَ العُقُولُ شَيئاً مِن ذَلِكَ، فَنَعُوذُ بِهِ مِن أَن نَضِلَّ وَنَخزَى»[٢].

---

(١) قوله: (فحمله) لم يرد في «أ».

(٢) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:
نهج البلاغة: ٨، وص١٥٥، البيان والتبيين للجاحظ ١: ٨٦.
ونقلت مقاطع منها عن فاطمة الزهراء عليها السلام في فلاح السائل: ٢٠٣.





[شرح الخطبة الخامسة من المؤلّف]



هذا توحيد قد تقدّم بيان أكثر ما جاء فيه وشرحناه، ولكنّا لا نخلّيه مع ذلك من شرح وبيان لما لم يمضِ بيانه وشرحه منه وزيادة من الفوائد فيما مضى وتقدّم في مثله، فمن ذلك:

[الشارع والشريعة]

قوله: «وشرع لكم من الدين والأحكام»

الشارع في لغة العرب[1]: الطريق المسلوك النافذ، ويقال لمن أقامه ونصبه قد شرع فلان شارعاً يسلك فيه أي: أقام طريقاً للناس يسلكونه.

وقد قال الله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوحَينَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[2]، فهولاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل الذين ذكرهم الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه[3]،

---

(١) انظر: الصحاح ٣: ١٢٣٦.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) انظر: الأحقاف: ٣٥.

وهم نوح و إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ـ صلوات الله عليه وعليهم وعلى آل محمّد أجمعين ـ ، فهم الذين شرعوا عن الله ـ عزّ وجلّ ـ شرايع دينه لعباده، وذلك إيضاحهم لهم عن الله ـ عزّ وجلّ ـ سبيل ما تعبّدهم به من إقامة دينه.

ونسخ بمحمّد ﷺ ما نسخ من ذلك ممّا تقدّمه، وأثبت به ما أثبته منه، وأكمل به الدين وأثبته، وأقام له خلفاء من ذرّيته ينقلونه عنه ويبلّغونه من لم يبلّغه، وخلّد شريعته إلى يوم الدين، وختم به نبوّة النبيّين. فمن سلك السبيل التي أقامها بأمر ربّه، وتمسّك بالشريعة التي شرعها عنه سبحانه، وأخذ ذلك عنه وعن من نصبه من خلفائه المبلّغين عنه إلى من بعده، فقد اتّبع صراطه المستقيم الذي أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ باتّباعه في كتابه بقوله جلّ ذكره: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾[1].

والشريعة أيضاً في اللغة[2]: ما شرع فيه من الماء. ويقال من ذلك: شرع الوارد في الماء شرعاً وشروعاً إذا تناول منه بفيه، فهو شارع، والماء مشروعٌ فيه، ولهذا مثل في التأويل يدخل فيما قدّمناه، فمن شرع في مثل ذلك من أمر أولياء الله أدّاه ذلك ـ إذا كان على حقيقة الأمر فيه ـ إلى ورود حوض محمّد ﷺ الذي جاء عنه[3] أنّ وصيّه عليّاً أمير المؤمنين صاحبه يوم القيامة يورد عليه أوليائه ويذود عنه أعدائه[4]. وفي إخبار الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّه شرع الدين لعباده ما يوجب ألّا

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) انظر: الصحاح ٣: ١٢٣٦.

(٣) انظر: تفسير فرات الكوفي: ١٧٢، الأمالي للصدوق: ١٥٩ / ١، المجلس الثلاثون.

(٤) جاء الخبر عن رسول الله ﷺ هكذا:

يؤخذ شيء منه إلّا عنه وعن رسوله ﷺ، الذي أرسله به، دون من تعاطى أن يقيم ذلك للناس برأيه من الذين قالوا في دين الله ـ سبحانه ـ بآرائهم وقياسهم واستحسانهم وغير ذلك ممّا هو من أهوائهم فكانوا كمن قال الله ـ عزّ وجلّ ـ فيهم: ﴿أَم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَم يَأذَن بِهِ اللهُ وَلَولَا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَينَهُم﴾[1].

فأمّا قول أصحاب اللغة المتأوّلين منهم في الشريعة فإنّ بعضهم[2] قال في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعهَا﴾[3]، قال: على ملّة ومنهاج. وهذا أيضاً ممّا يؤكّد ما قدّمنا ذكره من أنّه ليس لأحد أن يشرّع في دين الله ـ عزّ وجلّ ـ برأيه؛ لأنّ الله ـ سبحانه ـ إنّما أمر رسوله ﷺ باتّباع ما شرعه له، ولم يجعل له أن يشرّع في ذلك برأيه كما شرع من ذكرناه.

← عن أبي أيّوب الأنصاري: أنّ رسول الله ﷺ سئل عن الحوض، فقال: أما إذا سألتموني عنه فأخبركم أنّ الحوض أكرمني الله به، وفضّلني على من كان قبلي من الأنبياء، وهو ما بين أيلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرد والياقوت، بطحاؤه مسك أذفر. شرط مشروط من ربّي لا يرده أحد من أمّتي إلّا النقيّة قلوبهم، الصحيحة نيّاتهم، المسلمون للوصيّ من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب من إبله، من شرب منه لم يظمأ أبداً.

رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ٢٢٨ / ٥٠، والشيخ الطبرسي في الاحتجاج ١: ٤٠٧.

(١) سورة الشورى: ٢١.

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٣٤٨، تفسير الطبري ٢٢: ٧٠.

(٣) سورة الجاثية: ١٨.

وقال بعضهم[1] في قول الله ـ عزّوجلّ ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجاً﴾[2]، قال: سنّة وسبيلاً. وهذا أيضاً يؤكّد ما ذكرناه؛ لأنّ ما جعله الله ـ سبحانه ـ لم يجز لأحد أن يجعل معه غيره، وهذا ممّا يوجبه توحيد الله ـ عزّوجلّ ـ[3]، وهو ألّا يشرك[4] معه أحد في حكمه سبحانه.

وقال آخرون[5]: شريعة الإسلام ما شرع الله للعباد من أمر الدين وأمرهم بالتمسّك به مثل الصلاة والزكاة والصوم والحجّ وسائر الفرائض، وهذا أيضاً ممّا يؤكّد ما ذكرناه، ولا يوجب لأحدٍ أن يقول في ذلك إلّا بما قاله الله ـ جلّ ذكره ـ ورسوله ـ صلّى الله عليه وعلى آله ـ الذي جاء بذلك عن الله ـ سبحانه ـ؛ إذ كان ـ جلّ وعزّ ـ هو الذي شرع ذلك، وليس لأحد أن يشرّع معه، وذلك كما ذكرنا ممّا يوجبه توحيده لا شريك له.

وقوله: «إذ كانت الرويّات لا تليق إلّا بذوي الضمائر»

الرويّة فكرة المخلوق فيما يدبّر أمره بقلبه، وذلك يتنافى عن الله ـ جلّ ذكره ـ.

وقوله: «لا تليق إلّا بذوي الضمائر» يقال منه: هذا الأمر لا يليق بفلان أي: لا يعلّق به ولا يشبهه. والضمائر جمع ضمير، والضمير سرّ القلب، والضمير ما أسرّ فيه وأضمر، وذلك يتنافى عن الله ـ عزّوجلّ ـ.

---

(١) انظر: تفسير مجاهد ١: ٣١٠، مجاز القرآن ١: ١٦٠.

(٢) سورة المائدة: ٤٨.

(٣) من قوله: (سبحانه لم يجز لأحد) إلى هنا لم يرد في «أ».

(٤) في «أ»: (وهو لا يشرك).

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٠: ٣٨٤.

وقوله: «وحسر الأبصار عن رؤيته»

يقول: أكلّها عن ذلك. يقال منه: حسرت العين إذا كلّت وقصرت عن بلوغ ما أرادت النظر إليه.

وقوله: «وصدع الأرض بالنبات»

أي: فتقها به. والصدع نبات الأرض[١]؛ لأنه يصدع الأرض وتتصدّع عنه.

وقوله: «والرياح المعصفات»

يقال: عصفت الريح إذا اشتدّت، فهي عاصفٌ، والجمع عواصف، والمعصفات الرياح التي تُثير التراب. قال الراجز شعراً:

وَالمعصَفَاتِ لَا يَزَلنَ هُدَّجاً[٢]

ويقال: هي ريح معصفة، وفي القرآن: ﴿فَالعَاصِفَاتِ عَصفاً﴾[٣]، وفيه: بريح عاصف[٤] وصف شدّة هبوبها.

وقوله: «ولجج البحار الزاخرات ومدى الدهور والساعات»

اللجج: جمع لجّة، ولجّة البحر حيث لا ترى منه أرضاً ولا جبلاً. ولجج القوم إذا دخلوا في اللجّة، وفي القرآن: ﴿فِي بَحرٍ لُجِّيٍّ﴾[٥] أي: واسع اللجّة، وبحر لجاج كذلك.

---

(١) في «ب» زيادة قوله: (لأنه يصدع نبات الأرض).

(٢) انظر: العين ١: ٣٠٧.

(٣) سورة المرسلات: ٢.

(٤) لعلّه إشارة إلى سورة يونس: ٢٢: ﴿جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

(٥) سورة النور: ٤٠.

ويقال: زخر البحر زخراً وزخوراً إذا طمى مدّه وكثر ماءه وارتفعت أمواجه فهو زاخر، ويقال: مزخور، وزخره ملأه، وبحر زاخرٌ وبحار زاخرات.

ومدى الشيء طول مدّته.

وقوله: «ووطّد القرار فأشاره، وقلّب الخلق أطواره»

يقال: من ذلك وطدت الأرض فأنا أطدها طدة إذا أثبتّها بالوطي، ومن ذلك توطيد السلطان والملك ونحوه.

والقرار: المستقرّ من الأرض، وقرارها سكونها، قال الراجز[1]:

وَحَى لَهَا القَرَارَ فَاستَقَرَّت[2]

وأشاره من الشارة، وهي حسن الهيئة.

والأطوار: جمع طور، والطور الحال والتارة، وفي القرآن: ﴿وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً﴾[3]، قيل[4]: حالاً بعد حال كما ذكر[5] ـ جلّ وعزّ ـ نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً إلى منتهى الخلق. وقيل[6]: بل أراد اختلاف الخلق والمناظر، قال الشاعر[7]:

وَالمرءُ يُخلَقُ طُوراً بَعدَ أَطوَارِ[8]

---

(١) قاله العجّاج، وقد تقدّم ترجمته.

(٢) انظر: العين ٣: ٣٢٠، معاني القرآن للنحّاس ٢: ٣٨٣.

(٣) سورة نوح: ١٤.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ١: ٤١٦، تفسير الطبري ٢٣: ٦٥٣.

(٥) انظر: سورة المؤمنون: ١٤.

(٦) لم نعثر عليه.

(٧) قاله النابغة، وقد تقدّم ترجمته.

(٨) انظر: العين ٧: ٤٥٣.

وقوله: «لا يمنعه من سمع ألفاظ خليقته لغط أصواتها»

اللغط أصوات مبهمة لا تفهم، يقول: سمعت لغط القوم.

وقوله: «ذعنت له الجبال الراسية»

يقال من ذلك: ذعن يذعن وهو أصل تأسيس الإذعان، ويقال: أذعن يذعن إذعاناً إذا انقاد وسلس.

والراسيات: الثابتات في الأرض. يقال من ذلك: رسى يرسو الجبل إذا ثبت أصله في الأرض، ورست السفينة رسواً: إذا انتهى[1] أسفلها إلى قرار الماء فبقيت لا تسير.

وقوله: «فهنّ رواكد في الأهوية، مذعنات في فتوق الأجوية»

الركود: السكون، يقال من ذلك: ركد القوم إذا هدءوا، وركدت الريح وركد الماء وكلّ شيء إذا هدأ، وفي القرآن: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾[2].

والأهوية: جمع هواء، وهو ما بين السماء والأرض، وقد مضى شرحه.

والفتوق: جمع فتق، والفتق انفتاق رتق كلّ شيء متّصل متّسق، وهو رتق فإذا انفصل فهو فتق، تقول: فتقته فانفتق.

والأجوية: جمع جوّ، والجوّ الهواء أيضاً، وهو ما بين السماء والأرض، وفي القرآن: ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾[3].

---

(١) في «أ»: (رسا) بدلا من: (انتهى).

(٢) سورة الشورى: ٣٣.

(٣) سورة النحل: ٧٩.

[البرايا]

وقوله: «مستقلّات بما عليهنّ من البرايا المتناهية»

البرايا: جمع بريّة، والبريّة الخلق، والباري الخالق الله ـ عزّ وجلّ ـ، والبرء مهموزاً وهو الخلق، ومنه قول الله ـ جلّ ثنائه ـ: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُم﴾[١] أي: خالقكم، هذا قول أصحاب اللغة[٢].

وقال قومٌ[٣]: برأ الله العباد أي سوّاهم وعدّلهم، كما يقال: برأ السهم والقلم أي: هيّأه وعدّله، قالوا: ومنه قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾[٤]، فقدّر ـ عزّ وجلّ ـ الخلق وهو معنى خلق، ثمّ برأهم أي: عدّلهم، ثمّ صوّرهم، ومن ذلك قالوا أيضاً قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٥].

والمتناهي: هو المنتهي إلى غاية، وهو مأخوذ من النهاية، والنهاية كالغاية، وهي منتهى الشيء، يقال: تناهت الثمرة إذا بلغت غاية طيابها.

وقوله: «وغامضٍ لا يعلن»

الغامض: الخفيّ.

وقوله: «لا يعلن» يقول: لا يظهر[٦].

---

(١) سورة البقرة: ٥٤.

(٢) انظر: العين ٨: ٢٨٩، الصحاح ١: ٣٦

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سورة الحشر: ٢٤.

(٥) سورة الانفطار: ٦ ـ ٨.

(٦) قوله: (وقوله لا يعلن يقول لا يظهر) لم يرد في «ب».

وقوله: «ولاالعقول أن تختاله»

أي: تقدّره خيالاً، وقد مضى شرح الخيال.

وقوله: «سبحان الله عمّا يصفه به العادلون»

يعني العادلين عن الحقّ.

وقوله: «وجعل مشاعرها دلائل على معرفته»

قد تقدّم القول بأنّ المشاعر المعالم، وأراد بمشاعر الخلق هاهنا حواسّهم التي بها يعلمون ما تدركه من الأشياء.

وقوله: «وغرّز غرائزها»

الغرايز: جمع غريزة، والغريزة الطبيعة. قال الشاعر[1]:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الفَتَى   وَالجُودَ مِن كَرَمِ الغَرَايِزِ[2]

وقوله: «أنشأ ماءً متلاطماً وجعل تياره متراكماً وموجه مترادفاً متقاذفاً»

المتلاطم: الذي يلطم بعضه بعضاً في حين اضطرابه.

والمتراكم: الذي علا بعضه بعضاً.

والمتقاذف: الذي يقذف بعضه بعضاً أي: يرمي بعضه بعضاً ويكّر بعضه على بعضٍ حين اضطرابه.

وقوله: «والماء بينهما مضطربٌ دفيق»

بمعنى مدفوق كما قيل: قتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح.

---

(١) نقل عن عمرو بن عبدود في حرب الخندق، وقد تقدّم ترجمته.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٨: ٧٥، العثمانية للجاحظ: ٣٣٨.

وقوله: «ثمّ أنشأ الريح العقيم»

يقال للمرأة التي لا تلد: عقيم، وللرجل كذلك. والريح العقيم هي التي لا تلقح شجراً ولاسحاباً ولامطراً، وفي القرآن: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[١]، فهذه ريح يرسلها الله ـ عزّوجلّ ـ لما يشاء، وليست من الرياح اللواقح التي ذكرها الله ـ سبحانه ـ فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[٢]، فهي عقيم لا تلقح.

وقوله: «فمخضته مخض السقاء»

السقاء: القربة. ومخضها تحريكها حين تمخض واللبن فيها لتستخرج زبده. والمخض يستعمل في أشياء كثيرة في معنى الحركة.

وقوله: «فردّت أوّله على آخره، وساجيه على طائره»

الساجي: الساكن، وفي القرآن: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٣] أي: سكن، يقول: ردّت الريح ما سكن من الماء على ما تطاير منه وقت اضطرابه.

وقوله: «حتّى صار زبداً وركاماً»

الركام: ما تراكم بعضه على بعض. والركم جمعك شيئاً فوق شيء حتّى تجعله ركاماً، أي مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحوذلك من الشيء المتراكم.

وقوله: «فخلق منه سبعاً طباقاً طرائق»

الطرائق: جمع طريقة، والطريقة كلّ شيء جُعل بعضه على بعض، والسماوات

---

(١) سورة الذاريات: ٤١.

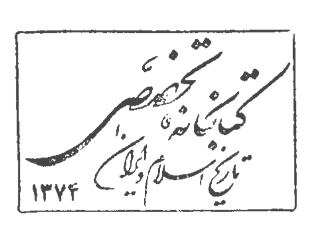
(٢) سورة الحجر: ٢٢.

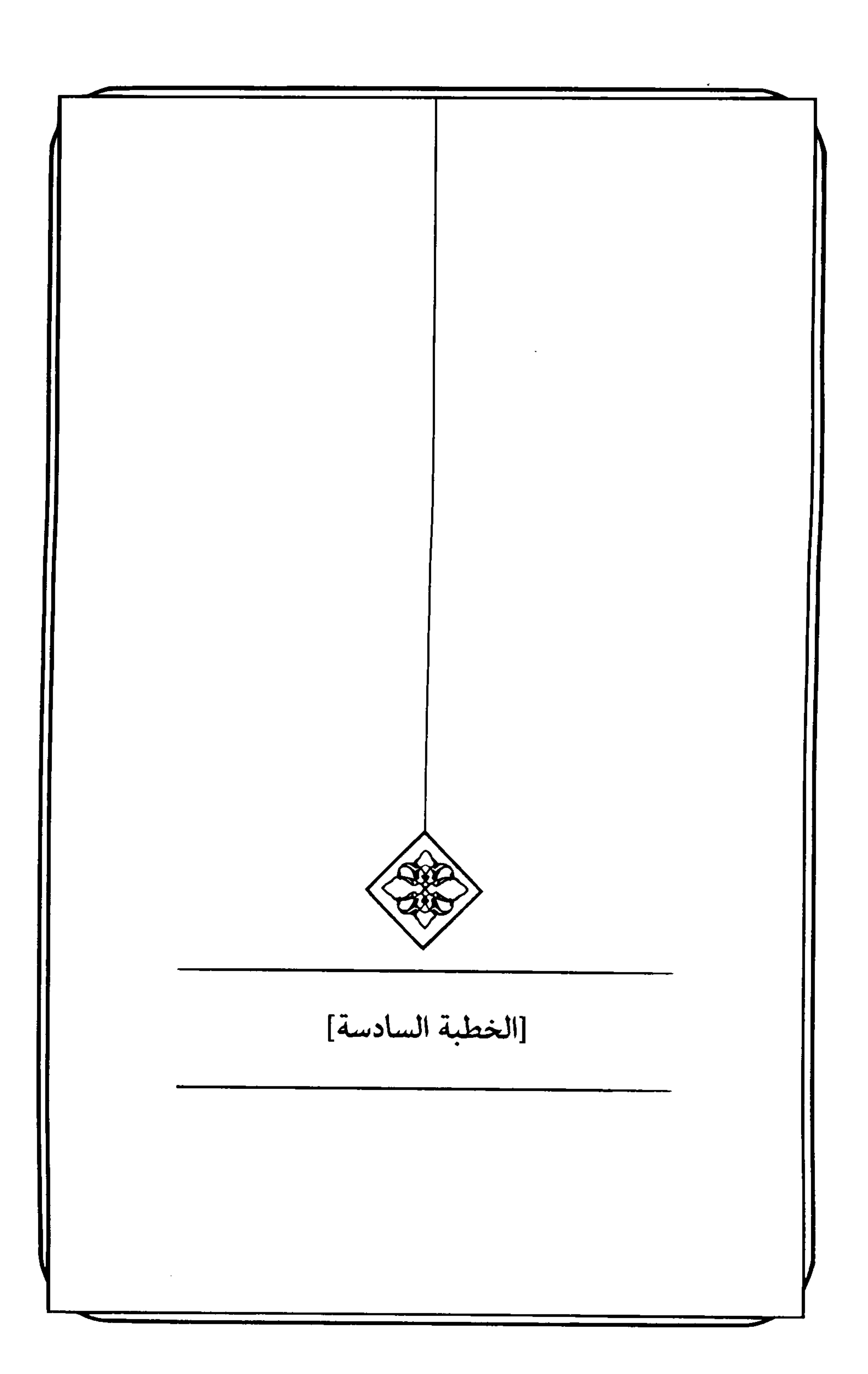
(٣) سورة الضحى: ٢.

السبع والأرضون السبع طرائق بعضها فوق بعض، وفي القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون: ١٧.


کتابخانهٔ تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴



[الخطبة السادسة]



وهذه توحيد لأميرالمؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ

روي عنه ﷺ أنّ رجلاً وقف إليه، وقال: يا أميرالمؤمنين! إنّي رجل من أهل البصرة، و إنّي تركت بها قوماً يزعمون أنّ الله يرضى عن العبد ثمّ يسخط عليه، وأنّ الله يسخط على العبد ثمّ يرضى عنه، وأنّ الله يهبط عشيّةَ عرفةَ إلى سماء الدنيا.

فكبُرذلك على أمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ، وقال:

«الحَمدُ للهِ الدَّائِمِ القَدِيمِ الَّذِي لَم يَزَل وَلَا يَزَالُ إِلَى غَيرِنِهَايَةٍ، وَلَاانتِهَاءَ لَهُ، و﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾[1]، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾[2]، الَّذِي لَم يَسبِق لَهُ حَالٌ حَالا، فَيَكُونُ أَوَّلاً قَبلَ أَن يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونُ ظَاهِراً قَبلَ أَن يَكُونَ بَاطِناً، الَّذِي ﴿لَا تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾[3]، المُحِيطُ بِكُلِّ شَيءٍ عِلماً وَلَا يُحَاطُ بِهِ، الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي امتَدَحَ بِمَا وَصَفنَاهُ بِهِ مِن

---

(١) سورة الرعد: ٤١.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٣.

أَنوَاعِ مَدحِهِ، وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ مِمّا لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيهِ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُمدَحُ بِهِ إِلَّا هُوَ.

فَكُلُّ مَمدُوحٍ بِفَضلِهِ يُمدَحُ، وَكُلُّ مَحمُودٍ بِجُودِهِ يُحمَدُ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيهِ مُبتَهِلٌ[١] مُقِرٌّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَكُلُّ مُسَمًّى بِالوَحدَةِ غَيرَهُ كَثِيرٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ دُونَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ سِوَاهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيرَهُ مَملُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيرَهُ يَصَمُّ[٢] عَن لَطِيفِ الأَصوَاتِ وَتَصُمُّهُ كَبِيرُهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيرَهُ يَعمَى عَن خَفِيِّ الأَلوَانِ وَلَطِيفِ الأَجسَامِ، وَكُلُّ جَوَادٍ غَيرَهُ بَخِيلٌ، وَكُلُّ غَنِيٍّ غَيرَهُ فَقِيرٌ، وَكُلُّ كَبِيرٍ غَيرَهُ صَغِيرٌ، وَكُلُّ حَيٍّ غَيرَهُ مَيِّتٌ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيرَهُ غَيرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيرَهُ غَيرُ ظَاهِرٍ، وَكُلُّ مَدرُوكٍ بِالأَبصَارِ مَحدُودٌ.

وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، وَلَا أَمَدَ لَهُ وَلَا غَايَةَ، وَ﴿لَا تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾. وَلَو كَانَ مَحدُوداً لَكَانَ مُتَكَلِّفاً لِحُدُودِهِ، مُحتَاجاً نَاقِصاً تَجُوزُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقصَانُ، وَلَو جَازَت فِيهِ الزِّيَادَةُ لَكَانَ مُحتَاجاً نَاقِصاً، وَلَو جَازَ فِيهِ النُّقصَانُ لَكَانَ مَنقُوصاً. فَسُبحَانَ مَن لَا يُشبِهُهُ شَيءٌ فَيَكُونَ لَهُ مِثلًا، وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيءٌ فَيَكُونَ لَهُ ضِدّاً، فَلَيسَ إِلَّا هُوَ وَصِفَتُهُ.

ابتَدَأَ الخَلِيقَةَ ابتِدَاءً لَا مِن شَيءٍ كَانَ قَبلَهُ وَلَا مِن أَصلٍ يُضَافُ إِلَيهِ أَو يُعرَفُ لَهُ، فَكَانَ إِنَّمَا صَنَعَهُ لَهَا مُمتَثِلًا وَاحتَذَاهُ لَهَا عَلَى ذَلِكَ المِثَالِ، بَل خَلَقَهَا عَلَى مَا أَرَادَ، فَلَم يُرَدِّدْ بِخَلقِهِ إِيَّاهَا؛ إِذ خَلَقَهَا عِلماً، وَلَا بِمِلكِهِ إِيَّاهَا؛ إِذ مَلَكَهَا مِلكاً.

---

(١) ابتَهَلَ إلى الله في الدعاء، أي: جدّ واجتهد. العين ٤: ٥٥.

(٢) الصَمَم: ذهاب السمع. العين ٧: ٩١.

لَم يُكَوِّنهَا لِتَشدِيدِ سُلطَانٍ، وَلَا لِخَوفٍ مِن زَوَالٍ، وَلَا استِعَانَةٍ عَلَى ضِدٍّ مُكَابِرٍ، وَلَا نِدٍّ مُبَايِنٍ، وَلَكِن خَلَائِقُ مَربُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ[1]. لَم يَـأْدْهُ خَلقٌ مِن ابتِدَاءٍ، وَلَا مِن عَجزٍ وَفَترَةٍ بِمَا خَلَقَ اكتَفَى، وَلَا مِن شُبهَةٍ دَخَلَت عَلَيهِ فِيمَا أَرَادَ وَشَاءَ، بَل قَضَاءٌ مُتقَنٌ وَعِلمٌ مُحكَمٌ وَأَمرٌ مُبرَمٌ. تَوَحَّدَ فِيهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَاختَصَّ نَفسَهُ بِالعِبَادَةِ وَالعِزِّ وَالكِبرِيَاءِ وَالأُلُوهِيَّةِ.

سُبحَانَ مَن تَعَزَّزَ بِالتَّوحِيدِ، وَتَوَحَّدَ بِالتَّحمِيدِ، وَعَظُمَ عَنِ التَّمثِيلِ، وَجَلَّ عَنِ التَّشبِيهِ، وَعَلَا عَن اتِّخَاذِ الأَولَادِ، وَطَهُرَ عَن مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ. الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَفنَى، شَاهِدُ كُلِّ نَجوَى، وَعَالِمُ السِّرِّ وَمَا هُوَ أَخفَى، وَهُوَ أَقرَبُ مِن الشَّيءِ إِلَى الشَّيءِ لَا كَمُشَاهَدَةِ شَيءٍ مِنَ الأَشيَاءِ، بَل هُوَ أَقرَبُ مِن ذَلِكَ، المُحِيطُ بِكُلِّ شَيءٍ لَا كَإِحَاطَةِ الشَّيءِ بِالشَّيءِ، لَم يَحلُل فِي الأَشيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَم يَنأَ عَنهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنهَا بَائِنٌ، وَلَم يَخلُ عَنهَا فَيُقَالَ لَهُ أَينَ.

فَسُبحَانَ الدَّائِمِ بِلَا مُدَّةٍ، وَالبَاقِي إِلَى غَيرِ غَايَةٍ، ذِي القُدرَةِ وَالقُوَّةِ، المُصطَفِي مَا يَشَاءُ بِالمَشِيَّةِ، مُستَوجِبُ الحَمدِ وَالثَّنَاءِ، وَمُستَحِقُّ الشُّكرِ بِالآلَاءِ، الَّذِي عَلَا بِالنُّورِ وَالبَهَاءِ، الَّذِي أَحصَى عَدَدَ قَطرِ المَطَرِ، وَنَبتَ أَلوَانَ الشَّجَرِ، لَا تُبرِمُهُ الحَاجَاتُ، وَلَا تَحجُبُ عَنهُ الدَّعَوَاتُ، وَلَا يُكَافِئُهُ مَخلُوقٌ، وَلَا حَيَوَانٌ مَرزُوقٌ، وَلَا تَلمَسُهُ أَيدِي اللَّامِسِينَ، وَلَا تُدرِكُهُ أَعيُنُ النَّاظِرِينَ. تَعَالَى بِالجَلَالِ، وَتَفَرَّدَ بِالكِبرِيَاءِ، ذَلِكَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

---

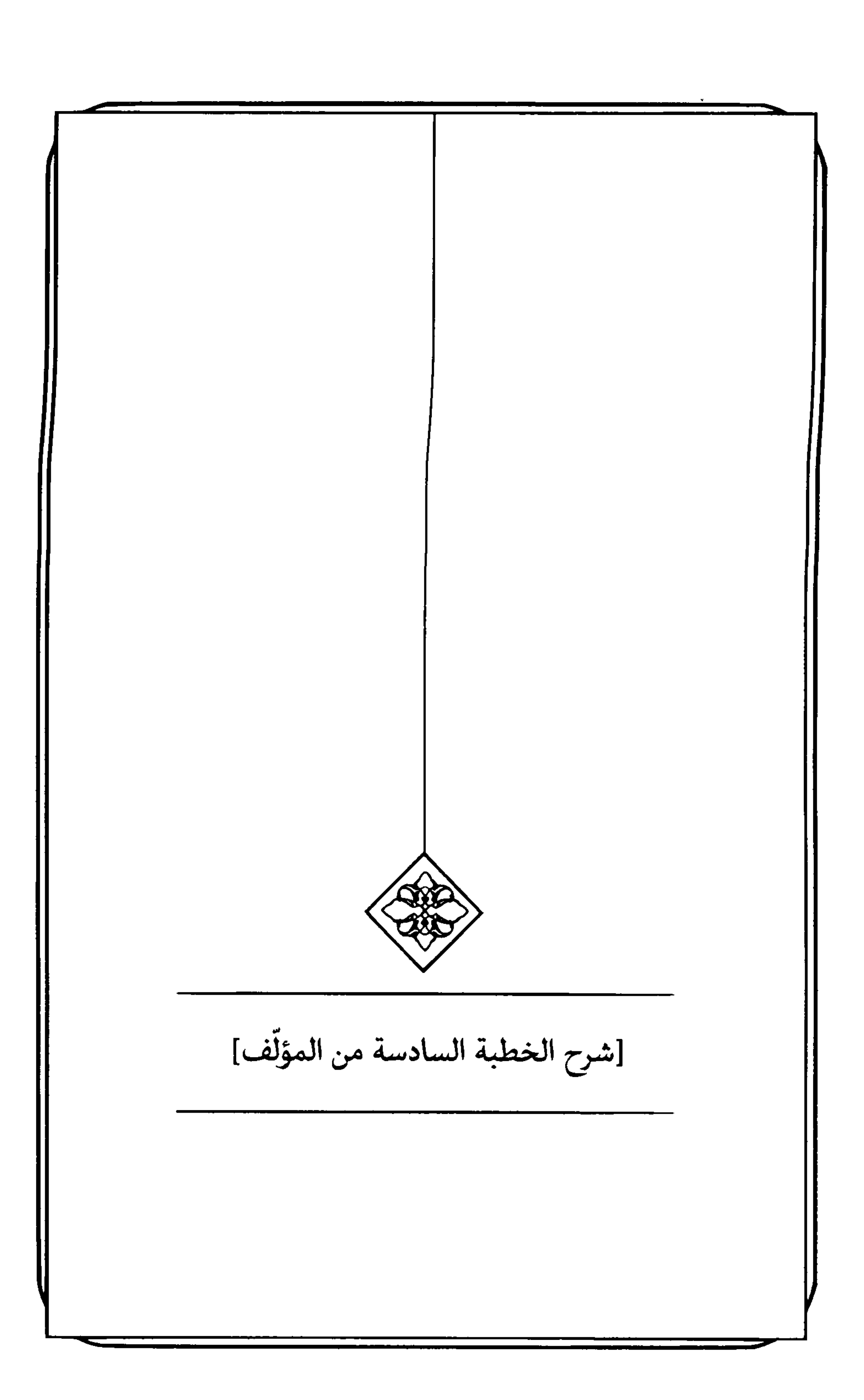
(١) الدُخور: الصَغار والذلّ. يقال: دَخَرَ الرجل بالفتح فهو داخِر. الصحاح ٦: ٦٥٥.

يَا أَخَا أَهلِ البَصرَةِ، إِذَا أَتَيتَهُم فَبَلِّغهُم هَذَا عَنِّي إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى»[1].

---

(١) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:

نهج البلاغة: ٦٢، الكافي ١: ١٣٦/١، باب جوامع التوحيد، التوحيد: ٤٣/٣، باب التوحيد ونفي التشبيه.



[شرح الخطبة السادسة من المؤلّف]



قد مضى فيما تقدّم من الشرح والبيان كثير ممّا جاء مثله في هذا التوحيد، تركنا شرحه وبيانه لما قدّمنا ذكره في مثل ذلك، ونحن الآن نشرح ونبيّن ما لم يجرِ مثله ممّا ينبغي شرحه وبيانه إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك قوله: «لا معقّب لحكمه»

وقد جاء ذلك في القرآن، يقول: لا رادّ لقضائه.

وقوله: **«لم يسبق له حال حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، أو يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»**

يعني أنّ أحواله لا تتصرّف كما تتصرّف أحوال المخلوقين فيكون مرّة في حال ومرّة في حال، فيتعاقبه الأحداث، وتتصرّف به الأحوال، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

[كلّ يوم هو في شأن]

وقوله ـ جلّ من قائل ـ: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ في شَأن﴾[1]. الشأن في اللغة: هو الأمر

---

(١) سورة الرحمن: ٢٩.

والخَطب[1]، يقال: ما خطبك؟ وما أمرك؟ وما شأنك؟ بمعنى واحد، ومعنى ذلك: ما أنت صانع؟ قال أصحاب التفسير[2] في قول الله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَانٍ﴾: من شأنه أن يميت ويحيي ـ يعني ما يولد ـ، وأن يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويشفي مريضاً، ويفكّ عانياً[3] وشأنه كثير لا يحصى.

فشأن المخلوق أمره الذي هو فيه، وذلك يشغله عن غيره من الأمور، والله عزّ وجلّ ـ كما جاء في صفته لا يشغله شأن عن شأن[4] ـ بان بالقدرة عن ذلك وغيره من صفات خلقه، فهو كلّ يوم في شأن، كلّ شيء بلا انفراد بشأن دون شأن، قد أحكم كلّ شيء صنعاً، وأحاط بكلّ شيء علماً، ووسع كلّ شيء خبراً.

[الصفات التي يمدح بها]

وقوله: «الذي امتدح بما وصفناه به من أنواع مدحه وما وصف به نفسه ممّا لا يكون إلّا فيه ولا يجوز إلّا له»

معنى ذلك: أنّ كلّ ما يمدح به المخلوق ممّا هو فيه وما يفعله فإنّما ذلك منه وفيه على سبيل المجاز، وقد قدّمنا بيان ذلك وشرحه؛ لأنه قد يقال: إنّه فاضلٌ وهو مفضول؛ لأنه قد يكون فاضلاً وفوقه لا محالة من هو أفضل منه، لا

---

(١) العين ٦: ٢٨٧، الصحاح ٥: ٢١٤٣.

(٢) بهذا المضمون في تفسير الطبري ٢٧: ٧٨، تفسير عبد الرزّاق ٢: ٢١٢، تفسير البغوي ٤: ٣٣٥.

(٣) العاني: الأسير. الصحاح ٦: ٢٤٤٠.

(٤) مصباح المتهجّد ١: ٧٤، وج١: ٣٠٦، وج١: ٥٠٤، إقبال الأعمال ١: ٣٦٨، وج٢: ١٣٩، وج٢: ٢١٢، المصباح للكفعمي ١: ٣٤، وج١: ٧٩.

يخلو من ذلك بشر ولا ملك مقرّب حتّى ينتهي الفضل إلى من له الفضل بالحقيقة، الله أهل الفضل الذي لا يمدح بالحقيقة بذلك أحد سواه.

وكذلك يقال: عالم وحكيم وقويّ وعزيز وسميع وبصير وخبير وغير ذلك من صفات الفضل التي يوصف بها المخلوقون، وكلّها هكذا على المجاز حتّى ينتهي إلى معطي ذلك ومولاه، ومن هو له ومنه بالحقيقة، الله ربّ العالمين، ولا يمدح بذلك بالحقيقة إلّا هو، وحده لا شريك له.

وقوله: «فكلّ ممدوح بفضله يمدح، وكلّ محمود بجوده يحمد»

معنى ذلك: أنّ كلّ ممدوح من الخلق بما عسى أن يمدح به من خَلق وخُلق وفضل وإحسان فالله ـ جلّ وعزّ ـ المنعم بذلك عليه والفاتح له فيه وموجبه ومسببه له سبحانه فبفضله عليه يمدح وبما جاد به عليه يحمد.

وقوله: «كلّ مسمّى بالوحدة غيره كثير، وكلّ عزيز دونه ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلّم، وكلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات وتُصمّه كبيرها، وكلّ بصير غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكلّ جواد غيره بخيل، وكلّ غنيّ غيره فقير، وكلّ حيّ غيره ميّتٌ، وكلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر»

فقوله: «كلّ مسمّى بالوحدة غيره كثير»

هو أنّ كلّ ما يسمّى واحداً من أيّ عدد كان كثير، وقد تقدّم ذكر بيان الأحد والواحد، وأنّ الله سبحانه هو الأحد والواحد بالحقيقة، لا ثاني له.

[حقيقة الصفات في الله وفي المخلوقين]

وقوله: «كلّ عزيز غيره ذليل»

لأنّ فوق كلّ عزيز من المخلوقين ـ كما ذكرنا معنى ذلك ـ من هو أعزّ منه فهو ذليل لمن هو أعزّ منه[١] حتّى تنتهي العزّة إلى من هي له بالحقيقة، وهو الله ربّ العالمين، فلا شيء أعزّ منه، وهو العزيز بالحقيقة. وقد يعود العزيز من المخلوقين بعد عزّته ذليلاً.

وكذلك ما ذكر في هذا الفصل من القويّ والمالك والعالم والسميع والبصير والجواد والغنيّ والحيّ، وفوق كلّ ذي صفة من هذه الصفات من المخلوقين من هو أولى وأقعد[٢] بها منه. وقد تزول هذه الصفات عن المخلوقين وتعقّبهم أضدادها، والموصوف بذلك بالحقيقة الذي لا شيء فوقه، ولا أحد أقعد بذلك منه، ومن لا يزول ذلك عنه، الله المتفرّد بذلك، وحده لا شريك له.

[الظاهر والباطن]

وأمّا قوله: «وكلّ باطن غيره غير ظاهر، وكلّ ظاهر غيره غير باطن»

فذلك قوله الذي وصف به نفسه عزّ وجلّ: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنِ**﴾[٣]، وانفرد بهذه الصفة وحده ـ سبحانه ـ بأن كان ظاهراً باطناً، ظهر بآياته وبطن بقدرته، وكلّ مخلوق دونه ظاهرٌ وليس بباطن، أو باطنٌ وليس بظاهر، قد أعجزهم عمّا تفرّد

---

(١) قوله: (فهو ذليل لمن هو أعز منه) لم يرد في «ب».

(٢) يقال: هذا أَقعَد من ذاك في النسب أي أسرع انتهاء وأقرب أباً. العين ١: ١٤٣.

(٣) سورة الحديد: ٣.

به سبحانه، وتوحّد دونهم؛ لتفرّده بالوحدة دون جميع الخلق.

[المثل والشبه]

وقوله: «فسبحان من لا يشبهه شيء فيكون له مثلاً، ولم يكن معه شيء فيكون له ضدّاً»

المثل في اللغة[١]: الشبه، يقولون: هذا مثل هذا أي: شبهه إذا أشبهه، ومن ذلك قيل: التمثيل والمثال لما يجعل شبهاً لما يمثّل عليه. فمن شبّه الله تعالى بشيء غيره فقد جعل له مثلاً، تعالى الله وجلّ عن الأشباه والأمثال. ولو كان معه شيء غيره لكان له ضدّاً، ولو كان شيء قبله لكان محدثاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقوله: «فليس إلّا هو وصفته»

يعني في الوحدة ونفي الأشباه والصفات والأضداد، فليس شيء مثله، ولا صفة كصفته سبحانه.

وقوله: «لم يأده خلق ما ابتدا»

يقال من ذلك: آدني هذا الأمر، يؤدن عادي[٢]، وهو يؤودني أوداً وأووداً إذا بلغ منك المجهود والمشقّة[٣]. وفي القرآن: ﴿وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾[٤].

---

(١) العين ٨: ٢٢٨، صحاح ٥: ١٨١٦.

(٢) قوله: (يؤدن عادي) لم يرد في «أ».

(٣) العين ٨: ٩٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٥.

[الإحاطة من الله]

وقوله: «والمحيط بالشيء لا كإحاطة الشيء بالشيء»

إحاطة الشيء بالشيء: إحداقه[1]. يقال من ذلك: أحاطت الخيل بفلان، واحتاطت به إذا دارت حوله وأحدقت به. ويقال من إحاطة العلم: أحاط فلان بأمر كذا علماً إذا علم أقصاه، ولم يحط به علماً إذا لم يبلغ ذلك.

والله ـ عزّ وجلّ ـ أحاط بكلّ شيء قدرةً وعلماً كما وصف بذلك نفسه في كتابه، فقال جلّ من قائل: ذلك ﴿**لِتَعلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَأَنَّ اللهَ قَد أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلماً**﴾[2].

وقدرته وإحاطته ـ عزّ وجلّ ـ لا تشبه بقدرة المخلوقين على ما يقدرون عليه من الأشياء وإحاطتهم بها، ولا بإحاطة الشيء بالشيء كالذي يشاهد من إحاطة الحائط بالبستان وغير ذلك ممّا يحيط بالأشياء. ومن الإحاطة سمّي الحائط؛ لأنه يحيط بما دار عليه[3].

فأفعال العباد وما يشاهدونه من المخلوقات لا تشبه بأفعال الخالق ولا يمثّل عليها مخلوقاته به، جلّ وعزّ عن ذلك؛ وقد تقدّم بيان هذا وشرحه على التمام.

[الاصطفاء من الله]

وقوله: «المصطفي ما يشاء بالمشيّة»

يقول: المختار ما يريد كما يشاء سبحانه.

---

(١) العين ٣: ٢٧٦.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.

(٣) العين ٣: ٢٧٧.

في هذا التوحيد جواب ما سأل عنه السائل المذكور ذلك في أوّله؛ لأنّ الأشباه والأمثال إذا انتفت عن الله ـ عزّوجلّ ـ من جميع الجهات ـ كما هي منفيّة عنه سبحانه ـ لم يشبه رضاه وسخطه برضا المخلوقين وسخطهم، ولاأن يقطع العباد في ذلك عليه ولا في شيء من أمره ـ جلّ ذكره ـ؛ لأنّه يقول ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿لا يُسئَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسئَلُون﴾[1]، و إنّما يُسئل عن فعله المخلوق، وهذا فيما ذكر آخراً في هذا التوحيد من قوله: «يصطفي ما يشاء بالمشيّة»، ذلك قول جامع لكلّ شيء، وفي قوله: «لا معقّب لحُكمه».

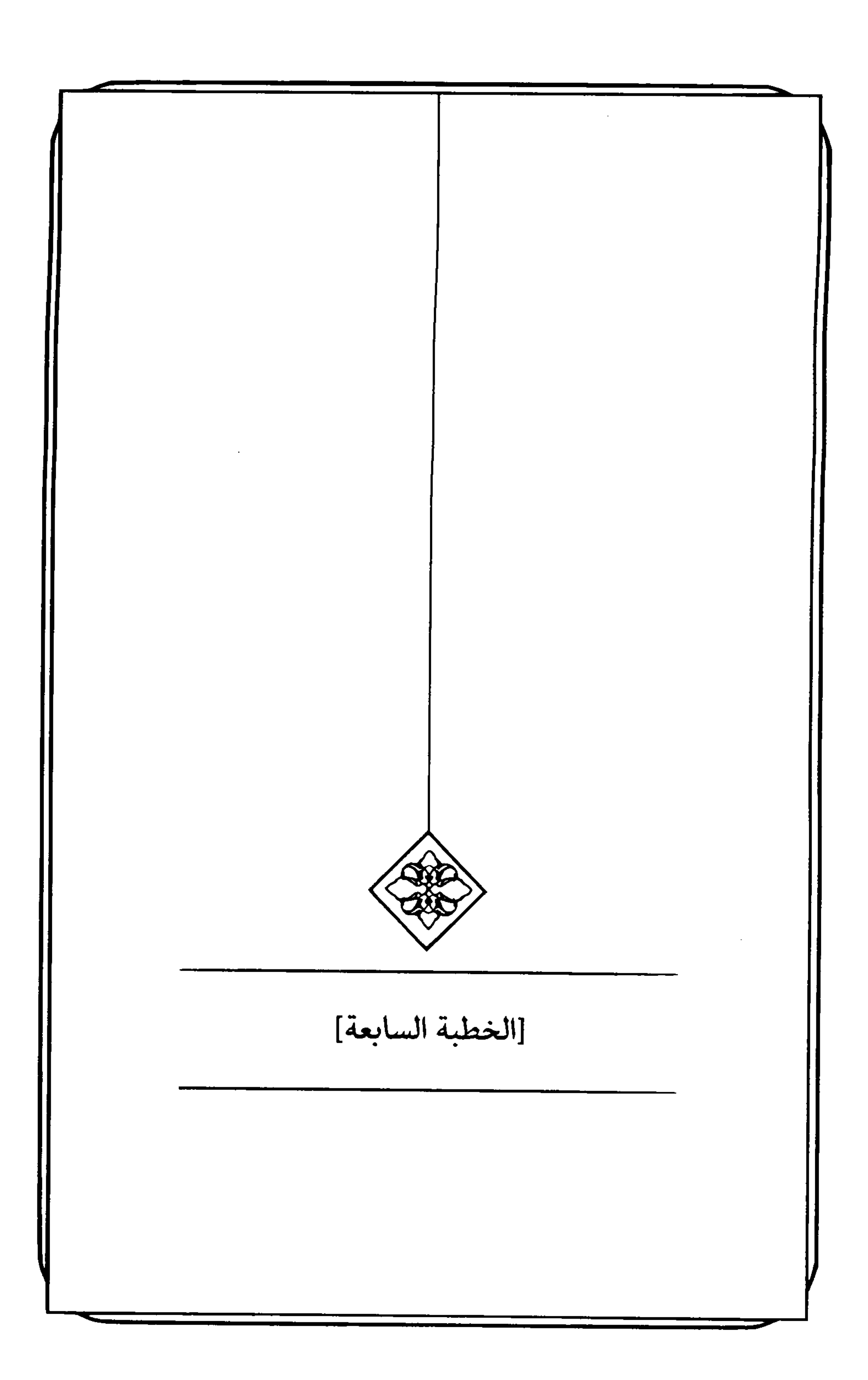
فأمّا ما قيل من هبوطه إلى سماء الدنيا[2] فالله ـ جلّ وعزّ ـ كما تقدّم في البيان لا تحيط به الأشياء، وقد جاء ذلك في هذا التوحيد وأنّه هو المحيط بكلّ شيء لا كإحاطة الأشياء بالأشياء، وقوله ﷺ: «لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائنٌ، ولم ينأَ عنها فيقال هو منها بائنٌ، ولم يخلُ عنها فيقال له أين» ففي ذلك وغيره ممّا ذكر في هذا التوحيد ما ينفي عن الله ـ عزّوجلّ ـ الحلول في الأمكنة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٣.

(٢) لم نعثر عليه.





[الخطبة السابعة]

وهذا توحيد أيضاً لأمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ

روي عنه ـ صلوات الله عليه ـ أنّه كان يوماً جالساً في مسجد الكوفة إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! هل تصف لنا خلق السماوات والأرض والجبال والبحار، وكيف كان بدؤ ذلك؟

فقبض عليه السلام بيده على لحيته وهي بيضاء وهملتا[1] عيناه، ثمّ قام فصعد المنبر فقال:

«الحَمدُ للهِ الَّذي تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَفَرَّدَ بِالأُلُوهِيَّةِ، وَبَانَ بِالصَّمَدَانِيَّةِ، وَدَانَ لَهُ الخَلقُ بِالعُبُودِيَّةِ، فَقَهَرَ بِعِزَّتِهِ وَسُلطَانِهِ، وَاستَحمَدَ إِلَى خَلقِهِ، وَتَفَضَّلَ بِامتِنَانِهِ، وَأَوسَعَ مِن عَطَائِهِ، وَأَسبَغَ مِن نَعمَائِهِ، الوَاحِدُ فِي الوَحدَانِيَّةِ، الصَّمَدُ فِي الصَّمَدَانِيَّةِ، الَّذي ﴿لَم يَلِد وَلَم يُولَد، وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

لَم يَكُن مَعَهُ شَيءٌ كَائِنٌ وَلَاكَانَ قَبلَهُ، إِذكَانَ سَامِياً عَلَى عَرشِهِ فَوقَ البِحَارِ الغَامِرَةِ، وَاللُّجَجِ الزَّاخِرَةِ[2]، وَالأَموَاجِ المُتَرَاكِمَةِ، وَالظُّلَمِ المُدلَهِمَّةِ، وَالحَنَادِسِ

---

(١) هملَت. همَلت عينه تهمُل وتهمِل هَملاً وهَمَلاناً، أي: فاضت. الصحاح ٥: ١٨٥٤.

(٢) زخر البحر إذا جاش ماؤه وارتفعت أمواجه. العين ٤: ٣٠٧

المُطْلَخِمَّةِ، وَالمِيَاهِ المُستَفحِلَةِ[1] بِأَهَاوِيلِهَا، فَكَانَ رَبُّنَا قَاهِراً لَهَا، عَالِياً عَلَيهَا، مُذَلِّلاً لَهَا.

خَلَقَ مَا شَاءَ كَيفَ شَاءَ، وَأَنشَأَ رِيحاً فَأَدَارَهَا طَائِعَةً لِأَمرِهِ، مُذعِنَةً مِن خَوفِهِ وَأَجرَاهَا[2] عَلَى المَاءِ، فَتَضَعضَعَ المَاءُ المُتَزَاخِرُ لِصَوتِهَا، وَارتَفَعَ لِدَكدَكَتِهِ وَاضطِرَابِهِ، وَقَدَحَ نِيرَاناً فَاستَثَارَت دُخَاناً، فَأَمَرَ الرِّيَاحَ فَاحتَمَلَتِ الدُّخَانَ سَامِحَةً، تَرفَعُهُ لِلَطِيفِ مَا أَرَادَ مِن خَلقِ السَّمَاوَاتِ.

ثُمَّ كَبَسَ مِنَ المَاءِ بِمَا شَاءَ لِمَا شَاءَ كَبساً فَصَارَ ذَلِكَ لِذَلِكَ سَمَاءً وَأَرضاً، وَخَلَقَ مِن نُشُوزِهِ الجِبَالَ فَجَعَلَهَا أَوتَاداً مِن تَدبِيرِ الأَمرِ لِمَاضِي الدَّهرِ، ثُمَّ اشتَقَّ مِن بَهجَةِ نُورِهِ شَمساً وَقَمَراً، ﴿ثُمَّ استَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرضِ ائتِيَا طَوعاً أَو كَرهاً قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِينَ﴾[3]، فَسَمَكَ الجَلِيلُ رَفعَهُنَّ، وَعَلَى غَيرِ عَمَدٍ وَضَعَهُنَّ، ثُمَّ أَطلَعَ شَمسَهُ النُّورِيَّةَ عَلَى العِبَادِ، وَجَعَلَهَا لِجَمِيعِ خَلقِهِ سِرَاجاً وَهَّاجاً، يَنتَفِعُونَ بِحَرِّهَا، وَيَستَضِيئُونَ بِنُورِهَا.

فَسُبحَانَ مَن جَعَلَ اللَّيلَ مُظلِماً، وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً، وَكَوَّرَ اللَّيلَ عَلَى النَّهَارِ، وَكَوَّرَ النَّهَارَ عَلَى اللَّيلِ بِأَمرِهِ المُدَبِّرِ، وَحُكمِهِ المُقَدِّرِ[4]، وَكَانَ مِن شَأنِ رَبِّنَا وَخَالِقِنَا أَنَّهُ القَدِيمُ جَبَرُوتُهُ، العَظِيمُ كِبرِيَاؤُهُ، المُتَعَزِّزُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالاحتِجَابِ عَن خَلقِهِ

---

(١) استفحل الأمر: عظم واشتدّ. العين ٣: ٢٣٥.

(٢) قوله: (طائعة لأمره مذعنة من خوفه وأجراها) لم يرد في «ب».

(٣) سورة فصّلت: ١١.

(٤) في «ب» زيادة قوله: (وكان من شأن ربّنا حكمه المقدّر).

بِعِلمِهِ وَحُكمِهِ؛ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ لَاتَصلَحُ إِلَّالَـهُ، وَالأُلُوهِيَّةُ لَاتَكُونُ لِغَيرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّـهُ خَالِقٌ غَيرُ مَخلُوقٍ، وَرَازِقٌ غَيرُ مَرزُوقٍ، وَسَالِبُ كُلِّ ذِي مِلْكٍ مِلكَهُ وَمُلكُهُ غَيرُ مَسلُوبٍ، يُحيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ الحَيُّ الَّذِي لَايَمُوتُ، كَذَلِكَ كَانَ رَبُّنَا وَكَذَلِكَ يَكُونُ دُونَ المَخلُوقِينَ.

فَأَنتَ اللهُ الجَلِيلُ لَا أَجَلَّ مِنكَ، القَدِيمُ لَا أَقدَمَ مِنكَ، البَدِيعُ لَا أَبدَعَ مِنكَ، العَزِيزُ لَا أَعَزَّ مِنكَ، الكَرِيمُ لَا أَكرَمَ مِنكَ، الجَوَادُ لَا أَجوَدَ مِنكَ، اللَّطِيفُ لَا أَلطَفَ مِنكَ.

خَلَقتَ اللَّهُمَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ بِلَطِيفِ مُحكَمِ صُنعِهِنَّ بِتَدبِيرِ أَمرِكَ وَنَافِذِ قَولِكَ. وَبَثَثتَ فِي الأَرضِ خَلقَكَ، وَعَرَّفتَهُم نَفسَكَ، وَتَأَنَّيتَهُم بِلُطفِكَ، وَعَطَفتَ عَلَيهِم بِرَحمَتِكَ.

فَأَسأَلُكَ يَا عَظِيمُ يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ يَا قَدِيرُ، بِاسمِكَ الَّذِي خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيءٍ، وَبِوَجهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيءٍ[1]، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي قَهَرتَ بِهَا كُلَّ شَيءٍ، يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ، وَيَا إِلَهَ العَالَمِينَ، أَن تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَتَرَحَّمَ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَتُبَارِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ وَرَحِمتَ وَبَارَكتَ عَلَى إِبرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبرَاهِيمَ، وَأَن تَغفِرَ لِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ، وَالمُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ، الأَحيَاءِ مِنهُم وَالأَموَاتِ.

يَا مَن إِلَيهِ رُفِعَت الأَيدِي، وَشَخَصَت الأَبصَارُ، وَمُدَّت الأَعنَاقُ، وَتُحُوكِمَ إِلَيهِ فِي الأَعمَالِ، احكُم بَينَنَا وَبَينَ قَومِنَا بِالحَقِّ، وَأَنتَ أَحكَمُ الحَاكِمِينَ.

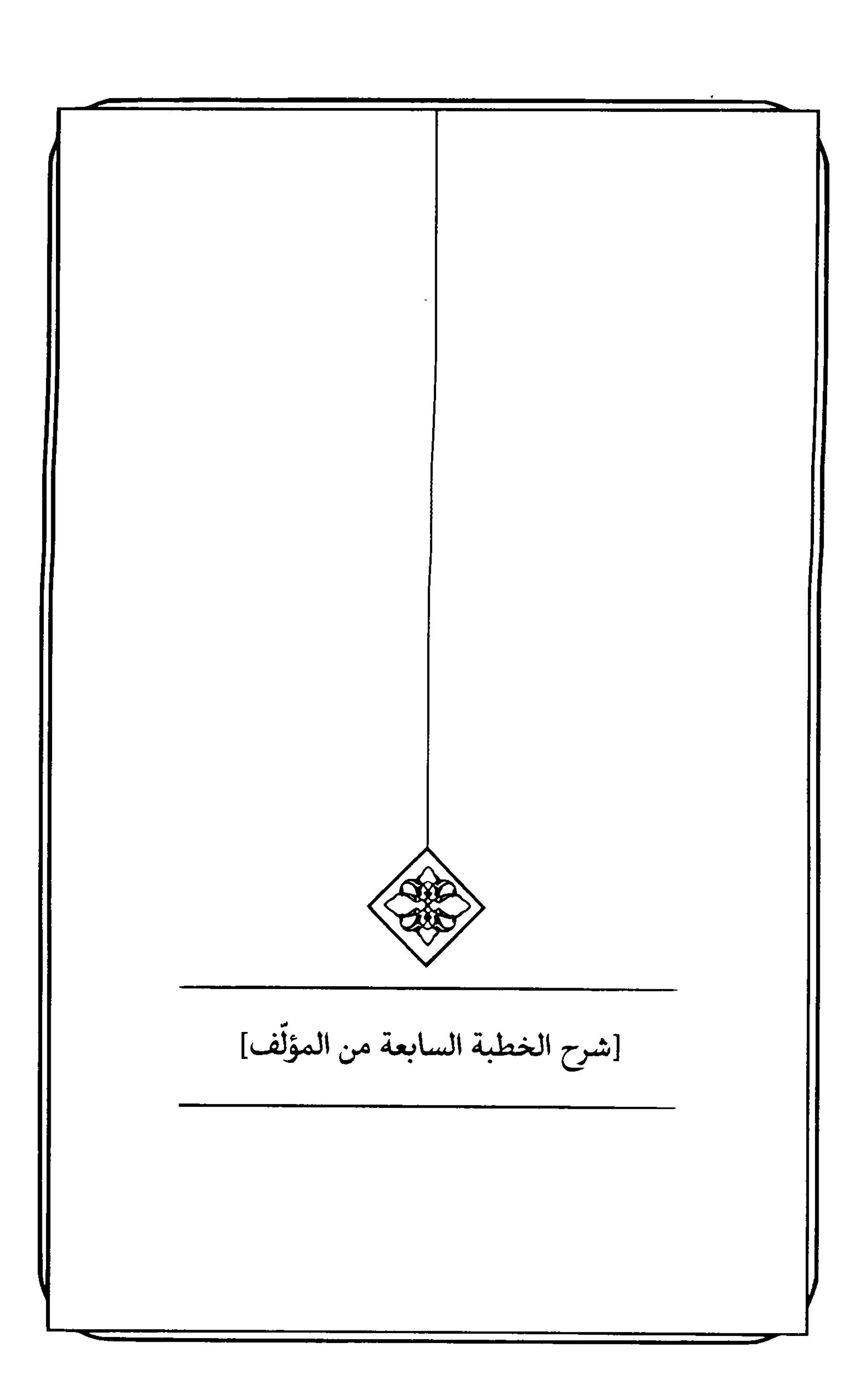
---

(١) قوله: (وبوجهك الذي أضاء له كلّ شيء) لم يرد في «أ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَدعُوكَ لِضُرٍّ لَا يَكشِفُهُ غَيرُكَ، وَلِكُربَةٍ لَا يُرجَى لِلفَرَجِ مِنهَا سِوَاكَ.
اللَّهُمَّ فَكَمَا كَانَ مِن شَأنِكَ مَا أَدَّيتَ لَنَا بِهِ مِن القَولِ وَالعَمَلِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَاغفِر لَنَا، إِنَّكَ وَاسِعٌ لِكُلِّ خَيرٍ»[1].

---

(١) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:
مصباح المتهجّد ٢: ٨٠٩، وج ٢: ٨٤٤.



[شرح الخطبة السابعة من المؤلّف]



وهذا بيان ما لم يأت بيان مثله وشرحه فيما تقدّم قبل هذا التوحيد ممّا جاء فيه على ما رسمناه فيما قبله.

فمن ذلك قوله: «سامياً على عرشه»

السّامي: العالي[1]. وقد تقدّم القول في العرش.

وقوله: «فوق البحار الغامرة»

الغَمر من الماء: المغرق[2]، وغمار البحر: جماعة الغَمر[3]. ويقال: غمره الماء إذا غرق فيه.

وقوله: «والظُلَم المدلهمّة»

يقال من ذلك: ادلهمّ الظلام إذا كشف واشتدّ[4]؛ قال الراجز:

لَا بِهِـم إِنَّ الحَـرَثَ بـنَ الصَـمَة　　　أَقبَـلَ فِـي هَمَـاهِمَ مُهِمَّـةٍ

---

(١) العين ٧: ٣١٩، الصحاح ٦: ٢٣٨٢.

(٢) في «أ»: (معروف) بدلا من: (المغرق).

(٣) العين ٤: ٤١٦.

(٤) القاموس ٤: ٦٢، العين ٤: ٤١٦.

فِـي لَيلَـةٍ ظَلمَـاءَ مُدلَهِمَّـةٍ   يَبغِـي رَسُـولَ الله فِيمَـا أَمَّـه[١]

وقوله: «والحنادس المطلخمّة»

الحنادس: جمع حِندِس، والحِندِس: الظلمة[٢]. يقال من ذلك: اطلخمّ الظلام إذا اشتدّ وأظلم، واطلخمّ السحاب إذا تراكم وأظلم، ومطلخمّات الأمور ما اشتدّ وأظلم منها.

وقوله: «فتضَعضَع الماء المتزاخر»

الضعضعة: الخضوع والتذلّل[٣]؛ قال أبوذؤيب الشاعر[٤]:

وتَجلُّـدِي لِلشَّـامِتِينَ أُرِيهِـم   إنّـي لِرَيـبِ الـدَّهرِ لَا أَتَضَعضَـعُ[٥]

وفي الحديث: «ما تضعضع امرؤٌ لآخر يريد به عرض الدنيا إلّا ذهب ثلثا دينه»[٦]. والضعضعة أيضاً التفريق، يقال: ضعضعتُ القوم فتضعضعوا أي:

---

(١) لم نعثر عليه في الدواوين والمجامع الشعرية، إلّا أنّه جاء غير منسوبة في كتاب العين ٤: ١٢٦ هكذا:

لا هم إنّ الحارث بن الصمة   أقبـل فـي مهامـه مهمـة

فـي ليلـة لـيلاء مُدلَهِمَّـة   تبغـي رسـول الله فيمـا تمـه

(٢) العين ٣: ٣٣٢.

(٣) العين ١: ٧٢.

(٤) خويلد بن خالد الهذلي، أبوذؤيب: شاعر مجيد مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم، ثمّ قضى نحبه ودلّاه ابن الزبير في حفرته. معجم الأدباء ٣: ١٢٧٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٢٩٧.

(٥) ديوان الهذليّين ١: ٣، العقد الفريد ٣: ٢١٠، جمهرة أشعار العرب ٣: ٥٣٦، حياة الحيوان ١: ٩١، ديوان المعاني ١: ١٣١.

(٦) يوجد الحديث مع اختلاف يسير في تحف العقول ١: ٨، الاختصاص ١: ٢٢٦، الأمالي للمفيد ١: ١٨٨، الأمالي للطوسي ١: ٢٢٩. وما ذكره المصنّف يوافق عبارة كتاب العين والظاهر أنّه نقل عنه.

فـرّقتهم فتفرّقـوا، ويقـال: ذهبـت الإبـل ضعاضـعَ أي: شـاذّة متفرّقـة، ويقـال: ضعضعه إذا حرّكه. قال ابن عرس الشاعر[١]:

فَرَّجـتُ عَـن كُـلِّ القَبَائِـلِ كُربَـةً ... بِالشَّعبِ حِينَ تَجَادَلُوا وَتَضَعضَـعُوا[٢]

وقد مضى شرح «المتزاخر» وأنّه الممتلئ.

وقوله: «وارتفع لدكدكته»

الدكدكة من الدكّ، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الأَرضُ دَكّاً دَكّاً﴾[٣] قيل في التفسير[٤]: دكّت: دقّت جبالها وأنشازها[٥] حتّى استوت. وقيل في اللغة: الدَكداك رمل متلبّد، وجمع الدُكّ الدَكادك[٦]، وقال:

يَدَعُ الحُزونَ دَكَادِكاً[٧]

وفي القرآن: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٨].

---

(١) قدم دمشق، حدّثنا أبوعبد الله ابن الملحمي السلمي، قال ابن عوف: أعرف وصوله إلى دمشق وأتحقّق فضله وسمعت إنشاده وذكره أخبار الفضلاء وإيراده كثيراً. وكان رجلا يملأ العين فعسى الحبل الجبال ويتطاول إلى خدم السلطان الكبار وقد بلغ قريبا ممّا أراد. تاريخ مدينة دمشق ٦٨: ٣٨.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٥: ١٧١.

(٣) سورة الفجر: ٢١.

(٤) تفسير غريب القرآن ١: ٤٥٣، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن١: ٢٣٢.

(٥) أنشازها. النَشزوالنَشَز: المكان المرتفع. وجمع النَشزنُشوز، وجمع النَشَزأَنشاز. الصحاح ٣: ٨٩٩.

(٦) الصحاح ٤: ١٥٨٤، العين ٥: ٢٧٤.

(٧) الظاهر أنّ العبارة منقولة من كتاب العين وفيه هكذا: يدع الحزون دَكَادِكاً وَرمالا. ولم نعثر على قائله.

(٨) سورة الأعراف: ١٤٣.

وقوله: «وقدح نيراناً»

من قدَح يقدَح، والقادح هو الذي يقدح بالزند[١] ليوري[٢] النار، والقَدح فعل القادح.

وقوله: «فاحتملت الدخان سامحةً ترفعه»

من السماحة، يقال منه: سمح الرجل بماله وسمح بنفسه وبما يراد منه إذا فعل ذلك عن طوع منه.

وقوله: «ثمّ كبس من الماء ما شاء لما شاء كبساً فصار سماءً وأرضاً»[٣]

الكَبس: ضمّك حفرة بتراب[٤]، والفعل كبَس يكبس كَبساً، واسم التراب: الكِبس، والجبال الكُبَّس هي الصِلاب الشداد.

وقوله: «وخلق من نشوزه الجبال فجعلها أوتاداً»

النشوز: جمع نَشز، والنَشز: الشيء المرتفع، يقال منه: نشَز الشيء إذا ارتفع، والنَشز ما ارتفع من الأرض[٥].

وقوله: «ثم اشتقّ من بهجة نوره شمساً وقمراً»

البهجة: حسن لون الشيء ونضارته[٦].

---

(١) الزَندُ: العُود الذى يقدَح به النار، وهو الأعلى. الصحاح ٢: ٤٨١، العين ٧: ٣٥٦.

(٢) وَرَى الزَند بالفتح يَرِى ورياً، إذا خرجت ناره. الصحاح ٦: ٢٥٣٢.

(٣) العبارة هاهنا مخالف لما سبق في متن الخطبة.

(٤) العين ٥: ٣١٥.

(٥) العين ٦: ٢٣٢.

(٦) العين ٣: ٣٩٤.

وقوله: «فسمك الجليل رفعهنّ»

سمك: رفع[١]، وفي بعض الدعاء لعليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «اللهم ربّ المسموكات السبع وربّ المدحوّات السبع»[٢]. عنى بالمسموكات السماوات أي: المرفوعات.

وقوله: «وكوّر الليل على النهار وكوّر النهار على الليل»

وفي القرآن: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[٣] قيل في التفسير[٤]: يغشي الليل على النهار ويغشي النهار على الليل. والكَور: لوث العمامة[٥]، وذلك إدارتها على الرأس. والكأرة: الثوب الذي يجمع القصّار فيه الثياب[٦]. فكأنّ التكوير في ذلك التغشية كما جاء في التفسير، والله أعلم.

وقوله: «وكان من شأن ربّنا أنّه القديم جبروته العظيم كبرياؤه»

قد ذكرنا أنّ الشأن: الأمر، وبينّا ذلك فيما تقدّم.

وقال أصحاب اللغة[٧]: الجبروت على وزن فعلوت من التجبّر، وقد ذكرنا ما جاء في ذكر الجبّار.

---

(١) العين ٥: ٣١٨.

(٢) مع اختلاف يسير يوجد في الغارات ١: ٩٤، روضة الواعظين ١: ٩١، نهج البلاغة ١: ١٠٠، جمال الأسبوع ١: ٤٨٠، المصباح للكفعمي ١: ٤٣١، وعن النبيّ في الاحتجاج ١: ٥٨.

(٣) سورة الزمر: ٥.

(٤) هذا قول قتادة. تفسير الماوردي ٥: ١١٥، تفسير البغوي ٤: ٨٠، الجامع لأحكام القرآن ١٥: ٢٣٥، مجمع البيان ٨: ٧٦٣.

(٥) العين ٥: ٤٠١.

(٦) العين ٥: ٤٠٢.

(٧) العين ٦: ١١٧، مفردات ألفاظ القرآن ١: ١٨٥، مجمع البحرين ٣: ٢٤٠.

والكبرياء: قالوا الملك[1]، قالوا ومن ذلك قوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبرِيَاءُ فِي الأَرضِ﴾[2] قالوا: الملك[3].

وقوله: «البديع الذي لا أبدع منك»

البديع: الله عزّوجلّ، وفي القرآن: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾[4] والبديع: اسم من أسماء الله ـ عزّوجلّ ـ، والبَدع في اللغة[5]: ابتداع الشيء لم يكن. والله ـ عزّوجلّ ـ بديع كلّ شيء. وقد تقدّم بيان «الإبداع» وتمام القول فيه في أوّل هذا الكتاب.

[القدّوس]

وقوله: «يا قدّوس»

القدّوس: اسم من أسماء الله ـ عزّوجلّ ـ، وفي القرآن: ﴿هُوَ اللهُ الَّذي لا إِلـهَ إِلّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوس السَّلَامُ﴾[6].

قال أصحاب اللغة: القدّوس مبنيّ على فُعّول من التقديس[7]، ومثله سُبّوح من التسبيح.

---

(١) المحيط في اللغة ٦: ٢٥٦، الفروق في اللغة ١: ٢٤١، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٤٠.

(٢) سورة يونس: ٧٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٢٤٥، تفسير ابن قتيبة ١: ١٧٢، تفسير الطبري ١١: ١٠١.

(٤) سورة البقرة: ١١٧، سورة الأنعام: ١٠١.

(٥) العين ٢: ٥٤.

(٦) سورة الحشر: ٢٣.

(٧) الصحاح ٣: ٩٦١ فيه: (من القدس).

قال بعضهم[١]: التقديس قريب من التسبيح، فمن قدّس الله فقد نزّهه عن الشرك، وكذلك من سبّحه فقد نزّهه عن الشرك. وفي القرآن: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَك﴾[٢].

وقال آخرون: التقديس التطهير، وقالوا: معنى ﴿نُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي: نطهّر ونسبّح ونصلّي[٣]. وقالوا: ومن ذلك ﴿الأَرضِ المُقَدَّسَة﴾[٤] أي: المطهّرة[٥].

وقال آخرون[٦]: القدس: البركة، قال العجّاج[٧]:

قَد عَلِمَ القُدُوسُ رَبُّ القُدسِ ... أَنَّ أَبَا العَبَّاسِ أَولَى نَفسِ[٨]

ويُروى القدموس والقديوس المَلِك العظيم[٩].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٣٣١، تفسير ابن قتيبة ١: ١٤، تفسير القرآن العظيم ١: ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٣٠.

(٣) غريب القرآن وتفسيره ١: ٦٧، تفسير القرآن العظيم ١: ٧٩، التبيان في تفسير القرآن ١: ١٣٤.

(٤) سورة المائدة: ٢١.

(٥) تفسير الماوردي ١: ١٩٧.

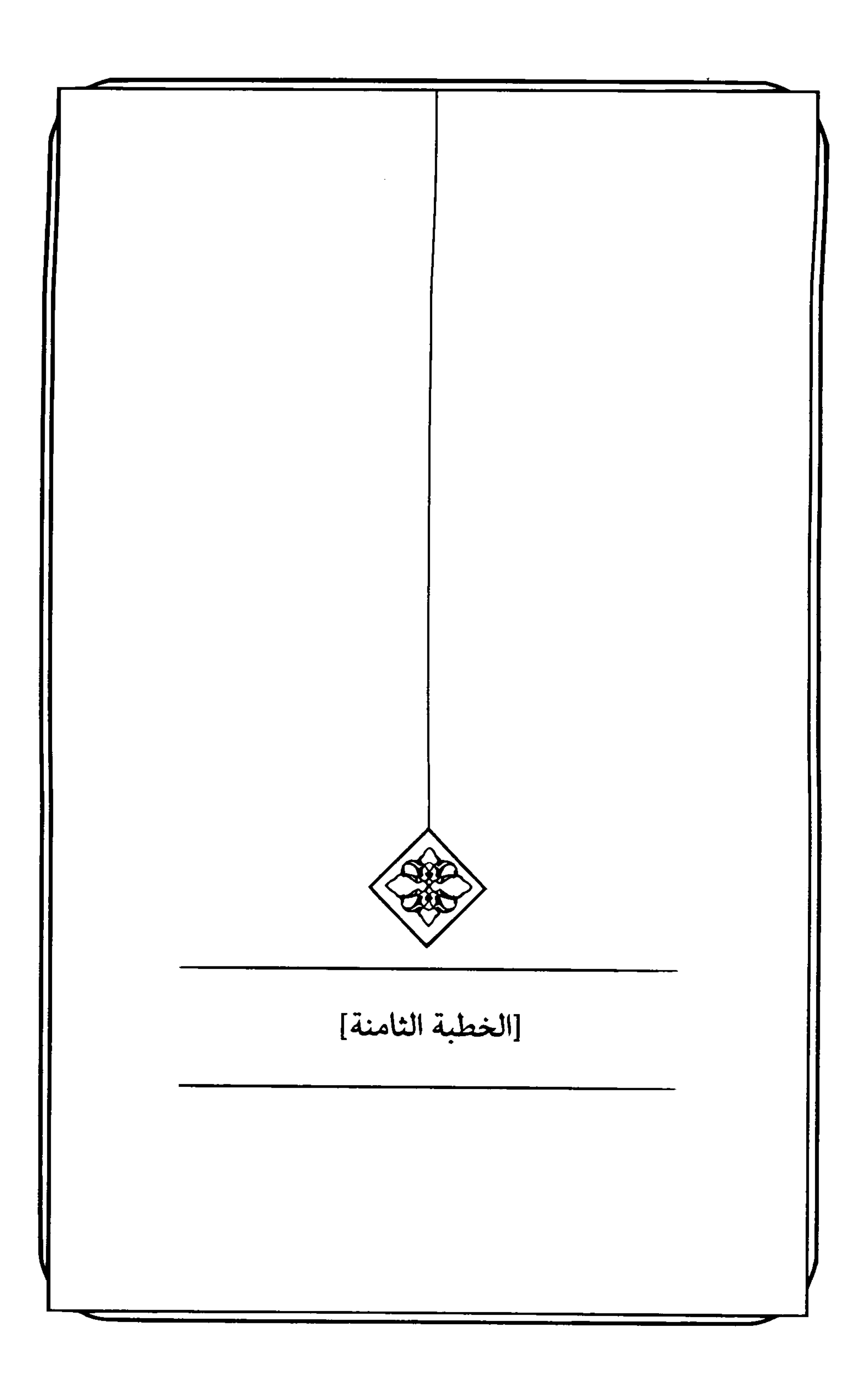
(٦) المحيط في اللغة ٥: ٢٨٤، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٢٢٥.

(٧) قد تقدّم ترجمته.

(٨) الموشّح ١: ٢٦١، سمط اللآلي ١: ٤٠٥.

(٩) العين ٥: ٢٥١، المحيط في اللغة ٦: ٨٦، القاموس المحيط ٢: ٣٧٤.





[الخطبة الثامنة]



وهذا أيضاً توحيد لأمير المؤمنين عليّ ـ صلوات الله عليه ـ

روي عنه ﷺ أنّ رجلاً أتاه، فقال له: يا أمير المؤمنين! هل تصف لنا ربّنا؟ فتغيّر وجهه ﷺ، ثمّ قام فرقى المنبر، فقال:

«الحَمدُ للهِ الَّذي لَا يُعوِزُهُ المَنعُ، وَلَا يُكدِيهِ الإعطَاءُ، هُوَ العَوَّادُ بِعَوَائِدِ النِّعَمِ وَمَوَادِّ المَزِيدِ، قَد ضَمِنَ أَقوَاتَ الخَلقِ، وَقَسَّمَ مَقَادِيرَ الرِّزقِ، لَيسَ بِمَا سُئِلَ فِيهِ بِأَجوَدَ مِنهُ بِمَا لَم يُسئَل عَنهُ، وَهَبَ لِعِبَادِهِ مِمَّا تَنَفَّسَت عَنهُ مَعَادِنُ الجِبَالِ، وَضَحِكَت عَنهُ أَصدَافُ البِحَارِ مِن فِلَذِ التِّبرِ وَاللُّجَينِ وَالعِقيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ[1] وَحَصِيدِ المَرجَانِ، مَا لَم يُؤَثِّر فِي وُجُودِهِ وَلَا نَقَصَ مِن سَعَةِ مَا عِندَهُ، بَل عِندَهُ مِن ذَخَائِرِ الإِفضَالِ مَا لَا تُنفِدُهُ مَطَالِبُ السُّؤَالِ.

الأَوَّلُ مِن غَيرِ تَشبِيهٍ، وَالكَائِنُ مِن غَيرِ تَكوِينٍ، وَالمَوصُوفُ بِغَيرِ تَحدِيدٍ، وَالوَاحِدُ بِلَا مَثنَوِيَّةٍ، وَالمَوجُودُ بِغَيرِ حَاسَّةٍ وَلَا رُؤيَةٍ، خَلَقَ الخَلقَ بِحِكمَتِهِ، وَاستَعبَدَ

---

(١) قوله: (ونثارة الدرّ) لم يرد في «أ».

الأَرْبَابَ بِقُوَّتِهِ[1]، وَسَادَ العُظَمَاءَ بِعَظَمَتِهِ، وَتُسَمَّى الجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَاصطَفَى الكِبرِيَاءَ وَالمَجدَ وَالفَخرَ لِنَفسِهِ، وَخَشَعَت الأَبصَارُ وَالأَصوَاتُ لِهَيبَتِهِ، وَوَجِلَت القُلُوبُ مِن مَخَافَتِهِ، وَعَفَرَتْ الوُجُوهُ لِجَلَالَتِهِ، وَأَرعَدَت الفَرَائِصُ مِن مَخَافَتِهِ، وَأَذعَنَت المُلُوكُ وَالجَبَابِرَةُ وَجَمِيعُ الخَلَائِقِ لِسُلطَانِهِ.

ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَم يَزَل دَائِماً قَائِماً بِلَا تَحدِيدٍ وَلَا تَمثِيلٍ، مُبدِئُ الخَلقِ وَوَارِثُهُ وَكَالِيهِ وَرَازِقُهُ، الَّذِي ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[2]، ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبعَ سَمَاوَاتٍ﴾[3] ﴿وَأَوحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمرَهَا﴾[4]، وَبَسَطَ الأَرْضَ وَأَرسَى جِبَالَهَا، وَخَدَّ أَودِيَتَهَا وَفَجَّرَ عُيُونَهَا، وَسَهَّلَ سُبُلَهَا وَشَقَّ أَنهَارَهَا، وَرَفَعَ أَطوَادَهَا وَآكَامَهَا، وَأَنبَتَ فِيهَا نَبَاتَهَا وَأَشجَارَهَا، وَأَخرَجَ مِنهَا مَاءَهَا وَمَرعَاهَا، وَسَخَّرَ فِيهَا لِمَغَائِضِهَا بِحَارَهَا، وَأَجرَى المُنشَئَاتِ كَالأَعلَامِ، فِيهَا تُحمَلُ أَجسَامُ الأَنَامِ وَمَا قُدِّرَ لَهُم مِن الأَقسَامِ، وَجَعَلَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ آيَتَينِ تَختَلِفَانِ، تُبلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَتُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

أَسكَنَ الدُّنيَا خَلقَهُ وَبَعَثَ إِلَيهِم فِيهَا رُسُلَهُ؛ لِيَكشِفُوا لَهُم عَن غِطَائِهَا، وَيُحَذِّرُوهُم فَنَاهَا، وَيَضرِبُوا لَهُم أَمثَالَهَا، وَيُبَصِّرُوهُم عُيُوبَهَا، وَيَحتَجُّوا عَلَيهِم بِحُجَجِهِ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُم عَلَى اللهِ حُجَّةٌ؛ إِعذَاراً إِلَيهِم، وَإِنذَاراً بِالوَعدِ وَالوَعِيدِ، وَإِعلَاماً مِنهُ لَهُم أَنَّهُ لَيسَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ[5].

---

(١) في «أ»: (بعزته).

(٢) سورة فصّلت: ١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

(٤) سورة فصّلت: ١٢.

(٥) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، سورة فصلت: ٤٦.

أَحصَى آثَارَهُم، وَقَدَّرَ أَعمَارَهُم، وَعَلَّمَ أَلفَاظَهُم، وَعَدَّدَ أَنفَاسَهُم وَخَائِنَةَ أَعيُنِهِم وَمَا تُخفِي صُدُورُهُم وَمُستَقَرَّهُم وَمُستَودَعَهُم، خَلَقَ مَا خَلَقَ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ امتَثَلَهُ، وَلَا مِقدَارٍ احتَذَى عَلَيهِ مِن خَالِقٍ كَانَ قَبلَهُ، أَرَانَا مِن مَلَكُوتِ قُدرَتِهِ وَعَجَائِبِ آثَارِ حِكمَتِهِ مَا دَلَّنَا بِهِ عَلَى مَعرِفَتِهِ.

لَا تُحِيطُ بِهِ الصِّفَاتُ فَيَكُونَ بِإِدرَاكِهَا إِيَّاهُ بِالحُدُودِ مُتَنَاهِياً، وَمَا زَالَ ـ إِذ هُوَ اللهُ الَّذِي ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾ ـ عَن صِفَةِ المَخلُوقِينَ مُتَعَالِياً، قَد انحَسَرَت عَن أَن تَنَالَهُ الأَبصَارُ فَيَكُونَ بِالعَيَانِ وَالأَدَوَاتِ عِندَ خَلقِهِ مَعرُوفاً، بَل فَاتَ بِعُلُوِّهِ عَلَى الأَشيَاءِ مَوَاقِعَ رَجمِ المُتَوَهِّمِينَ، وَارتَفَعَ عَن أَن تَحوِيَ كُنهَ عَظَمَتِهِ رَوِيَّاتُ المُتَفَكِّرِينَ، لَيسَ لَهُ مِثلٌ فَيَكُونَ بِالخَلقِ مُشَبَّهاً، وَمَا زَالَ عِندَ أَهلِ المَعرِفَةِ بِهِ عَن الأَشبَاهِ وَالأَندَادِ مُنَزَّهاً.

كَذَبَ العَادِلُونَ بِاللهِ إِذ شَبَّهُوهُ بِخَلقِهِ، وَحَلَّوهُ بِحُلِيِّ عِبَادِهِ بِأَوهَامِهِم، وَكَيفَ يَكُونُ مَن لَا يَقدِرُ قَدرَهُ مُقَدَّراً فِي رَوِيَّاتِ الأَوهَامِ، وَقَد ضَلَّت فِي إِدرَاكِ كُنهِهِ هَوَاجِسُ الأَنَامِ، هُوَ أَجَلُّ مِن أَن تَحُدَّهُ أَلبَابُ البَشَرِ بِالتَّفكِيرِ، أَو أَن يُمَثَّلَ بِمِثلٍ أَو يُشَبَّهَ بِنَظِيرٍ.

أَيُّهَا السَّائِلُ! اعقِل مَا سَمِعتَهُ مِنِّي، وَلَا تَسأَل أَحَداً عَن مِثلِ مَا سَأَلتَنِي عَنهُ مِن بَعدِي، فَتَدخُلَ عَلَيكَ الشُّبهَةُ، وَتَستَولِيَ عَلَيكَ الحَيرَةُ، وَتَكتَنِفَكَ أَسبَابُ الضَّلَالَةِ، فَقَد كَفَيتُكَ مُؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَسَهَّلتُ لَكَ البُغيَةَ وَالسَّبَبَ، وَحَمَلتُ عَنكَ نَشدَةَ التَّعَمُّقِ فِي المَذهَبِ، تَحمِلُ مِن جَوَابِ مَا سَأَلتَ عَنهُ كَافِيَةً شَافِيَةً.

وَاعلَم أَنَّ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا سَأَلتَنِي عَنهُ، وَذَهَبَ وَهمُكَ إِلَيهِ، عَجَزَت المَلَائِكَةُ

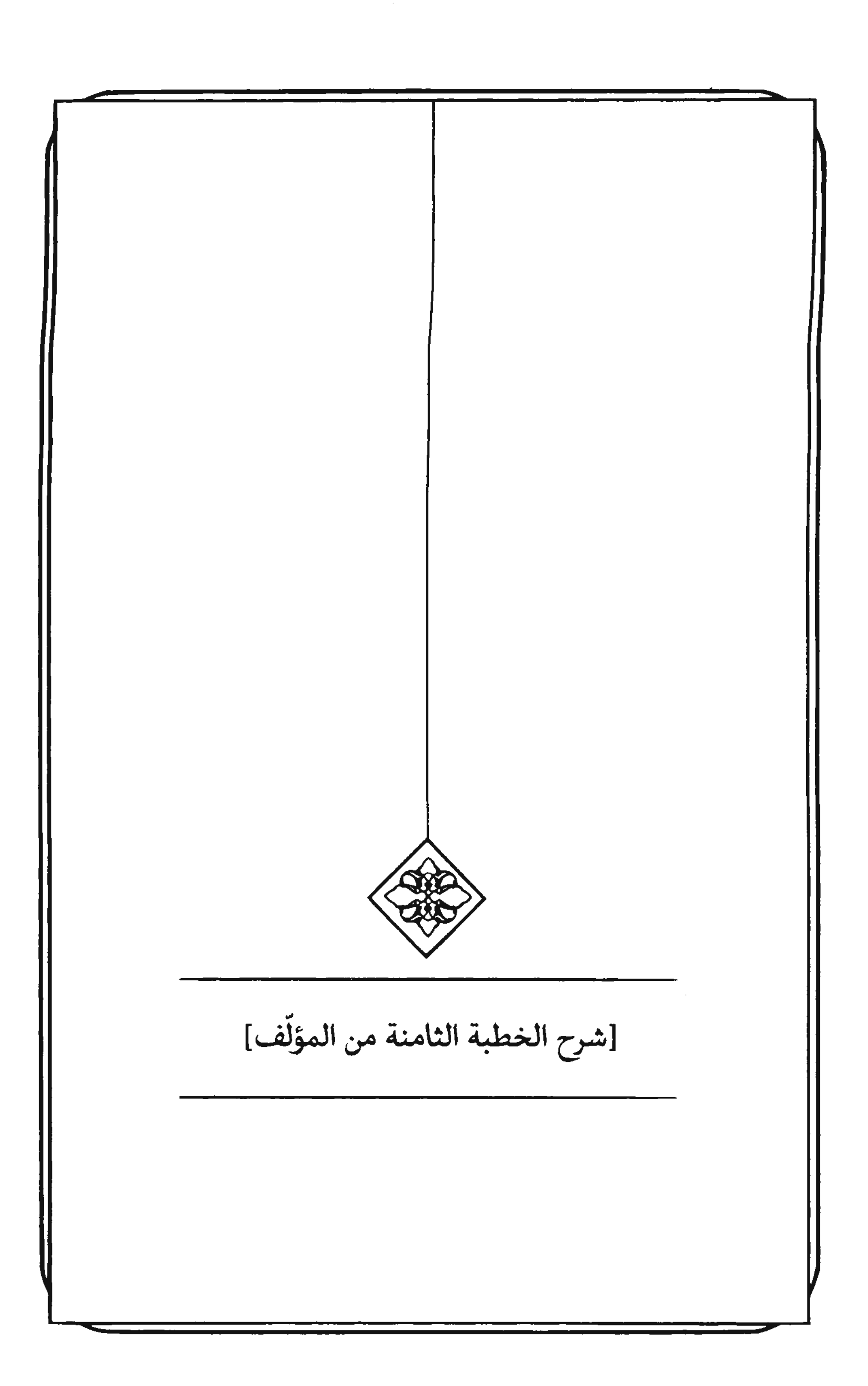
عَنهُ ـ مَعَ قُربِهِم مِن كَرَاسِي كَرَامَةِ اللهِ وَعَيبِ مَلَكُوتِ قُدرَتِهِ ـ أَن يَعلَمُوا مِن عِلمِهِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُم، وَهُم مِن مَلَكُوتِ العَرشِ بِحَيثُ هُم لِمَا فَطَرَهُم عَزَّوَجَلَّ عَلَيهِ، فَقَالُوا: ﴿لَا عِلمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾[1].

فَعَلَيكَ يَا عَبدَ اللهِ! بِمَا دَلَّكَ عَلَيهِ القُرآنُ، وَمَا سَمِعتَهُ مِنِّي مِن البَيَانِ، وَمَا كَلَّفَكَ إِيَّاهُ الشَّيطَانُ، مِمَّا لَيسَ عَلَيكَ فِي الكِتَابِ فَرضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلمَهُ إِلَى اللهِ، وَاسأَل عَمَّا يَجِبُ عَلَيكَ أَن تَسأَلَ عَنهُ مَن أُمِرَ بِسُؤَالِهِ»[2].

---

(١) سورة البقرة: ٣٢.

(٢) قد وردت مقاطع مختارة من هذه الخطبة في مصادر، منها:
التوحيد للصدوق: ٤٩ و٥٠، نهج البلاغة: ٨٩، ٩٠، ٢٢٠، ٢٢١.



[شرح الخطبة الثامنة من المؤلّف]



قد جاء في هذا التوحيد ممّا لم يتقدّم مثله فيما ذكرناه قبله ممّا شرحناه وبينّاه، فما سنشرحه ونبيّنه دون ما قدّمت شرحه وبيانه على ما رسمته فيما قبله.

فمن ذلك قوله: «لا يُعوِزه المنع»

العَوَز: أن يُعوزك شيء أنت إليه محتاج وإذا لم تجد الشيء قلت: عازني. ويقال: أعوز الرجل إذا ساءت حاله[1]. وأعوزه الدهر أي: أدخل عليه الفقر[2]. يقول: ليس يمنع لعوز.

وقوله: «لا يكديه الإعطاء»

أي: لا يقلل ما عنده، وقد تقدّم بيان وجوه «أكدى».

وقوله: «من فلذ التبر واللجين والعقيان» الفَلذ: كَسرٌ أي قطع من كبد أو فضّة أو ذهب، والفِلذَة: القطعة من ذلك. ويقال: فلذ له من العطاء إذا أعطاه قطعة

---

(١) العين ٢: ٢٠٦.

(٢) أساس البلاغة ١: ٤٣٩.

من ماله[١]. والتِبر: الذهب[٢]. واللُجَين: الفضّة[٣]. والعقيان[٤]: ذَهَبٌ ينبت نباتاً، وليس ممّا يستذاب من الحجارة، قال الشاعر[٥]:

كُلُّ قَومٍ صِيغَةٌ مِن آنِك   وَبَنُو هَاشِمَ عُقيَانُ الذَّهَبِ[٦]

وقوله: «وحصيد المرجان»

المرجان نبت أحمر ينبت في البحر، فإذا أخرج منه استحجر، يعمل منه الخرز وهو التول[٧][٨].

وقوله: «بل عنده من ذخائر الأفضال»

الذخائر: جمع ذخيرة، وهو الشيء المعدّ[٩].

وقوله: «واصطفى الكبرياء والمجد والفخر لنفسه»

قد مضى شرح الاصطفاء والكبرياء؛ فأمّا المجد في اللغة: نيل الشرف، يقال منه: مجَد الرجل ومجُد لغتان، وأمجَدَه: كرُم فعاله، والله ـ عزّ وجلّ ـ هو

---

(١) العين ٨: ١٨٦.

(٢) العين ٨: ١١٧.

(٣) العين ٦: ١٢٤.

(٤) العين ٢: ١٧٨.

(٥) لم يذكر قائله في المصادر.

(٦) بهذا اللفظ لا يوجد إلّا في كتاب العين ٢: ١٧٨، مع أنّ فيه «بنو العبّاس» بدل «بنو هاشم». وفي الموضّح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي ١: ١٣٩١ مضافاً إلى «بنو العبّاس» يكون «خلقوا» بدل «صيغة»، وكذلك في اللامع العزيزيّ، شرح ديوان المتنبّي ١: ٤١٣.

(٧) في «ب»: (الحرر والقرد) بدلاً من: (الخرز وهو التول).

(٨) قريب منه: تهذيب اللغة ١١: ٥١.

(٩) القاموس ٢: ٩٣.

المجيد ذو المجد تمجّد بفعاله ومجّده خلقه بعظمته[١].

وقوله: «وخشعت الأبصار والأصوات لهيبته»

يقال من خشوع البصر: خشَع الإنسان إذا رمى ببصره نحوَ الأرض وأطرقه، وهو خاشع إذا فعل ذلك. والخشوع قريب المعنى من الخضوع.

والخشوع يكون بالقلب وبالبصر وبالصوت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**خاشِعَةً أَبصارُهُم**﴾[٢] وقال: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصواتُ لِلرَّحمن**﴾[٣] إذا سكنت[٤]، وفي الحديث: «الخشوع في القلب»[٥].

وقوله: «ووجِلت القلوب من مخافته وعفَرت الوجوه لجلالته وأرعدت الفرائص من مخافته»

وجِلت: خافت، والوَجَل: الخوف[٦]، يقول: أنا وجل من الأمر وقد وجلت أنا أوجل وجلاً، وهو يَوجَل. ولغة أخرى[٧]: ييجَل وياجَل وهو وجِل وهو أوجَل. قال الشاعر[٨] شعراً:

---

(١) العين ٦: ٨٩.

(٢) سورة القلم: ٤٣، سورة المعارج: ٤٤.

(٣) سورة طه: ١٠٨.

(٤) العين ١: ١١٢.

(٥) دعائم الإسلام ٢: ١٥٤، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢٧٩، السنن الصغير ٢: ٢٧٥، المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٢٦، الزهد والرقائق ١: ٤٠٣.

(٦) العين ٦: ١٨٢.

(٧) الصحاح ٥: ١٨٤٠.

(٨) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد، ومعن شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهليّة والإسلام، مات في المدينة نحو سنة ٦٤ هـ. الأغاني ١٢: ٣٠٣، معجم الشعراء ١: ٣٨٠.

لَعَمـرُكَ مَـا أَدرِي وَإِنِّـي لَأَوجَـلُ   عَلَـى أَيِّنَـا تَغـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ[١]

وقوله: «وعفرت الوجوه» أي: مرغت في العَفَر، والعَفَر التراب[٢]. يقال من ذلك: عفَرته وأنا أعفِره في التراب عَفراً وهو متعفّر الوجه في التراب.

والفرائص: جمع فريصة، والفريصتان: لحمتان في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما اللتان تعترضان عند الفزعة أي: ترتعدان[٣]. وقال أميّة[٤] الشاعر ـ وذكر الملائكة ـ:

فَرَائِصُهم مِن شِدَّةِ الخُوفِ تَرعَدُ[٥]

وقوله: «وكاليه»

الكالي: الحافظ[٦]، وفي القرآن: ﴿قُل مَن يَكلَؤُكُم بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحمن﴾[٧] أي: يحفظكم.

وقوله: «ورفع أطوادها وآكامها»

الأطواد: الجبال[٨].

والآكام: ما ارتفع من الأرض[٩].

---

(١) أدب الكاتب ١: ٤٥٢، الكامل ٢: ٢٢٧، ديوان الحماسة ٢: ٨.

(٢) العين ٢: ١٢٢، الصحاح ٢: ٧٥١.

(٣) العين ٧: ١١٢.

(٤) قد تقدّم ترجمته.

(٥) الزهرة ١: ٤٧٩، شعراء النصرانيّة ١: ٢٤٣.

(٦) العين ٥: ٤٠٧.

(٧) سورة الأنبياء: ٤٢.

(٨) العين ٧: ٤٤٣.

(٩) العين ٥: ٤٣٠.

وواحد الأطواد: طَود، وواحد الآكام: أكَمَة.

وقوله: «وسخّر فيها لمغايضها بحارها»

المغائض: جمع مَغيض، والمغيض: ما يغيض فيه الماء، ويقال: غيض ماء البحر فهو مغيض[١]، وفي القرآن: ﴿وَغيضَ الماء﴾[٢]. ويقال: غُضت الماءَ إذا فجّرته إلى مكان يغيض فيه أي: ينصبّ إليه، ومياه الأرض تنصبّ إلى البحار فهي لها مغايض.

وقوله: «وأجرى المنشآت كالأعلام»

يعني السفن، وفي القرآن: ﴿وَلَهُ الجَوارِ المُنشَآتُ فِي البَحرِ كَالأَعلام﴾[٣] المنشآت: اللواتي انشئن[٤].

والأعلام: الجبال، واحدها عَلَم[٥].

وقوله: «وخائنة الأعين»

خائنة الأعين: ما تخون به من مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ[٦]، ومن ذلك قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَعلَمُ خائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ﴾[٧]، والخَون في النظر: فترة

---

(١) العين ٤: ٤٣٠.

(٢) سورة هود: ٤٤.

(٣) سورة الرحمن: ٢٤.

(٤) الجواري: السفن، والمُنشَآتُ: اللواتي أنشئن، أي: ابتدأ بهنّ في البحر. تفسير ابن قتيبة ١: ٣٧٩، مجمع البحرين ١: ٤١٦.

(٥) العين ٢: ١٥٢.

(٦) العين ٤: ٣٠٩، القاموس ٤: ٢٠٩.

(٧) سورة غافر: ١٩.

فيه، ومن ذلك يقال للأسد: خائن العين[١]، ويمثّل ذلك لكونه مسارقة النظر.

وقوله: «يعلم مستقرّهم ومستودعهم»

مستقرّهم حيث يستقرّون فيه من الأرض.

ومستودعهم حيث يدفنون فيها إذا ماتوا[٢].

وقوله: «بل فات بعلوّه على الأشياء مواقع رجم المتوهّمين»

الرجم بالظنّ: القول بالوقيعة به من غير علم.

وقوله: «قد ضلّت في إدراك كنهه هواجس الأنام»

قد تقدّم تفسير الكنه.

والهواجس: جمع هاجس، والهاجس ما وقع في القلب، تقول: هجس في قلبي همٌّ وأمرٌ[٣].

---

(١) العين ٤: ٣٠٩.

(٢) تفسير عبد الرزّاق ١: ٢٦٤، تفسير الطبري ١٢: ٣، تفسير الطبراني ٣: ٤١٧.

(٣) العين ٣: ٣٨٤.

قد تمّ الموجود من كتاب التوحيد وهو يشتمل على جزئين، ومن وجده فليتمّمه.

ولا يقرأ هذا الكتاب إلّا بإذن صاحب الأمر والدعوة الهادية، وإلّا حرامٌ غير جائز النظر.

قد تمّ نساخة هذا الكتاب الشريف بأمر مولانا المالك، أيّده الله بجنود الملائك، وألقى أعدائه في جميع المهالك، وهو سيّدنا ومولانا داعينا وهادينا ومنجي نفوسنا، داعي الدعات، سفينة النجاة، سيّدنا ومولانا حسن بن إسماعيل متّعنا الله بحياته، ورفع عالي مقامه ودرجاته، وجعلني فداء شريف أقدامه وذاته، ويرزقنا محض مسرّاته ومرضاته، على يد أقلّ عبد عبيد مولائي الكريم، الراجي إلى رحمة ربّه الغفور القديم،[1] محمّد ضياء العليّ، ولد الحاجّ الشيخ إبراهيم الحيدرآبادي، غفر الله ذنوبه، في حصن عتادة من بلاد حراز اليمن، وقاها الله من الفتن، في يوم الثامن من شهر الجمادي الآخرة، يوم الجمعة وقت الصلاة الجمعة، في سنة ١٢٨٥ الهجريّة النبويّة.

سَتَبقَى سُطُورِي بَعدَ مَوتِي بُرهَةً ... أَلَا إِنَّهَا تَبقَى وَتَفنَى أَنَامِلِي

فَيَا قَارِيَاً فِيهَا سَلِ الله رَحمَةً ... لِكَاتِبِهِ المدفُونِ تَحتَ الجَنَادِلِ[2]

---

(١) هنا زيادة اسم شخص آخر بين الخطوط في نسخة «ب» ويصير المتن هكذا: (علي بن أحمد وَمحمّد ضياء العليّ)

(٢) من قوله: (قد تمّ الموجود من كتاب التوحيد) إلى هنا لم يرد في «أ». وورد فيه: (وجد الشرح إلى قوله هذا ولعلّ به تمّ الكتاب. بخط ميانصاحب عبد الله بهائي بن الشيخ هبة الله بهائي بن ميانصاحب غلامحسين سنة ١٣١٠).



فهرس الآيات



فهرس الأحاديث والآثار

ما جاء عن رسول الله ﷺ

ما جاء عن الإمام علي عليه السلام

ما جاء عن الإمام السجّاد عليه السلام

ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام

ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام

ما جاء من الأحاديث غير المعلومة، والآثار

فهرس المصادر

ـ القرآن الكريم

(أ)

١ـ **الإبانة في اللغة العربيّة**، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي، تحقيق: عبد الكريم خليفة، الطبعة الأولى، وزارة التراث القومي والثقافة، عمّان، ١٤٢٠هـ.

٢ـ **أبكار الأفكار في أصول الدين**، سيف الدين الآمدي (م٦٢٣هـ)، تحقيق: أحمد محمّد المهدي، دار الكتب، قاهرة، ١٤٢٣ق.

٣ـ **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٣٩٤ق.

٤ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (م٥٤٨هـ)، تحقيق: السيّد محمّد باقر الخرسان، الطبعة الأولى، نشر المرتضى، المشهد ـ إيران، ١٤٠٣هـ.

٥ـ **الاختصاص**، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري، السيّد محمود

الزرنديّ، الطبعة الثانية، دارالمفيد، بيروت ـلبنان، ١٤١٤هـ

٦ـ**أدب الكاتب**، أبومحمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ)، تحقيق: محمّد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٧ـ**أساس البلاغة**، جارالله أبوالقاسم محمود بن عمروبن أحمد الزمخشري (م٥٣٨ه)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دارالكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ

٨ـ**أساس التأويل**، القاضي النعمان المغربي (م٣٦٣هـ)، التحقيق: د.عارف تامر، الطبعة الأولى، منشورات دارالثقافة، بيروت.

٩.**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبوعمريوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّبن عاصم النمري القرطبي (م٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، الطبعة الأولى، دارالجيل، بيروت، ١٤١٢هـ

١٠.**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثيرعلي بن محمّد الجزري (م ٦٣٠هـ)، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٩ق.

١١ـ**اشتقاق الأسماء وتأويل الأمثال**، محمّد بن عزيزالعزيزي السجستاني (م ٣٣٠ه)، تحقيق:محمّد مجلي ربابعة، دارورد الأردنية للنشروالتوزيع، ٢٠١١م.

١٢.**أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين**، أبوالحجّاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (م٤٧٦ه).

١٣.**الإصابة في تمييزالصحابة**، أبوالفضل أحمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن حجرالعسقلاني (م٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

١٤ـ **أصول الإيمان**، عبد القاهر البغدادي (م ٤٢٩هـ)، تحقيق: إبراهيم محمّد رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٥ـ **إصلاح المنطق**، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (م٢٤٤هـ)، تحقيق: محمّد مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ.

١٦ـ **إعراب القرآن**، أبو جعفر النحّاس أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (م٣٣٨هـ)، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٧. **الأعلام**، خيرالدين الزركلي (م ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

١٨. **إعلام النبوة**، علي بن محمّد الماوردي الشافعي (م ٤٥٠هـ)، مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٩ق.

١٩ـ **أعلام الإسماعيلية**، د.مصطفى غالب، الطبعة الأولى، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤م.

٢٠. **أعيان الشيعة**، محسن الأمين (م ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ق.

٢١. **إعراب القرآن**، أحمد بن محمّد بن النحّاس (م ٣٣٨هـ)،تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١ق.

٢٢ـ **الأغاني**، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (م٣٥٦هـ)، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٣. **الإفصاح في الإمامة**، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري (م ٤١٣هـ)، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ق.

٢٤ـ**افتتاح الدعوة**، القاضي النعمان المغربي (م٣٦٣هـ)، التحقيق: فرحات الدشراوي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٠٨٦م.

٢٥ـ**الإقبال بالأعمال الحسنة**، علي بن موسى بن طاووس (م٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفاهاني، الطبة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٦هـ ش.

٢٦ـ**الأمالي**، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (م٤١٣هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، الطبعة الأولى، منشورات جامعة المدرّسين، قم، ١٤١٣هـ.

٢٧ـ**الأمالي**، الشيخ الطوسي (م٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ق.

٢٨.**الأمالي**، محمّد بن علي بن بابويه (م ٣٨١هـ)، كتابجى، طهران، ١٣٧٦ش.

٢٩.**الأمثال**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (م٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ

٣٠. **الأنساب**، عبدالكريم بن محمّد السمعاني (م ٥٦٢هـ)، تصحيح: عبدالرحمن بن يحيى المعلّمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٨٢ق.

٣١.**الإيضاح**، فضل بن شاذان النيسابوري (م ٢٠٦هـ)، تحقيق: سيد جلال الدين أرموي، منشورات جامعة طهران، طهران، ١٣٦٣ش.

(ب)

٣٢ـ**بحوث في الملل والنحل**، جعفر السبحاني (معاصر)، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٧ق.

٣٣ـالبريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمّدية وشريعة نبويّة في سيرة

أحمدية، أبوسعيد الخادمي الحنفي (م ١١٥٦هـ)، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٤٨ق.

٣٤ـ**البيان والتبيين**، أبوعثمان عمروبن بحربن محبوب الكناني بالولاء الليثي الشهيربالجاحظ (م٢٥٥هـ)، دارومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ

(ت)

٣٥.**تاج العقائد ومعدن الفوائد**، عليّ بن محمّد الوليد (م٦١٢هـ)، تحقيق: عارف تامر،الطبعة الثانية، عزّالدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ

٣٦ـ**تأويلات أهل السنة**، محمّد بن محمّد الماتريدي (م ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي الباسلوم، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ق.

٣٧ـ**تاريخ بغداد**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (م ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادرعطاء، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧ق.

٣٨ـتاريخ مدينة دمشق وذكرفضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أواجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، علي بن حسن بن عساكر(م ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دارالفكر، بيروت.

٣٩.**تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، د.مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دارالأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

٤٠.**تاريخ الإسماعيلية**، د عارف تامر، الطبعة الأولى، رياض الرئيس، لندن، ١٩٩١م.

٤١.**تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضى الزبيدي (م ١٢٠٥٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دارالفكر، بيروت، ١٤١٤ق.

٤٢.**التبيان في تفسير القرآن**، محمّد بن حسن الطوسي (م ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، داراحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٣ـ **تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام**، الشيخ أبي محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هـ.

٤٤ـ **التعريفات**، السيد الشريف علي بن محمّد الجرجاني (م ٨١٦هـ)، ناصر خسرو، طهران، ١٤١٢ق.

٤٥. **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (م١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحّاته، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٤٦. **تفسير سفيان الثوري**، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (م١٦١هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٧ـ **التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام**، الطبعة الأولى، مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قم، ١٤٠٩هـ.

٤٨. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (م٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ.

٤٩. **تفسير العياشي**، أبو النضر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، الطبعة الأولى، المكتبة العلمية، طهران ـ إيران، ١٣٨٠ هـ.

٥٠. **تفسير السمرقندي (بحر العلوم)**، أبو الليث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (م٣٧٣هـ).

٥١ـ **تفسير القمي**، أبو الحسين عليّ بن إبراهيم القمّي، تحقيق: السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، الطبعة الثالثة، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هـ.

٥٢ـ **تفسير التستري**، أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (م٢٨٣هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٥٣. **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (م٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤ـ **تفسير فرات الكوفيّ**، فرات بن إبراهيم الكوفيّ (٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمّد الكاظم، الطبعة الأُولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران ـ إيران، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

٥٥ـ **تفسير عبد الرزّاق**، أبو بكر عبد الرزّاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (م٢١١هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد عبده، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٥٦. **تفسير مجاهد**، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (م١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد عبد السلام أبو النيل، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ.

٥٧ـ **تفسير يحيى بن سلام**، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، القيرواني (م٢٠٠هـ)، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٥٨. **تفسير القرآن العظيم (تفسير الطبراني)**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (م٣٦٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٨م.

٥٩. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (م٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٦٠. **تفسير غريب القرآن**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (م ٢٧٦هـ)، مراجعة: ابراهيم محمّد رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١١ق.

٦١ـ **تفسير القرآن العظيم**، عبدالرحمن بن محمّد بن أبي حاتم (م ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، رياض، ١٤١٩ق.

٦٢ـ **تلبيس إبليس**، عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي (م ٥٩٧هـ)، دارالفكر، بيروت، ١٤٢١ق.

٦٣ـ **التنبيه والإشراف**، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن علي المسعودي (م٣٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.

٦٤. **التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّوجلّ**، أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (م٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة، مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، ١٤١٤هـ.

٦٥ـ **التوحيد**، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٣٩٨هـ.

٦٦ـ **تهذيب اللغة**، محمّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (م٣٧٠هـ)، تحقيق: محمّد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٦٧ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، يحيى بن شرف النووي (م٦٧٦هـ)، تصحيح: عامر غضبان وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، دمشق.

٦٨. **تيسير المطالب في أمالي أبي طالب**، السيد يحيى بن الحسين بن هارون (م٤٢٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمّود، الطبعة الأولى، مؤسسة زيد بن علي الثقافية، صنعا، ١٤٢٢هـ.

(ج)

٦٩. **الجامع لأحكام القرآن**، أحمد بن محمد القرطبي (م القرن ٧)، الطبعة الأولى، مكتبة ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٤هـ ش.

٧٠. **جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع**، عليّ بن موسى بن طاووس (م٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، دار الرضي، قم، ١٣٣٠هـ.

٧١ـ **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (م٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ.

٧٢. **جمهرة أنساب العرب**، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (م٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ق.

٧٣ـ **جمهرة الأمثال**، أبو هلال محمّد بن عبد الله العسكري (م ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ق.

٧٤ـ **جمهرة النسب**، هشام بن محمّد بن الكلبي (م ٢٠٤هـ)، تحقيق: ناجي الحسن، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٧ق.

٧٥ـ **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي

المكي (م٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، ١٣٨١هـ.

٧٦. **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي (م٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٧ـ **جمهرة أشعار العرب**، أبو زيد محمّد بن أبي الخطاب القرشي (م ١٧٠هـ)، تحقيق: علي محمّد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، قاهرة.

٧٨. **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، أحمد الهاشمي (م ١٣٦٢هـ)، تحقيق: لجنة من الجامعيّين، مؤسسة المعارف، بيروت.

(ح)

٧٩ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (م ٤٣٠هـ)، تحقيق: كمال يوسف حوت، دار أمّ القرى، قاهرة، الطبعة الأولى.

٨٠. **حياة الحيوان الكبرى**، أبو البقاء كمال الدين محمّد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدميري الشافعي (م٨٠٨هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٨١. **الحيوان**، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (م٢٥٥هـ)، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

(خ)

٨٢. **الخصال**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، الطبعة الأولى، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ.

(د)

٨٣ـ **درء تعارض العقل والنقل**، أحمد بن تيمية الحرّاني (م ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، مملكة العربية السعودية، ١٤١١ق.

٨٤. **دعائم الإسلام**، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (م٣٦٣ هـ)، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر الفيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣ق.

٨٥. **ديوان الحماسة**، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (م٢٣١هـ)، لاهور، ١٣٧٧هـ

٨٦. **ديوان المعاني**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (م نحو٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

٨٧. **ديوان التهامي**، علي بن محمّد التهامي (م٤١٦هـ)، تحقيق:محمّد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢ق.

٨٨ـ **ديوان الهذليّين**، مؤلّف: الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، قاهرة، ١٣٨٥هـ

٨٩. **ديوان لبيد**، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (م٤١هـ)، تحقيق: حمدو طمّاس، الطبعة الأولى، دار المعرفة، ١٤٢٥ هـ

(ذ)

٩٠ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الشيخ آقا بزرك الطهراني (م ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ق.

(ر)

٩١ـ **راحة العقل**، الداعي أحمد حميد الدين الكرماني (م٤١١هـ)، التحقيق:

د.مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

٩٢ـ**الردّ على الزنادقة والجهميّة**، أحمد بن حنبل الشيباني (م ٢٤١هـ)، تحقيق: محمّد حسن راشد، المطبعة السلفية، قاهرة، ١٣٩٣ق.

٩٣.**الردّ على الجهميّة**، أبوسعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (م٢٨٠هـ)، تحقيق: بدربن عبد الله البدر، الطبعة الثانية، دارابن الأثير، الكويت، ١٤١٦هـ.

٩٤ـ**روضة الواعظين**، محمّد بن الفتّال النيسابوريّ (م٥٠٨ هـ)، الطبعة الأولى، منشورات الرضيّ، قم ـإيران، ١٣٧٥هـ.ش.

٩٥ـ**روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**، محمّد باقربن زين الدين الخوانساري (م ١٣١٣هـ)، تحقيق: أسدالله إسماعيليان، منشورات إسماعيليان، قم، ١٣٩٠ق.

(ز)

٩٦.**الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار، أبوبكر الأنباري (م ٣٢٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ق.

٩٧.**زهر الآداب وثمر الألباب**، أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري (م٤٥٣هـ)، تحقيق: يوسف علي طويل، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧هـ.

٩٨.**الزهد**، أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني (م٢٤١هـ)، تحقيق: محمّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٩.**الزهد**، أبوسفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (م١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبّار الفريوائي، الطبعة الأولى، مكتبة الدار، المدينة المنوّرة، ١٤٠٤هـ.

١٠٠ـ **الزهد والرقائق**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي ثمّ المروزي (م١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

١٠١ـ **الزهرة**، أبو بكر محمّد بن داود بن علي بن خلف الإصفهاني (م٢٩٧هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ.

١٠٢ـ **الزينة**، أبو حاتم الرازي (م ٣٢٢هـ)، تحقيق: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٥م.

(س)

١٠٣. **كتاب سليم بن قيس**، سليم بن قيس الهلاليّ (م٧٦ هـ)، تحقيق: محمّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ، الطبعة الأولى، الهادي، قم، ١٤٠٥هـ.

١٠٤ـ **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي (م٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٥ـ **السنن الكبرى للبيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوجِردي الخراساني البيهقي (م٤٥٨هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

١٠٦. **السنن الصغير**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوجِردي الخراساني البيهقي (م٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، جامعة الدراسات الإسلاميّة، كراتشي ـ باكستان، ١٤١٠هـ.

١٠٧ـ **السنّة**، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن مخلد

الشيباني (م٢٨٧هـ)، تحقيق: محمّد ناصرالدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٠٨ـ **السنّة**، أبوعبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (م٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمّد بن سعيد بن سالم القحطاني، الطبعة الأولى، دارابن القيّم ـ الدمام، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٠٩ـ **سنن الدارمي**، أبومحمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (م٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى، دارالمغني للنشر والتوزيع، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١٠. **سيرأعلام النبلاء**، شمس الدين أبوعبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (م٧٤٨هـ)، دارالحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ.

١١١. **السيرة النبويّة**، عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري المعافري، أبومحمّد جمال الدين (م٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ.

(ش)

١١٢. **الشافي في الإمامة**، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (م ٤٣٦)، تحقيق: السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب والسيد فاضل الميلاني، مؤسسة الصادق عليه السلام، طهران، ١٤١٠ق.

١١٣ـ **شرح حكمة الإشراق**، قطب الدين الشيرازي (م ٧١٥هـ)، تحقيق: عبدالله نوراني وَمهدي محقّق، جمعيّة الآثار والمشاهير الثقافية، طهران، ١٣٨٣ش.

١١٤ـ **شرح المواقف**، السيد الشريف علي بن محمّد الجرجاني (م ٨١٦هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٢٥ق.

١١٥. **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ)، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٣٧٨ش.

١١٦ـ **شرح المقاصد**، سعد الدين التفتازاني (م٧٩٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٩ق.

١١٧. **شرح المعلّقات التسع**، منسوب لأبي عمرو الشيباني (م٢٠٦هـ)، تحقيق: عبد المجيد همو، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ

١١٨ـ **شرح ديوان المتنبي**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (م ٦١٦ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

١١٩ـ **شرح كتاب سيبويه**، حسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (م ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٢٠. **الشعر والشعراء**، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ

١٢١. **شعراء النصرانية**، لويس شيخو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م.

١٢٢. **الشفاء**، شيخ الرئيس ابن سينا (م ٤٢٨ هـ)، تحقيق: سعيد زائد، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٤ق.

١٢٣. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميري (م ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري ويوسف محمّد عبدالله ومطّهر بن علي الأرياني، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠ق.

(ص)

١٢٤. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٢٥ـ **الصحاح**، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، الطبعة الأُولى، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠هـ.

(ط)

١٢٦ـ **طبقات الحنابلة**، محمّد بن أبي يعلي (م ٥٢٦هـ)، دارالمعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢٧. **طبقات فحول الشعراء**، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء (م٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة.

١٢٨ـ **طبقات الشعراء**، عبد الله بن محمّد ابن المعتزّ العباسي (م٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

١٢٩ـ **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي المعروف بابن سعد (م٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠هـ.

(ظ)

١٣٠ـ **ظاهرة الإفتراء على الشيعة عبر التاريخ**، الشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، منشورات مشعر، طهران.

(ع)

١٣١ـ **العبر في خبر من غبر**، الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (م٧٤٨هـ)،

التحقيق: فؤاد سيد، دائرة المطبوعات والنشر، كويت، ١٩٦١م.

١٣٢ـ **العثمانية،** مروبن بحربن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبوعثمان، الشهيربالجاحظ (م ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، دارالجيل، بيروت، ١٤١١ق.

١٣٣. **العقد الفريد،** أبوعمرشهاب الدين أحمد بن محمّد بن عبد ربّه ابن حبيب ابن حديربن سالم المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (م٣٢٨هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٣٤. **العلم لزهيربن حرب،** أبوخيثمة زهيربن حرب النسائي (م٢٣٤هـ)، تحقيق: محمّد ناصرالدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٣٥ـ **عيار الشعر،** محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبوالحسن (م٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيزبن ناصرالمانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٣٦. **العين،** أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهديّ المخزوميّ، د. إبراهيم السامرائيّ، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الهجرة، قم، ١٤١٠ هـ.

١٣٧. **عيون أخبار الرضا** عليه‌السلام، أبوجعفرمحمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (م٣٨١ هـ)، تحقيق: مهدي اللاجوردي، الطبعة الأُولى، منشورات جهان، طهران، ١٣٧٨هـ.

١٣٨ـ **عيون الأخبار،** أبومحمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ)، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٣٩ـ **عيون الأخبار وفنون الآثار**، الداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف (م٨٧٢هـ)، التحقيق: أحمد شليلات، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، ٢٠٠٨م.

(غ)

١٤٠. **الغارات**، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفيّ الكوفيّ (م٢٨٣ هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين المحدّث، الطبعة الأولى، جمعية الآثار الوطنيّة، تهران، ١٣٩٥هـ

١٤١. **غاية المرام في علم الكلام**، سيف الدين الآمدي (م ٦٢٣هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ق.

١٤٢. **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، عبد الحسين أحمد الأميني (م ١٣٤٩هـ)، مركز الغدير، قم، ١٤١٦ق.

١٤٣ـ **غريب القرآن لابن قتيبة**، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلميّة (لعلّها مصوّرة عن الطبعة المصريّة)، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٤٤. **غريب الحديث**، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (م٢٨٥هـ)، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمّد العايد، الطبعة الأولى، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ١٤٠٥هـ

١٤٥ـ **غريب الحديث**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (م٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمّد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن، ١٣٨٤هـ

١٤٦. **غريب الحديث**، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ

(ف)

١٤٧ـ **الفائق في غريب الحديث**، محمود بن عمر الزمخشري (م ٥٣٨هـ)، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧ق.

١٤٨. **الفروق في اللغة**، أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري (م٣٩٥هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ

١٤٩. **فضائل مصر وأخبارها وخواصّها**، ابن زولاق، أبو محمّد الحسن بن إبراهيم بن الحسين الفقيه الليثي المصري (م٣٨٧هـ)، التحقيق: د.علي محمّد عمر، الطبعة الأولى، مهرجان القراءة للجميع، مصر.

١٥٠. **فلاح السائل ونجاح المسائل**، رضيّ الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن الطاوس (م٦٦٤ هـ)، الطبعة الأولى، حديقة الكتاب، قم، ١٤٠٦هـ

١٥١ـ **الفهرست**، محمّد بن إسحاق بن النديم (م ٣٨٥هـ)، دارالمعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥٢ـ **فهرسة الكتب والرسائل ولمن هي من العلماء والأئمّة والحدود والأفاضل**، المجدوع إسماعيل بن عبد الرسول الأجيني (م١١٨٣هـ)، التحقيق: علينقي منزوي، جامعة طهران، طهران، ١٣٤٤ش.

١٥٣ـ **في أدب مصر الفاطميّة**، محمّد كامل حسين، الطبعة الأولى، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م.

١٥٤. **فيض القدير في شرح جامع الصغير**، زين الدين محمد المدعوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدّادي ثم المناوي القاهري (م ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦ق.

(ق)

١٥٥ـ **قاعدة لا ضرر ولا ضرار**، محاضرات آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه العالي)، الطبعة الأولى، مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ

١٥٦. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآبادی (٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦ هـ

١٥٧ـ **قاموس الرجال**، الشيخ محمّدتقي التستري (م ١٤١٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ق.

(ک)

١٥٨. **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عزّ الدين ابن الأثير (م٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٥٩ـ **الكامل في اللغة والأدب**، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (م٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ

١٦٠. **الكافي**، ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ (٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، الطبعة الرابعة، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٤٠٧ هـ

١٦١ـ **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي (م ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمّد بن عاشور ونظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ق.

١٦٢ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفه (م ١٠٦٧هـ)، تقديم: شهاب الدين المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٣. **الكشكول**، بهاء الدين محمّد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني (م ١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ق.

١٦٤. **كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر**، أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي (م نحو ٤٠٠هـ)، التحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الطبعة الأولى، مطبعة بيدار، قم، ١٤٠١ق.

١٦٥. **كمال الدين وتمام النعمة**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، الطبعة الثانية، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٣٩٥هـ

(ل)

١٦٦ـ **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبّي**، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، تحقيق: محمّد سعيد المولوي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ

١٦٧. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ

المصريّ (م٧١١ هـ)، تحقيق: أحمد فارس صاحب الحوائج، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ق.

(م)

١٦٨. **المجالس والمسايرات**، القاضي النعمان المغربي (م٣٦٣هـ)، التحقيق: الحبيب الفقي، وإبراهيم شبّوح، ومحمّد اليغلاوي، الطبعة الأولى، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٦٩ـ **مجمع البحرين**، فخر الدين الطريحي (م١٠٧٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثالثة، مكتبة المرتضوي، طهران، ١٤١٦هـ.

١٧٠ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (٥٤٨هـ)، تحقيق: محمّد جواد البلاغي، الطبعة الثالثة، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣٧٢هـ ش.

١٧١ـ **مجمع الأمثال**، أحمد بن محمّد الميداني (م ٥١٨ هـ)، العتبة الرضوية المقدّسة، مشهد، ١٣٦٦ش.

١٧٢. **مجموع السيّد حميدان**، أبو عبد الله حميدان بن يحيى القاسمي، (م قرن ٧)، تحقيق: أحمد أحسن علي، الطبعة الأولى، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ١٤٢٤هـ.

١٧٣ـ **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمّر بن المثنّى التيمي البصري (م٢٠٩هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

١٧٤ـ **المحاسن**، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (م ٢٨٠هـ)، تحقيق: جلال الدين محدّث، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١ق.

١٧٥ـ **المحيط في اللغة**، صاحب بن عبّاد(٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ

١٧٦. **المحكم والمحيط الأعظم**، أبوالحسن عليّ بن إسماعيل بن سيدة المرسي (م ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ

١٧٧. **المخصّص**، ابن سيدة علي بن إسماعيل الأندلسي (م ٤٥٨هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧٨ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، عليّ بن الحسين المسعودي (م٣٤٦هـ)، تحقيق: يوسف أسعد داغر، الطبعة الثانية، مؤسسة دارالهجرة، قم، ١٤٠٩هـ

١٧٩. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، اليافعي، أبي محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (م٧٦٨هـ)، التحقيق: خليل المنصور، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ

١٨٠. **مسائل حرب**، أبومحمّد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني (م٢٨٠هـ)، تحقيق: فايزبن أحمد بن حامد حابس، جامعة أمّ القرى، ١٤٢٢هـ

١٨١ـ **مستدركات أعيان الشيعة**، حسن الأمين (م١٣٩٩هـ)، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ

١٨٢ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبوعبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (م٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادرعطا، الطبعة الأولى، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١١هـ

١٨٣. **المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب**، محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي (م٣٢٦هـ)، تحقيق: أحمد محمودي، الطبعة الأولى، مطبعة كوشانبور، قم، ١٤١٥هـ.

١٨٤ـ **مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد**، الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (م٤٦٠ هـ)، الطبعة الأولى، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ.

١٨٥. **المصباح (جنّة الأمان الواقية)**، إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (م٩٠٥هـ)، الطبعة الثانية، دار الرضي، قم، ١٤٠٥هـ.

١٨٦. **المصنّف**، أبو بكر عبد الرزّاق بن همام الصنعانيّ (٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، الطبعة الثانية، المجلس العلمي، الهند، ١٤٠٣هـ.

١٨٧. **المصنّف**، عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفيّ العبسيّ (٢٣٥هـ)، كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٨٨ـ **معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنّفين منهم قديما وحديثاً**، محمّد بن علي بن شهرآشوب (م ٥٨٨)، تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدريّة، نجف، ١٣٨٠ق.

١٨٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي (م٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزّاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٩٠ـ **معاني القرآن**، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، المعروف بالأخفش الأوسط

(م٢١٥ هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ.

١٩١ـ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (م٣١١ هـ)، عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩٢ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م٢٧٦ هـ)، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي ـ عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة ـ حيدرآباد الدكن بالهند، ١٣٦٨هـ.

١٩٣. معجم الصحابة، عبدالباق بن قانع البغدادي (م ٣٥١ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم قوتلاي، دارالفكر، بيروت، ١٤٢٤ق.

١٩٤. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (م٦٢٦ هـ)، إحسان عبّاس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٤١٤هـ.

١٩٥ـ معجم الشعراء، محمّد بن عمران المرزباني (م ٣٨٤ هـ)، تحقيق: فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥ق.

١٩٦. مغازي الواقدي، محمّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني، أبو عبد الله، الواقدي (م٢٠٧ هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٩٧ـ المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيّد المطرزي (م ٦١٠ هـ)،

تحقيق: محمود الفاخوري وعبدالحميد المختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٩٧٩م.

١٩٨. **مفردات ألفاظ القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني (م ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، دار العلم، لبنان، ١٤١٢هـ.

١٩٩ـ **مقالات الإسلاميّن واختلاف المصلّين**، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري (م٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دار فرانز شتايز بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٠٠ـ **المقفّى الكبير**، أحمد بن علي المقريزي (م ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمّد اليعلاوي، دارالغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٧ق.

٢٠١ـ **الملل والنحل**، محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (م ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤ش.

٢٠٢ـ **منتهى الطلب من أشعار العرب**، محمّد بن المبارك بن محمّد بن ميمون البغدادي (م ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمّد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٠٣ـ **من اسمه عمرو من الشعراء**، أبو عبدالله محمّد بن داود بن الجرّاح (م ٢٩٦هـ)، مرقّم آليا غير موافق للمطبوع (المكتبة الشاملة).

٢٠٤. **الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء**، أبو عبيد الله بن محمّد بن عمران بن موسى المرزباني (م٣٨٤هـ)، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٠٥ـ **الموضّح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي**، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، تحقيق: خلف نعمان، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية، العراق، ٢٠٠٠م.

٢٠٦ـ **موسوعة كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون**، محمّد علي التهانوي (م ١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

(ن)

٢٠٧. **ناسخ الحديث ومنسوخه**، أبوبكرأحمد بن محمّد بن هانئ الإسكافيّ الأثرم الطائي وقيل: الكلبي (م٢٧٣هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٠٨. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (م٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر.

٢٠٩ـ **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز**، أبو بكر محمّد بن عزيز السجستاني (م٣٣٠هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن مرعشلي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢١٠. **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه آله وسلّم**، محمّد بن عليّ بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (م نحو٣٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٢١١ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مبارك بن محمد ابن الأثير (م٦٠٦ هـ)، تحقيق وتصحيح: محمود محمد طناحي وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الرابعة، اسماعيليان، قم، ١٣٦٧هـ ش.

٢١٢. **نهج الحقّ وكشف الصدق**، حسن بن يوسف المطهّر الحلي (م ٧٢٦هـ)، تصحيح: عين الله الحسني الأرموي، دارالهجرة، قم، ١٤٠٨ق.

٢١٣ـ **نهج البلاغة**، أبي الحسن الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى

الموسويّ (م٤٠٦ هـ)، تحقيق: عزيزالله العطاردي، الطبعة الأولى، موسسة نهج البلاغة، قم، ١٤١٤هـ.

(و)

٢١٤ـ **الوافي بالوفيات**، خليل بن أبيك الصفدي (م ٧٦٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، دارالنشر فرانز شتاينر، بيروت، ١٤٠١ق.

٢١٥. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (م٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

(هـ)

٢١٦. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، أبو محمّد مكي بن أبي طالب حَمّوش القرطبي المالكي (م٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلّية الدراسات العليا والبحث العلمي ـ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ.

٢١٧ـ **الهمّة في آداب اتباع الأئمّة**، القاضي النعمان المغربي (م٣٦٣هـ)، التحقيق: د. محمّد كامل حسين، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت.

فهرس الموضوعات